فضائل الدعوة الى الخير

والتبليغ لدين الله

مكانة الصلوٰة فى الاسلام

واهمّيتها فى حياة المسلم

فضائل القرآن الحكيم

تأليف

العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا بن الشيخ الكبير المحدث الفقيه محمد يحيى الكاندهلوى



اسم الکتاب	فضائل الاعمال
المولف	محمد زکریا الکاندھلوی
المطابع	جوھر آفسیٹ پریس
سنۃ الطباعۃ	۱۹۹۸
ناشر	ادارہ اشاعت دینیات پرائیویٹ لمیٹڈ
باھتمام	محمد انس

ISBN 81-7101-020-2

فضائل الدعوة إلى الخير
و التبليغ لدين الله

تأليف

العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا ابن الشيخ الكبير المحدث الفقيه محمد يحيى الكاندهلوي

تقديم

للأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي

نقله إلى العربية

الأستاذ محمد الرابع الندوى
أستاذ الأدب العربى فى دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ

ادارہ اشاعتِ دینیات (پرائیویٹ) لمیٹڈ
۱۶۸/۲۔ جھا ہاؤس حضرت نظام الدینؒ نئی دہلی ۱۱۰۰۱۳ (انڈیا)

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ،

أما بعد !

فان عماد حياة الأمة الاسلامية و القطب الذي يدور حوله نشاطها وحياتها ، وجدها و كفاحها ، هو الدعوة إلى الله وتبليغ أحكامه و رسالاته ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و مكان هذا العمل بين أعمال هذه الأمة و أخلاقها و سماتها « وهي كثيرة و مهمة » هو المكان الرئيسي و الأساسي ، فهي الغاية التي خلقت لأجلها و بعثت لمصلحتها ، وقد قال الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » (١) .

و قد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة كانت مسدودة في معرفة طبائع الأمم ، والاطلاع على مزية هذه الأمة من بين شعوب العالم ، و أثارت علما دفينا و كنزا مطمورا

---

(١) سورة آل عمران .

و أحدثت انقلاباً فى النظرة إلى هذه الأمة ، ومركزها ، وقيمتها، و هو أن ظهور هـــذه الأمة على منصة العالم ، ومسرح التاريخ و الأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية أو كتلة إنسانية ، و لم تكن موجة من موجات البشرية الكثيرة ، و لا من فقاقيع الماء التى تظهر و تختفى ، و تتكون ، و تندحر ، إنه ليس خروجــاً كخروج سائر الأمم ، إنما هو إخراج تسيطر عليه الحكمة الالهية ، و تمده إرادة الله القاهرة إنما هو تعبير لم يستخدم إلا فى قضايا الأنبياء المكرمين ، و عباد الله المرسلين و إن كان يفسر بشئ فانه يفسر بلفظ الارسال و البعثة .

و قد جاء الحديث الصحيح يفسره ، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال مخاطباً لأصحابه : « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » و لم يكن أحد أعرف من رسول الله ﷺ بخطر هذا التعبير و قيمته ، و اختصاصه بالأنبياء و المرسلين ، و قد ورد فى القرآن فى شأن الأنبياء فى مواضع كثيرة يصعب استقصاؤها ، ولم يكن رسول الله ﷺ يتكلم جزافاً ، و يرسل الكلام على عواهنه إنما كان يزن الكلام وزناً ، و قد كان كلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير ، ولا إطراء و لا مبالغة ، فدل كل ذلك على أن هذه الأمة هى مقصودة مهيأة ، مأمورة منبعثة ، و قــد طاب لذلك و ساغ لأحد رسل المسلمين الذى اختاره الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ليكون ترجماناً للاسلام و المسلمين أن يقول فى مجلس ملك الفرس « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الناس إلى

عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الآخرة .

و من جور الأديان إلى عدل الاسلام (١) .

و ذلك كله ، لأن الله سبحانه و تعالى قلد هذه الأمة نيابة نبيها الخاتم فى تبليغ آخر الأديان ، و خاتمة الرسالات ، و هكذا ربط مصير الانسانيـــة بها ، و إلى ذلك يشير قول النبي ﷺ فى إحدى خطبه التى خطبها فى حجة الوداع : « إنه لا نبي بعدى ولا أمة بعدكم » و لذلك ساغ له أن يقول فى ساحة بدر :

« اللهم إن تهلك هذه العصابه لن تعبد » .

فبقاء الانسانية ببقاء هذه الأمة ، وبقاء هذه الأمة ببقاء هذه الصفـــة الدعوية و المركز الابلاغى ، و بمحافظتها عـــلى فريضتها الأساسية ، و نشاطها فى مجـــال الدعوة إلى الله و تبليغ رسالاته التى حملتها عن نبيها ، فاذا فقدت هذه الصفة ، أو أصبحت مغمورة مطمورة ضاعت هذه الأمـة ، أو تحللت و ذابت فى خضم الأمم و لجة الغايات و الفلسفات ، و مناهج الحياة ، أشرفت الدنيا كلها على خطر ، و تعرضت الانسانيـة للتلف ، و أصبحت المدنية كلها جسماً بلا روح و لفظاً بلا معنى .

و قد استقامت هذه الأمة ، و سارت سيرها الطبيعى ، و استقامت الأمور ، و سلمت البشرية ما دامت هـذه الأمة محافظة على غايتها ورسالاتها ، قوية نشيطة فى أمر الدعوة إلى الله ، والحسبة على الناس ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، و كان إخلالها

---

(١) راجع البداية و النهاية لابن كثير .

بهذا الواجب و تقويضها لهذا الركن الركين ثورة عـلى طبيعتها وانحرافاً عن جادتها، وجناية على البشرية جمعاء تبعتها أمراض وعلل و اختلالات و اضطرابات يشاهدها الانسان، ويذوق سمومها فى كل مجال من مجالات الحياة ، وفى كل مجتمع من المجتمعات البشرية ، و لا سبيل إلى إعادة الأمور إلى نصابهـا و دخول البيوت من أبوابها إلا بعودة هذه الأمة إلى أداء واجبها وإلى سيرتها الأولى فى أمر الدعوة إلى الله ، وتبليغ رسالات الله ، والقيام بالقسط، و الشهادة لله ، و الحسبة على الأخلاق و الأعمال و التعاون على البر و التقوى ، و التواصى بالحق و الصبر .

و قد قيض الله لهذه الامة فى كل دور من أدوار حياتها ، وفى كل رقعة من رقاع العالم الاسلامى رجالا يدعون إلى إحياء هذه الدعوة ، و التمسك بهذه الفريضة ، وعودة هذه الأمة إلى نشاطها السابق ، وكفاحها الأول ، تذكر بفضلهم هذه الامة درسها المنسى و تعود إلى عملها المهجور ، و تدب فيها حياة جديدة ، و نشاط جديد .

و كان من هؤلاء الرجال الأفذاذ والمصلحين النوابغ الداعى إلى الله مولانا محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوى الدهلوى (م ١٣٦٣هـ) الذى تنسب إليه جماعـة التبليغ التى طار صيتها فى الشرق والغرب ، وذرع أتباعها الأرض فى قارات آسيا و أفريقيا و أوربا و أمريكا ، ووصلوا الشرق بالغرب والشمال بالجنوب ، وقد جدد الله به أمر الدعوة إلى الله فحببت إلى النفوس ، وهانت

عليها الرحلات فى سبيلها ، وركوب البحار، والتحليق فى الأجواء ، و تجشم المصاعب و كثرتها الانفاق فى مصلحتها ، و كان للدعوة نفاق و رواج ، و ذيوع و شيوع لم يشاهدا من عهد بعيد .

و لما كانت هذه الدعوة تقوم على الايمان و الاحتساب فى طمع فى الأجر والثواب ، و الحرص على اتباع الأنبياء و المرسلين ، و تقليد الصحابة و التابعين و أتباعهم ، واتباع أتباعهم باحسان ويقين اشتدت الحاجة إلى كتاب يجمع بين ما ورد فى فضل الدعوة إلى الله فى القرآن و الحديث ، و وعد عليه من جزيل الثواب و عظيم الاجر ، و ما نقل عن الصحابة و التابعين ، و السلف الصالحين ، و العلماء الربانيين ، و الرجال الموفقين من تنافس و تسابق ، و علو همة و قوة نفس ، و بعد نظر فى إقامة هذا الركن ، وإحياء هذه السنة أشار الداعية الكبير على ابن أخيه الأبر ، و محدث العصر الأكبر مولانا الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوى أن يؤلف فى هذا الموضوع كتاباً متوسطاً يميل إلى الاختصار يعتمد عليه و يلجأ إليه فى إثارة الشعور الايمانى وإعلاء الهمة فى سبيل الدعوة وتحمل مشاقها ، وتجرع مرائرها ، والتذوق لحلاوتها مع مالها من شروط و آداب وملاحظات و احتياطات فألف هذا الكتاب الذى نسعد بتقديمه ، وقد حظى من القبول مالم يحظه كثير من الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع ، وأعيد طبعه مراراً يصعب إحصاؤها، وتناولته الايدى و تلقفته الالسن و ردده الخطباء و حفظه المتحفظون .

و لما انتشرت هذه الدعوة فى الأقطار العربية ، و أصبحت جماعات التبليغ فى غدو ورواح ، وذهاب و إياب ، شعر معنيون بأمر هذه الدعوة بالحاجة إلى نقل هـذه الـكتب التى تسمى كتب الفضائل إلى اللغة العربية ، و قد كانت الـكتب العربية من تفسير وحديث وسيرة وتاريخ مادة هذه الـكتب ، ومصدرها ، ولكنها اختيار مختار ، و جمع جامع ، و شرح شارح و الجامع أحـــد المؤلفين كما يعرفه المشتغلون بالتأليف .

و قد وفق الله عدداً من فضلاء ندوة العلماء و أبنائها ، و أساتذتها لهذا العمل النافع ، فنقل الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى « أسباب سعادة المسلمين وشقائهم » والأستاذ واضح رشيد الندوى « فضائل القرآن » والأستاذ محمد الحسنى « مكانة الصلاة فى الاسلام و أهميتها فى حياة المسلم » .

و ها هو رابعهم الأستاذ محمـــد رابع الندوى أحد كبار أساتذة الأدب العربي فى ندوة العلماء ، و منشئ صحيفة « الرائد » يقدم إلى القراء ترجمة كتاب (فضائل تبليغ) باسم « فضائل الدعوة إلى الخير ، و التبليغ لدين الله » فى العربية ، و هو كاتب مجيد ، ومترجم قدير، قد ظهر له كتاب بين التصوف والحياة نقلا من أصله الأردى للأستاذ الكبير الشيخ عبدالبارى الندوى ، نشرته دارالفتح فى دمشق و تلقى بالقبول و ترجم إلى اللغة التركيـــة ، و الأمل وطيد فى أن ينال هذا الكتاب حظه من القبول و العناية ، فذلك العهد بجميع مؤلفات المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى ،

و تراجمها ، و نسأل الله مخلصين أن ينفع بهذا الكتاب و أن يحقق به غرضه المطلوب .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

٢٠ من ربيع الثانى ١٣٩٣ھ

دار عرفات

زاوية الشيخ علم الله الحسنى

رائے بریلی (الهند)



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

أحمد الله تعالى أولا و أصلى و أسلم عـلى رسوله الكريم و بعد فقد أمرتنى شخصية مباركة ميمونة من جماعة المجددين لدين الله و رجل نابغة من علماء العصر الحاضر ومشائخـه العظام بأن أقوم بجمع آيات و أحاديث تتصل بأهمية التبليغ لدين الله وأولف منها كتاباً مختصراً .

و بحيث إنى أرى رضا مثل هؤلاء الربانيين ذريعة لنجاتى فى الآخرة وسبباً لتكفير سيآتى فقمت بالطاعة لأمره و ها أنا ذا أقدم للقراء هذه العجالة النافعة .

●●●●●●●●●●

فانى ألفت نظر كل مدرسة إسلامية وعناية كل لجنة إسلامية وكل معهد إسلامى و كل مركز من مراكز المسلمين بل و ألفت عناية كل مسلم إلى معرفة أن أعظم مايقع من القصور فى الالتزام بأمور الدين و أشد ما يقع على الدين من هجمات و حملات لا من قبل الكفار و الأعداء وحدهم بل من نحو المسلمين و كل ما نراه من شدة انصراف المسلمين عن أداء فرائض الدين وواجباته لا من عامة المسلمين بل من خاصتهم وأخص خاصتهم كذلك حتى

صار ترك الصلاة والصوم أمراً عادياً لا يهتم بها كبير اهتمام وبلغ
الأمر إلى أن الناس يقعون فى الشرك والكفر علانية ، يقعون فيها
وهم لا يرون ذلك شيئاً عظيما ولا يعدونه شركا أو كفراً، فان كل ماعم
و طم و ما يزداد قبحاً و فساداً كل يوم ، من ارتكاب النـاس
لكل الأعمال المحرمة و من انتشار الفسق و الفجور فيهم بصورة
ظاهرة و من غفلة الناس عن أمور الدين و من استخفافهم
وسخريتهم منه لم يعد كل ذلك الآن خافياً عن نظر كل إنسان .

و أصبحنا نرى أن الخاصة من علماء الدين و عامتهم كذلك
أصبحوا يميلون إلى الانقطاع و الانصراف فى حياتهم . وصار بعد
الناس عن دينهم يشتد بصورة طبيعية مستمرة وهم يبرؤن أنفسهم فى
ذلك فيقولون أنهم غـير مخطئين لأنه لا يدلهم على دينهم أحـد
و لا يهديهم إليه سبيلا ، أما العلماء فانهم يرون أنفسهم معذورين
كذلك ، يقولون أن كلامهم لا يؤثر فى هؤلاء ولا يسمع لديهم ،

ولكنى أقول أن التأويل من كلا الجانبين ضعيف وباطل ،
ولن ينفع عند الله تعالى شيئاً سواء كان من عامة الناس وهو قولهم
أنه لا يحثهم على الخير أحد، لأن طلب الأمور الدينية والبحث عنها
واجب على كل نفس ولا قيمة لعذر رجل يرى نفسه متبعاً لقوانين
حكومة من الحكومات ثم يقول إنه لم يعرف قوانين البلاد، فلما كان
ذلك لا يصح فى أمر الدنيا فكيف يصح لدى أحكم الحاكمين ، فانما
يكون ذلك أقبح حتى من اقتراف الذنب نفسه ، وأما عذر علماء
الدين بأنه لا يسمع لقولهم أحد ، فلا وزن فيه أيضاً، ألا ترون أن

الأسلاف البررة الذين تنتمون إليهم قد احتملوا مصائب و شدائد و لم يقصروا فى تبليغ الدين ، فقد رموا بالحجارة و لقوا شتائم سباباً و لكنهم صبروا و ظلوا ثابتين أقوياء فى عزيمتهم و كانوا يحملون الشعور كل الشعور بأداء واجبهم نحو تبليغ الدين فقاموا بتبليغ دين الله إلى الناس و نشروا الاسلام و أحكامه و قاموا بدعوته مع كل عائق و صعوبة واجهوها فى طريق ذلك .

ثم إن ما يزعمه كثير من الناس من أن الدعوة وتبليغ دين الله هو عمل خاص بعلماء الدين فهو غير صحيح أيضاً ، بل إنما يجب على كل من يرى منكراً وهو قادر على تغييره أو على تهيئة أسباب تغييره أن يقوم بتغيير هذا المنكر ، و لو افترضنا ما يزعمه الناس و يقولونه من أن هذا العمل خاص بالعلماء فكيف يكون الأمر إذا قصر العلماء فى أدائه بتهاونهم وغفلتهم أو لأسباب أخرى ، أفلا يكون إذن من الواجب أن يعد هذا العمل فريضة فى ذمة كل مسلم ، فان العناية الكبيرة التى تظهر من آيات الكتاب وأحاديث الرسول عليه السلام فى شأن تبليغ دين الله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر غير خافية و لا مستورة و إنها ستبين لك مما سنسوقه فى الفصول الآتية إن شاء الله و بناءاً على ثبوت ذلك لا يمكن أن تبرأ ذمة أى مسلم من مسؤلية هذا العمل فيحيلها إلى علماء الدين وحدهم ، أو يكتفى باتهامهم بالتقصير فى أدائه .

فانى أوجه نداءاً عاماً إلى كل مسلم بأن يساهم اليوم فى عمل الدعوة و التبليغ مساهمة يقدر عليها، و أن يبذل من أوقاته

فى هذا السبيل بقدر ما يمكن له .

و ليس هناك شك فى أن عمل الدعوة إلى الله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر غير محتاج إلى أن يكون صاحبه عالماً دينيـاً كاملا فان كل من يعرف شيئاً من أحكام الدين فمن مسؤليته أن يبلغ ذلك إلى الآخرين ، وإذا رأى منكراً و هو قادر على منعه أو تغييره فيجب عليه أن يقوم بمنعه و تغييره .

❁ ❁ ❁

الفصل الأول

الدعوة و التبليغ كما تدل عليه آيات القرآن الكريم

أذكر فى هذا الفصل آيات من كتاب الله سبحانه و تعالى مما تؤكد على ضرورة القيام بالدعوة الدينية ، وتحث على اختياره فانى أريد أن أتبرك بها، كما سأشرح بمساعدتها مدى ما يحمله هذا العمل عندالله سبحانه وتعالى من أهمية فقد ذكرالله تعالى هذاالعمل فى كتابه بطرق مختلفة و بسياقات متعددة ، فان عدد الآيات التى جاء ذكره فيها - على أساس ما وصل إليه علم الضعيف - ستون آية ، وكلها فى الحث على هذا العمل والانذار من تركه ، فلو اعتنى رجل ببحث دقيق فى الأمر فقد يجد عدد هذه الآيات كبيراً جداً.

ولما كان ذكر جميع هذه الآيات سبباً إلى إطالة الكلام فرأيت الاكتفاء ببعض آيات منها .

(١) قال الله عزّ و جل اسمه « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إننى من المسلمين »

قال المفسرون فى شرح هذه الآية أن كل من يقوم بالدعوة إلى الله فانما يستحق هذه البشرى ، و يستحق المدح المذكور فيها، أيا ما كانت طريقته فى قيامه بهذه الدعوة ، و مثاله أنك ترى أن الأنبيـــاء عليهم السلام كانوا يدعون إلى الله بالمعجزات ، أما العلماء فيقومون بالدعوة عن طريق الحجج العلمية و المجاهدون يقومون فى سبيل الله بهذا العمـل عن طريق السيوف ، والمؤذنون ينادون إلى الله بكلمات أذانهم و كلها طرق للدعوة فكل من يدعو إلى الخير فهو يدخل فى مصداق هـــذا القول الشريف سواء كان يدعو إلى أعمال الخير الظاهرة ، أو إلى أعماله الباطنة كدعوة المتصوفة إلى معرفة الله تعالى (١) و كتب المفسرون أن آية « و قال إننى من المسلمين » تشير إلى لزوم اعتزاز المسلم باسلامه مع ثباته عليه وهو أن يرى فى ذلك شرفاً لنفسه و يذكر ميزته هذه مفتخراً بها وقال بعض المفسرين أن المقصود ليس منه أن يصف نفسه بالعظمة إعجاباً بوعظه ونصحه وتبليغه بل يصف نفسه بأنه رجل من أتباع الاسلام .

[رواه أبو داوٗد ورواه المنذرى فى الترغيب والترهيب]

(٢) و قال الله تعالى « و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

شرح المفسرون هـذه الآية بقولهم أن المقصود بذلك هو التذكير بـآيات القرآن فان ذلك نافع جداً ، أما نفعه فى حق

---

(١) تفسير الخازن .

المؤمنين فظاهر، وأما فى حق الكفار فلاننا نرجو أنهم سيقبلون على دين الله ويدخلون فى زمرة المؤمنين و يصبحون بذلك مصداق هذه الآية الكريمة، ولقد انسدت اليوم طريق الوعظ و النصح الحقيقيين إلى حد كبير ، وصار غرض الواعظين بصورة عامة هو إمتاع النفوس وإظهار البراعة فى الكلام لينالوا بذلك مدح الناس ورضاهم ببراعتهم مع أن النبى ﷺ يقول كما جاء برواية أبى هريرة رضى الله عنه، إن من تعلم صرف الكلام يسبى به قلوب الرجال ، أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً و عدلا (١) .

(٣) وقال الله تعالى : « و أمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً ، نحن نرزقك و العاقبة للتقوى» .

و جاء فى أحاديث متعددة أن النبى ﷺ إذا أحب لرجل أن يزول عنه ضيقه فى معيشته فكان يأمره بالصلاة، و يحثه عليها ويتلو هذه الآية الكريمة مشيراً إلى أن الوعد بالسعة فى الرزق إنما علق بالاهتمام بالصلاة ، وكتب العلماء أن أمر الله سبحانه وتعالى للرجل فى هذه الآية بالاهتمام بأداء الصلاة مع قيامه بأن يأمر به غيره أيضاً لم يرد إلا لأن ذلك مفيد جداً، فانه عندما يهتم بأدائها ثم يقوم بتبليغها فيكون وعظه أكثر تأثيراً على غيره كما يكون سبباً لاهتمام غيره أيضاً ولذلك أرسل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام للقيام بالهداية ليكونوا بأنفسهم أسوة للناس، فيسهل العمل على العاملين ولذلك لن يكون معقولا أن يخطر ببال الناس أن كذا وكذا من الأعمال

---

(١) رواه أبو داؤد ورواه المنذرى فى الترغيب و الترهيب ،

المأمور بها صعب لايمكن أداؤه ، أما ما وعدالله تعالى به من الرزق على ذلك فمن فائدته أن الاهتمام بأداء الصلوات فى أوقاتها قد يجر إلى وقوع بعض الضرر فى وسائل المعيشة ظاهراً و ذلك بوجه خاص فى التجارة أو الوظيفة ، فلذلك أزال الشك فى هذا الأمر بما وعد به من كونه فى يد الله سبحانه وتعالى ، وكان ذلك كله من الناحية الدنيوية ، وخيراً ذكر كأساس مبدئى وأمر بديهى أن العاقبة الحقيقية هى للمتقين لا يشاركهم فى ذلك أحد .

(٤) و قال الله تعالى : « يا بنى أقم الصلاة و أمر بالمعروف وانه عن المنكر و اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

ذكرالله تعالى فى هذه الآية الكريمة أموراً عظيمة ، ولاشك أنها أمور هامة جداً و هى ذريعة إلى كل نجاح و لكننا جعلناها وراء ظهورنا .

أما الأمر بالمعروف فلا تسئل عنه ، فقد أوشك أن يتركه الجميع ، أما العبادات الأخرى فأهمها هى الصلاة ، و هى أهم منزلة بعد الايمان ، أليست الغفلة عنها قد بلغت مبلغاً كبيراً جداً، ألسنا نرى الملتزمين بأداء الصلاة ـ فضلا عن تاركى أدائها ـ أنهم يقصرون فى الاهتمام التام بها ، وبالأخص فى أدائها مع الجماعة و ذلك هو الذى نجد الاشارة إليه فى قوله « أقم الصلاة » فاننا مع كل أسف لا نجد الاهتمام به اليوم إلا فى فقراء المسلمين ، أما أغنياء المسلمين و سراتهم فكأنهم يرون لأنفسهم فى حضور المساجد عيباً وعاراً ، فالى الله المشتكى .

(٥) و قال : « و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون »

أمر الله سبحانه و تعالى فى هذه الآية الكريمة بالتزام أمر عظيم و هو وجوب أن تتخصص جماعة من المسلمين للقيام بدعوة الناس إلى الاسلام ، كان هذا الأمر للمسلمين و لكننا تركناه مع الأسف بصورة كاملة ، واختارها غير المسلمين وقد التزموا بها بكل عناية ، فقد ترى جماعات من النصارى تخصصت للدعوة لدينهم فى أنحاء العالم كله ، وتجد ذلك فى أمم أخرى أيضاً فقد تخصص فيها أفراد و أشخاص لهذا الغرض فهل توجد فى المسلمين جماعة تقوم بهذا العمل ؟ إذا لم يكن ردكم على سؤالى هذا بلا ، فليس من السهل أيضاً أن يكون هذا الجواب بنعم ، و قد أصبح من عادة المسلمين أن جماعة أو شخصاً إذا قام لهذا العمل فهم يستهدفونه بانتقاداتهم وطعنهم وبذلك تنهار همته عن ذلك انهياراً و يقعد عن العمل، إما هذا اليوم أوفى غد ، مع أن واجب النصيحة والتعاون المفروض على كل مسلم فى هذا السبيل كان يقتضى أن تحصل منه المساعدة لاخيه والسعى لاصلاح تقصيره إن كان فيه تقصير، لا أن يتراخى هذا الرجل بنفسه عن العمل ثم ينتقد العاملين و يطعن عليهم حتى يجعلهم مضطرين إلى القعود أخيراً .

(٦) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » .

و قد ورد بكل وضوح فى عدد من الأحاديث الشريفة عن

المسلمين أنهم أشرف الناس و ورد عن الأمة المحمدية أنها أشرف الأمم وقدجاء مثله فى آيات من القرآن الكريم أيضاً حيناً بوضوح و حينا باشارات، وهذه الآية الشريفة تدل أيضا على هذا المعنى كما تشير الآية إلى سبب ذلك أيضاً و هو « أنكم خير أمة » لانكم تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر .

و ذكر المفسرون أن هـذه الآية ذكرت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل ذكرها للايمان ، وإن كان الايمان أصل كل شئ ، و لا قيمة فى خير إذا لم يكن معه الايمان ، والسبب فى ذلك هو أن الايمان صفة اشتركت مع الامة الاسلامية فيها أمم سابقة أيضاً و لكن الذى يرفع الامـة الاسلامية من بين أتباع الانبياء السابقين جميعاً بصورة خاصة ، هو هذا الامر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و هو طرة مميزة على جبين هذه الامـة ، وبحيث أن أى عمل من أعمال الخير لايكون مقبولا عندالله تعالى إلا إذا كان مع الايمان ، فلذلك أتى ذكره كقيد من قيود ذلك و إن لم يكن ذكره بعينه مقصوداً حقيقياً فى هذه الآية الكريمة ، و لما كان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر هو المقصود فى هذا الموضع فقدمه فى ذكره على غيره .

أما المراد من كونه طرة لامتياز هذه الأمة فيظهر من وجوب الاهتمام به و بذل العناية الخاصة به فليس القيام بالتبليغ بصورة سطحية عاجلة مفيداً و كافياً ، لأنه بهذا المستوى كان موجوداً فى الأمم السابقة أيضاً ، كما يظهر من آية « فلما نسوا ما ذكروا به »

و من غيرها من الآيات ، فميزة الأمة الاسلامية مرتبطة بعنايتها الخاصة بهذا العمل ، وهو أن يتخذه عملا دائماً و يشتغل فيه كما يشتغل فى غيره من الأعمال الدينية الأخرى .

(٧) و قال الله تعالى « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أوإصلاح بين الناس و من يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

لقد وعد الله سبحانه و تعالى فى هذه الآية القائمين بالامر المعروف بالأجر العظيم وكم يكون الاجر عظيما و يكون مقداره كثيراً ، إذا كان الله سبحانه وتعالى بنفسه يصفه عظيما ، وأما تفسير هذه الآية فقد ذكرت الكتب أنه روى :

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام و الصدقة و الصلاة ؟ قال : قلنا بلى ! قال : إصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين هى الحالقة .

[رواه أبوداؤد و الترمذى]

ووردت نصوص كثيرة فى الحث والتأكيد على القيام باصلاح مابين الناس ولا حاجة هنا إلى ذكرها ، وإنما المقصود هى الدلالة على ضرورة اهتمام المسلم بما وسعه من الوسائل للاصلاح بين الناس فانه عمل يدخل فى نطاق الأمر بالمعروف أيضاً .

● ● ●

الفصل الثانى

تأكد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما تدل عليه أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام

نذكر فى هذا الفصل عدداً من الأحاديث الشريفة مما يتصل بموضوعنا فى هذا البحث وليس غرضنا هنا أن نستقصى جميع الأحاديث المتصلة بهذا الموضوع ولا يسعنا ذلك و لو جمعنا أحاديث كثيرة ، و من الذى يقرأها و يتأمل فيها اليوم ، فقد شغل الناس فى هذه الأيام عن الرغبة فى مثل هذا و لا يسعه وقتهم أيضاً فلذلك آثرنا الاكتفاء بالضرورى القليل لنلفت الأنظار إليه ولنبلغ إلى قرائنا ما وجدناه من شدة تأكيد رسول الله ﷺ على الاقبال عليه ، و ما قام به من إنذار ووعيد لمن يتركه و يتغافل عنه

فهنا عدد من الأحاديث الشريفة نقدمها إليكم .

(١) عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه و إن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الايمان .

[رواه مسلم و الترمذى و ابن ماجة و النسائى ، كـــذا فى الترغيب]

و قد ورد فى حـــديث آخر : **و من لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ و ذلك أضعف الايمان .**

[الترغيب ج ٣ ص ٢٢٣ باب الترغيب فى الأمر بالمعروف]

وورد فى حديث آخر : فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن و من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل.

[رواه مسلم و الترغيب ج ٣ ص ٢٢٦]

و هناك أحاديث مختلفة رويت عن رسول الله ﷺ و هى تتحدث عن هذا الأمر الهام فلنفكر فى هـذا الشأن و ننظر إلى نقصنا فى ذلك، فما أقل بين الناس من يغير بيده المنكر عندما يراه أو يقوم باستنكاره ويصفه بأنه حرام، أو يكون على الاقل فى آخر درجة من درجات الايمان فيكرهه و يتألم عندما يرى وقوعه، فكروا فى ذلك إخوانى ؟ فكروا فيه و أنتم بخلوة ثم انظروا ماذا كان يجب و ماذا حدث .

(٢) عن النعمان بن بشير قال مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها و بعضهم أسفلها فكان الذى فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا . [رواه البخارى والترمذى]

عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها فزعاً يقول : لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج و مأجوج مثل هـذه ، و حلق بين إصبعيه الابهام و التى تليها ، فقلت أنهلك وفينا الصالحون ، قال

نعم إذا كثر الخبث .

[رواه البخارى و مسلم والترغيب ج ٣ ص ٢٢٦]

نجد فى كل مناسبة و فى كل مكان أن الناس يكثرون ذكر انحطاط المسلمين وسقوطهم وينعون على حالتهم الحاضرة، ويقترحون بشتى الطرق لاصلاح وضعهم وحالتهم، ولكن أحداً من «الرجعيين» (علماء الدين) لا ينظر ـ فضلا عن المتنورين المثقفين بالثقافة الجديدة ـ إلى المرض الذى ذكره و أخبر به طبيبنا الحقيقى وربنا الرحيم، ولا إلى الدواء الذى وصفه ، لعلاجه ، ولا ينظرون إلى أى حد قاموا بهذا العلاج ، أليس من ظلمهم وجورهم أن الأمر الذى كان من أكبر أسباب هذا المرض أصبحوا يصفونه علاجاً للمرض نفسه (ليس الأمر إلا أنهم يتغافلون عن الالتزام بالدين ووسائله ويستبدون بآرائهم مع أنهم يطلبون رقى الدين و قوته) فلا عجب إذن إذا هلك المريض بهذا الدواء إما اليوم و إما فى غد .

(٣) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله و دع ما تصنع به ، فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد و هو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه و قعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل ، إلى قوله فاسقون ، ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرن على الحق أطراً (١) .

(١) رواه أبو داؤد و الترمذى كذا فى الترغيب .

و قد ورد فی حديث آخر قال رسول الله ﷺ : لما وقعت بنو إسرائيل فی المعاصی نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم فی مجالسهم و أكلوهم و شاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض و لعنهم علی لسان داؤد و عيسی بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال : لا والذی نفسی بيده حتی تأطروهم علی الحق أطراً . [الترغيب ج ٣ ص ٢٢٩]

و ذكر أثناء الحديث آيات من القرآن الكريم تائيداً لقوله لأن هذه الآيات تشتمل علی بيان لعنة الله علی هؤلاء ، و أحد الأسباب العديدة لهذه اللعنة ، هو أنهم لم يكونوا يتناهون عن منكر فعلوه .

يستحسن الناس اليوم أن يكونوا مسالمين كل المسالمة ، فلا يتكلموا فی أی مناسبة إلا مايناسب تلك المناسبة ، ويعدون ذلك كمالا ورحابة فی السلوك والخلق ، مع أن ذلك خطأ إذا كانت هذه الرحابة مطلقة و صورة عامة ، و لكن الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر إذا لم يكن مؤثراً أو مفيداً فی موضع كان فيه الصمت و المسالمة جائزاً فقط ، و لكن (بدون الموافقة و التائيد للحال السائد) أما المواضع التی ينفع فيها الأمر بالمعروف مثل شؤن الأولاد وشؤن من هم تحت إشرافه وفی رعايته ، فلن يكون الصمت والرضا فی هذه المواضع حسناً ، ولن يسمی بكمال الخلق ، بل إنما يعد الساكت عن الحق فی هذه المواضع مجرما فی قانون الشريعة و الاجتماع كليهما .

و لقد ورد فى روايات عديدة أن الذنب الذى يقترفه رجل فى الخفاء يكون ضرره على المقترف وحده ، و لكن الذنب الذى يقع بصورة مكشوفة و بحيث يمكن للناس أن يمنعوه . و لكنهم لا يمنعونه فاذن يكون ضرره عاماً على الجميع (١) .

فلينظر كل واحد منا إلى ما حوله ويفكر فى كم من الذنوب و السيئات يسعه أن ينكرها و يغيرها و لكنه يتغاضى عنها ويتغافل فيها ويعرض عنها ، والظلم الأكبر هو أن رجلا ما إذا أراد أن ينكر هذه الذنوب و ينهى عنها قام الناس لمخالفته يصفونه بقلة الحكمة و ضعف البصيرة ويعارضونه معارضة فضلا عن أن يعاونوه و يساعدوه فى قيامه بالخير و الحق . « فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

(٤) عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه ، و لا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا (٢) .

---

(١) لقد جاء فى رواية لعدى الكندى أنه سمع رسول الله ﷺ إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم و هم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروا . فاذا فعلوا ذلك عذب الله تعالى العامة و الخاصة ، رواه فى شرح السنة نقلا عن المرجع السابق .

(٢) رواه أبو داؤد و ابن ماجة و ابن حبان و الأصبهانى و غيرهم ، كذا فى الترغيب .

يا سادتى وأصدقائى الذين يحبون عزة الاسلام ومجده أنظروا فان هذه هى أسباب رزيئة المسلمين و انحطاطهم المستمر فلينظر كل واحد إلى ذويه و لو نظرة واحدة لا إلى غيره ولا إلى من فى منزلته و مستواه بل إلى أفراد أسرته و إلى من تحت رعايته وإلى أولاده وإلى مرؤوسيه، لينظر كل واحد إلى تلك المعاصى الظاهرة التى يقع فيها هؤلاء ثم لينظر هل هو يمنعهم من ذلك عن طريق وجاهته لديهم و أثره عليهم أم يسكت أمامهم ، ودعوا عنكم أمر القيام بالمنع عن المعاصى ، بل أنظروا هل أردتم يوماً منعهم من ذلك أو خطر على بال احدكم أن حبيبه يفعل كذا و كذا ، مع أنه إذا صدرت منه جريمة فى شأن الحكومة السائدة أو حضر فى إحدى الحفلات السياسية المحظورة ، لم يكن منك تجاهه إلا انزعاج و خوف شديد من أن يصيبك أنت أيضاً اتهام أو شك فى ذلك فتسرع إلى زجر صاحبك و تحاول تبرئة نفسك مما قد يلحقك فى هـذا الشأن من ريبة أو مكروه ، هل فكرتم أبداً فى الموقف الذى تقفونه بالعكس منه تجاه مرتكب الجريمة فى شأن أحكم الحاكمين .

أليس من الواقع الملموس يا أخى أنك قد تعرف كل المعرفة أن ابنك الحبيب مغرم بلعب الشطرنج و أنه يتلهى بلعب الأوراق و يترك أداء الصلاة فى مختلف أوقاتهـا ، و لكنك مع ذلك لا تبدى على ذلك استنكاراً و لا تقول له ماذا تفعل؟ فهذا يا أخى ليس من شأن المسلمين مع أنك كنت مأموراً حتى بأن تهجر المواكلة و المشاربة معه كما مر سابقاً ، فما أبعد الفرق بين الحالتين

و الطريقتين .

و يوجد عدد كبير من الناس يقوم بالسخط و الغضب على أولاده لأنهم يقضون أوقاتهم فى الكسل والبطالة و يؤثرون البقاء فى البيوت كأنهم أحلاسها ، و لا يحاولون للحصول على وظيفة ، و لا يودون واجبهم نحو حانوتهم ، أما إذا بحثنا بجنب ذلك عن أناس يغضبون على أولادهم لأنهم يتكاسلون فى حضور الصلاة جماعة أو أنهم يصلون الصلاة قضاءاً فلا نجد هؤلآء إلا نادراً

سادتى و أصدقائى : إن هذه الأمور لو كانت مما تستوجب المصيبة فى الآخرة وحدها لكانت لائقـــة بأن يجتنبها الناس اجتناباً شديداً ، و لكن الأدهى و الأمر هو أن أضرار حياتنا المادية هذه و خسائرها التى تعد اهميتها أشد من أهمية الخسارة الأخروية ليست نتيجة إلا لهذا التهاون والتقصير ، أنظروا إلى أى حد بلغت غباوتنا هذه وتقصيرنا وضلالتنا. وقد قال الله تعالى : « من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى و أضل سبيلا كما أن هذه الحالة مصداق لقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة » .

(٥) روى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها قالوا : يا رسول الله ما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصى الله ، فلا ينكر ولا يغير (١) .

---

(١) رواه الأصبهانى فى الترغيب .

أنظروا إلى أى حد بلغت المصيبة فى أمر الله اليوم هل بقى لها حد لم تبلغ إليه ، أما محاولة إنكارها و صدها أو تغييرها بعض التغيير فمفقود و متروك ، فحينئذ إذا بقى للسلمين وجود مع هذا الوضع الخطير ، فانما يستحق أن يعد نعمة من نعم الله تعالى ولا غير ، مع أننا لم نكن جديرين بذلك لأننا لم نترك سبباً و لا وسيلة تسوقنا إلى الهلاك إلا اخترناه .

عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله : إن الله أنزل سطوته بأهل الأرض و فيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم ؟ فقال : يا عائشة إن الله عز و جل إذا أنزل سطوته بأهل نقمته و فيهم الصالحون فيصيرون معهم ، ثم يبعثون على نياتهم (١) .

ولذلك يجب على أولئك الذين اعتمدوا على صلاحهم وتدينهم أنفسهم و قعدوا منقطعين عن الاهتمام بالحالة السيئة التى يقع فيها غيرهم ، أن لا يغفلوا عن الخطر فانه لو نزل عذاب الله عقاباً على انتشار السيئات و الآثام ، فلن يكون هؤلاء الصالحون أيضاً فى منجى منه .

(٦) عن عائشة قالت دخل على النبى ﷺ فعرفت فى وجهه أن قد حضره شئ فتوضأ و ما كلم أحداً فلصقت بالحجرة استمع ما يقول فقعد على المنبر فحمد الله و أثنى عليه و قال : أيها الناس : إن الله تعالى يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم و تسألونى فلا أعطيكم و تستنصرونى فلا

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه والترغيب ج ٣ ص ٢٢٧

أنصركم فما زاد عليهن حتى نزل (١) .

يجب أن يفكر فى ذلك كل من يأمر بالتسامح و التساهل فى أمر الدين عند ما تمس الحاجة إلى مقاومة العدو ، وذلك لأنه لا يمكن نصرة المسلمين و إعانتهم إلا بالصلابة فى الدين ، فان الصحابى الجليل أبا الدرداء يقول : ليكن منكم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إلا سلط الله عليكم ملكا لن يحترم كبيركم و لن يرحم صغيركم . و حينئذ إذا دعا الصالحون منكم فلن يستجاب لدعاءهم ، و إذا استنصرتم فلن تنصروا ، فقد قال الله سبحانه و تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم » و ورد فى آية أخرى « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده و على الله فليتوكل المتوكلون » .

عن حذيفة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه و لا يستجاب لكم .

(رواه الترمذى نقلا عن المصدر السابق)

وهنا يمكن لنا و لحضرات إخواننا أن نفكر فى أمر المعاصى و السيئات التى نقترفها ونرتكبها ، فانه يسعنا بذلك أن نعرف لماذا تضيع جهودنا ويبطل التأثير من دعواتنا ، وهل نستوجب بذلك لأنفسنا التقدم و الرفعة أو نستوجب الانحطاط والذلة .

(٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه ابن ماجة وابن حبان فى صحيحه . كذا فى الترغيب .

إذا عظمت أمتى الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام ، و إذا تركت الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر حرمت بركة الوحى ، و إذا تسابت أمتى سقطت من عين الله ، (كذا فى الدر عن الحكيم الترمذى) .

اعلموا أيها المنادون بتقدم الأمة و خيرها أن كل واحد من أبناء الأمة إنما يسعى لمجد الاسلام و مجد المسلمين و لكن الوسائل التى تختار لهذا الغرض لا تسوق إلا إلى الانحطاط و السقوط ، إنكم أيها الاخوة إذا كنتم تؤمنون بأن رسولكم (نفسى فداه ﷺ) هو الرسول الحق و أن تعاليمه هى التعاليم الصادقة فلماذا تنظرون إلى ما يصفه ﷺ من الأمور بأنها أسباب المرض و أنها أسس الفساد و السقوط بنظرة الانكار بل ترونها بعكس ذلك من أسباب الشفاء و الصحة ، و قد قال النبى ﷺ : لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ، و لكنكم أيها الاخوة تريدون أن يزول عن طريقكم هذا الستار الدينى ليسعكم من بعده التقدم و الرقى على غرار الأمم الأخرى ، وقد قال الله تعالى « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها و ما له فى الآخرة من نصيب » .

و ورد عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه ، و جمع له شمله و أتته الدنيا و هى راغمة ، و من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، و لم يأته من الدنيا إلا ما قدر له (رواه ابن ماجة والترمذى نقلا عن المصدر السابق ص١١٨ .)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : تلا رسول الله ﷺ : «من كان يريد حرث الاخرة» الآية، قال يقول الله : ابن آدم ! تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا، و لم أسد فقرك. [نقلا عن المصدر السابق]

هذا قول الله وقول رسوله، ثم ترون أنتم أن تخلف المسلمين و ضعفهم فى مجال الرقى و التقدم إنما جاء بسبب أن الوسائل و الأسباب التى تختار للسير فى مدارج الرقى و التقدم إنما يعرقل فيها علماء الدين، هؤلاء الطامعون، فياله من سخافة، إنه لو كان هؤلاء العلماء طامعين فى الدنيا لكان هذا التقدم والرقى الذى قد تحصلون عليه موضع غبطة وسرور لهم، لأن أرزاقهم تأتى إليهم كما تزعمون من أيديكم، فكلما اتسع نطاق رقيكم و كثرت مكاسبكم كان سبباً لاتساع رزقهم أيضاً، فلماذا يعارض هؤلاء المغرضون جهودكم و آراءكم، فهل هناك سبب أو اضطرار يجبرهم على أن يحرموا أنفسهم من المنافع ويخربوا بيوتهم ويفسدوا معاشهم أيضاً باغضاب مربيهم و محسنيهم أمثالكم.

فكروا ساعة يا أصدقائى و إخوانى ! إذا كان هؤلاء العلماء «الرجعيون» يقولون قولا تجدونه بوضوح فى كتاب الله نفسه، فليس انصرافكم عن هذا القول و إعراضكم عنه إلا مخالفاً للعقل بل ومخالفاً للعظمة الاسلامية كذلك، وإن هؤلاء العلماء الرجعيين مهما كانوا ضعفاء قاصرين لكنهم ما داموا يبلغون إليكم قول الله عزوجل و قول رسوله الكريم ﷺ، فيجب عليكم امتثاله و إذا أعرضتم

عنه فستسئلون عن ذلك يوم القيامة ، و هل يوجد عاقل يسمح لشخص ما بأن يقول عند مخالفته لقانون حكومة بلاده أنى أخالفه ، لأن الذى أخبرنى بهذا القانون كان من المنبوذين أو من الكناسين .

لا تقولوا : إن هؤلاء الشيوخ الذين يعلنون عن أنفسهم الاختصاص بالأعمال الدينية ينالون مكسباً من أصحاب الدنيا ، فأنى أرى و أقول أن شيوخ الدين الحقيقيين لا يأخذون لأنفسهم شيئاً بل كلما زاد اشتغالهم بالعبادة زاد فيهم الاستغناء و التعفف حتى فى قبول الهدايا غير المال الذى يسألونه لتحقيق مشاريع الدين و لسد حاجاته وأداء مهامه ، فان ذلك عمل حسن وسوف يثابون عليه عند الله أكثر مما سيثابون على عدم سؤالهم لأنفسهم .

و يعترض كثير من الناس بقولهم إنه ليس فى دين محمد ﷺ بالرهبانية ، و إن الدين و الدنيا قد جمعا فى الاسلام كما يشير إليه قول الله عز و جل : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » فالمعترضون يكثرون ذكر هذه الآية كأنما هذه الآية هى وحدها نزلت للعمل بها فى القرآن، إنه كان من الواجب عليهم أن يسألوا الراسخين فى العلم عن تفسير هذه الآية ولذلك قال العلماء : إن الرجل الذى ظن عن نفسه بعد مجرد قراءته لترجمة معانى القرآن أنه أصبح عالماً بالقرآن لم يجاوز أمره أمر الغباوة و الجهالة ، أما ما نقل عن الصحابة الكرام و العلماء التابعين من تفسير لهذه الآية الشريفة فهو كما يأتى .

روى عن قتادة رضى الله عنه أن المراد من حسنة الدنيا هى السلامة و الكفاف من الرزق و روى عن على رضى الله عنه : أن المراد منها هى الزوج الصالحة ، و روى عن حسن البصرى رحمه الله أن المراد منها هو العلم و العبادة ، و روى عن السدى أن المراد منها هو المال الطاهر ، و روى عن ابن عمر أن المراد هم الأولاد الصالحون ، و مدح الخلائق له ، و روى عن جعفر رضى الله عنه أن المراد منها هو الكفاية فى الصحة و القوت ، وحصول الفهم لكلام الله عز وجل والغلبة على الأعداء ، ومصاحبة الصالحين .

أما إذا كان الأمر هو النوع الثانى ، و هو الرقى الدنيوى بكل أنواعه ، و هو الذى ترغب إليه نفوسنا جميعاً ، فان الآية تتضمن على الدعاء له من الله سبحانه و تعالى ، و لا تتضمن على أن تنصرف إلى طلبه وتحصيله كل الانصراف ، وتشتغل به اشتغالا زائداً ، أما طلب شئ من الله سبحانه و تعالى والدعاء له ، وإن كان ذلك لاصلاح الحذاء الذى تحطم فى رجله ، فانما يدخل فى الأمور الدينية نفسها ، وإنى أسألكم أيها الاخوان ، من الذى ينهاكم عن طلب الحصول على الدنيا و طلب الرزق عن طريقها ، فانما يجوز لكم طلبها كل الجواز ، فليس من غرضنا أبداً أن تترك الدنيا هذه الرغبة المغتنمة عندكم كل الترك .

إنما الغاية أن تبذلوا للدين من جهدكم ما لا يقل عن جهدكم للدنيا ، إذا لم تقدروا على أن تزيدوا جهدكم للدين أكثر

من الدنيا ، لأن الأمر بالطلب إنما جاء (على حسب قولك أنت أيضاً) للدنيا والدين جميعاً ، و ألفت نظرك إلى أن القرآن الذى وردت فيه هذه الآية ، قد وردت فيه أيضاً « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه » وورد فى هـذا القرآن نفسه « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً » وجاء فى هذا القرآن نفسه « ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » وجاء فى هذا القرآن نفسه « منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة » وجاء فيه « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » وجاء فيه « و ما الحياة الدنيا إلا لهو و لعب و لدار الآخرة خير للذين يتقون » و جاء فيه « وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا » و جاء فيه « تريدون عرض الدنيا و الله يريد الآخرة » و جاء فيه « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » وجاء فيه « من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوف إليهم أعمالهم فيها و هم فيهـا لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون » و جاء فيـه أيضاً « و فرحوا بالحياة الدنيا و ما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع » و جاء فيه أيضاً « فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة » .

وهناك آيات كثيرة تضمن على مقارنة بين الدنيا والآخرة ، و لكن قصدى لم يكن استيعابها و إحصاءها ، و لم تكن الحاجة تقتضى ذلك أيضاً ، فذكرنا عدداً من ايات كنماذج مختصرة ويمكن الرجوع إلى كتاب الله للاطلاع على المزيد منها ، و إنما المقصود من كل ذلك أن الذين يؤثرون أمر الدنيا على أمر الآخرة ، هم فى خسران ظاهر ، فان كنتم لا تقدرون على العدل بينهما فعليكم إيثار الآخرة فى كل حال ، إنى أعترف بأن الانسان فى حياته الدنيا شديد الافتقار إلى الحاجيات الدنيوية ، ولكن الذى لن يكون معقولا هو أن يجلس الانسان فى المراحيض طيلة نهاره ، بناءاً على أنه مفتقر إلى الذهاب إليها .

و لو دققت النظر إلى الحكمة الالهية لعلمت أن كل أمر فى الشريعة الاسلامية تحت نظام و رابطة وقد بين الله جل وعلا كل شئ ، فان تقسيم مواقيت الصلاة يشير إلى أن شطراً واحداً من مجموع أوقات الليل والنهار هو من حق العبد سواء بذله فى راحته أو فى كسب معاشه ، أما الشطر الباقى فهو لله ، ويقتضى اقتراحكم لجمع الدين و الدنيا ذلك أيضاً ، و هو بأن يبذل شطر واحـد من مجموع أوقات الليل و النهار للدين ، أما الشطر الباقى فيبذل للدنيا ، ولكنه إذا زادت شؤون الدنيا سواء كانت تابعة لراحة الجسم ، أو كانت لطلب المعاش وطغت على شؤون الآخرة فمعناه أنكم جعلتم الدنيا راجحة ، فان نظريتكم فى هذا الصدد تقتضى مبدئياً بأن تبذلوا اثنى عشرة ساعة من اليوم و الليلة فى شؤون الدين ليتأدى بذلك حق

كل واحد من الدين والدنيا على طريقة سواء، وحينئذ يصح القول بأن الله قد أمر بطلب حسنات الدارين، و بأن الاسلام لم يأمر بالرهبانية .

و لم يكن قصدى هنا بيان هذا الأمر ولكن قيامى بالرد على الشبهة الواردة فى هذا الصدد، وكان مقصودى ذلك فساقنى إلى بيانه، و لذلك اكتفيت بالاختصار وبالاشارات، و إنما كان مقصودى فى هذا الفصل بيان الأحاديث الدالة على ضرورة التبليغ و الأمر بالمعروف ، واكتفيت فى ذلك ببيان سبعة أحاديث رجاء أنها تكفى، و الواحد منها يكفى إذا كانت القلوب مقبلة و إذا لم تكن القلوب مقبلة ففى آية «فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» كفاية أكبر .

و أريد أن أقول لكم فى الأخير أن بعض الأحاديث الشريفة إنما تدل على أن النبى ﷺ قد أمر فى زمن الفتنة الذى يطاع فيه للشح و تتبع أهواء النفس و تؤثر الدنيا على الدين، ويعجب كل ذى رأى برأيه ، ولا يقبل رأى غيره بأن يترك النـاس إصلاح غيرهم ، و يقبلوا على ذات أنفسهم ، و لكن هذا الزمن فى نظر العلماء و الشيوخ لم يأت بعد ، فيجب إذن أن تفعلوا ما تستطيعون فعله فلا قدر الله أن يأتى هذا الزمن بغتة فانه لن ينفع حينئذ أى إصلاح، ويجب أيضاً اجتناب الأخطاء التى ذكرت فى هذا الحديث بقدر المستطاع لأنها أسباب الفتن وهى تسوق إلى الفتن الصريحة، و لقد سماها النبى ﷺ فى حديث من أحاديثه بالموبقات ، فاللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها و ما بطن .

الفصل الثالث

أهمية أن يعمل الداعي بما يأمر به غيره

أريد فى هذا الفصل أن ألفت النظر إلى أمر خاص فأشير إلى عيب يصدر من الناس فى هذه الأيام بصورة خاص و ذلك بجنب تقصيرهم فى عمل الدعوة والتبليغ و شدة غفلتهم عن الأمور الدينية ، فقد نرى أنهم عند ما يسند إليهم عمل دينى مثل إلقاء المحاضرات أو كتابة المقالات أو العمل التعليمى أو التبليغ والوعظ وغيرها ، فهم ينصرفون إلى الاعتناء بأمر الآخرين وينسون أنفسهم ولا يرونها فى حاجة إلى الاعتناء باصلاحها مع أن اعتناءهم باصلاحها أهم و أولى من الاعتناء بأمر غيرهم و إصلاح حالهم ، ولقد نهى النبي ﷺ فى غير موضع نهياً شديداً عن أن يقوم الرجل بنصح غيره و يتمادى بنفسه فى المعاصى لا ينفك عنها .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ رأيت ليلة أسرى بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم و هم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ؟ » (١) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الصمت نقلا عن الترغيب و الترهيب ج ٣ ص ٢٢٤ .

روى عن الوليد بن عقبة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن ناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون إنا كنا نقول و لا نفعل (١) .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان ، فيقولون : يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان ؟ فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم.
(رواه الطبرانى و أبو نعيم نقلا عن نفس المرجع ص ١٢٤)

وكتب العلماء والشيوخ أن موعظة رجل لغيره بما لا يعمل به هو نفسه لا تنفع أبداً و لذلك ترى أن الحفلات والخطب قد كثرت اليوم بحيث تعقد و تاتى كل يوم ، و لكنها تذهب سدى ولا تنفع ، كما تظهر مقالات و مجلات كل يوم وهى لا تفيد ولا تنفع ، وقد قال الله تعالى « أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » و قال النبي ﷺ : ما تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه . (٢)

عن لقمان يعنى ابن عامر قال : كان الصحابى الجليل أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : إنما أخشى من ربى يوم القيامة

(١) رواه الطبرانى فى الكبير نقلا عن المصدر السابق ص٢٣٥ .

(٢) ترغيب عن البيهقى وغيره .

أن يدعونى على رؤس الخلائق فيقول لى: يا عويمر : فأقول لبيك رب فيقول ما عملت فيما علمت ؟

(رواه البيهقى نقلا عن نفس المرجع ص ١٢٦)

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: تعرضت أو تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقلت : يا رسول الله ! أى الناس شر ؟ فقال رسول الله ﷺ: أللهم غفرا ، سل عن الخير ولا تسأل عن الشر ! شرار الناس شرار العلماء فى الناس (١).

عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : العلم علمان : علم فى القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم . (٢)

فالمقصود من كل ذلك أن تعرف أن العلم المتعلق بالقلب والباطن واجب تحصيله مع تحصيل العلم الظاهر ليتصف القلب أيضاً بالعلم لأن العلم إذا لم يؤثر على القلب كان حجة من الله عليه ، وسوف يعاقب به صاحبه يوم القيامة على ما عمل به و قد وردت روايات كثيرة متضمنة على الوعيد الشديد على هذا التقصير فلذلك أرجو من المبلغين والدعاة الكرام أن يهتموا أولا باصلاح أنفسهم ظاهراً وباطناً ، لئلا يدخلوا فى مضمار من يستحق هذه الوعيدات ، و أدعو الله سبحانه و تعالى أن يوفق برحمته الواسعة هذا العاجز

---

(١) رواه البزاز نقلا عن نفس المرجع ص ١٢٦ .

(٢) رواه الحافظ أبو بكر البغدادى فى تاريخه نقلا عن نفس المرجع .

المذنب كذلك ليقوم باصلاح نفسه ظاهراً وباطناً، لأنى لا أرى أحداً أكثر منى خطايا وذنوبا إلا أن يتغمدنى الله برحمته الواسعة.

الفصل الرابع

فضيلة إكرام المسلمين و النهى عن إهانتهم

و فى هذا الفصل أريد أن ألفت نظر الدعاة و المبلغين إلى أمر هام جداً و هو أن غفلة الداعى عن الحكمة فى عمله وإن كانت غفلة خفيفة تأتى بمغبة سيئة و خطيرة ، و لذلك يجب أن يحترس الداعى فى عمله ويحطاط فى أداء ذلك فان كثيراً من الناس لا يبالون بالوقوع فى هتك كرامة المسلمين لقوة ما عندهم من العاطفة الدعوية مع أن عرض المسلم شئ عظيم و له اهمية كبيرة ، فقد ورد قول النبي ﷺ فى ذلك عن أبي هريرة مرفوعاً من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا و الآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه (١).

وعن ابن عباس مرفوعا من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة و من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى

---

(١) رواه مسلم و أبو داؤد و غيرهما الترغيب .

يفضحه بها فى بيته (١) .

على كل فقد ورد ذكر هذا الأمر المهم فى روايات كثيرة فلذلك يجب على الدعاة و المبلغين أن يكونوا محترسين عن الوقوع فيما يكشف ستر المسلمين لأن صيانة عرض المسلم أهم من هذا العمل، فقد ورد عن جابر رضي‌الله عنه أن النبى ﷺ قال : ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً فى موضع ينتهك فيه حرمته وينقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصره ، و ما من امرئ مسلم ينصر مسلماً فى موضع ينتقص من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره فى موطن يحب فيه نصرته (٢) .

وعن سعيد بن زيد رضي‌الله عنه عن النبى ﷺ قال : من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق (٣) .

وهناك روايات كثيرة ورد فيها وعيد شديد فى هتك عرض المسلم فيجب على الدعاة والمبلغين أن يكونوا محترسين عند قيامهم بالنهى عن المنكر فلا يقعوا فى هتك عرض ، فأن كان المنكر خفياً وجب أن يكون التنبيه عليه خفياً وإذا كان علناً فيكون التنبيه عليه علانية، وكلما قام الداعى بالتنبيه والنهى عن منكر غيره وجب عليه أن يهتم بأن لا تكون طريقته مسيئة إلى كرامة من ينهاه و ينصحه حتى لا يحصل له من هذا العمل الحسن شر بدل الخير الذى يريده

---

(١) رواه ابن ماجة الترغيب .

(٢) رواه أبو داؤد نقلا عن خير المواعظ .

(٣) رواه أبو داؤد نقلا عن تلخيص الأخبار .

و يطلبه لنفسه من ذلك .

فالحاصل أنه يجب على الرجل أن يقوم بانكار المنكر لأن النذر التي ذكرناها سابقاً شديدة و لكن الواجب عليه أن يكون محترساً من أن ينال من عرضه و كرامته و أحسن طريقة في ذلك أن يبدى استكاره للسيئة علانية إذا أتى بها صاحبها علانية ، ولكن السيئة التي لم يأتها صاحبها إلا سراً فعليه أن لا يقوم نحوها بأمر يكشف ما خفى من حاله كما أن الحكمة في الدعوة تقتضى أيضاً أن يكون الداعى رقيقاً في عمله مع الناس .

لقد نصح رجل الخليفة العباسى مأمون الرشيد بطريقة جافية غليظة فقال له : كن لطيفاً في نصيحتك ، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى موسى و هارون عليهما السلام و هما خير منك إلى فرعون وهو شر منى فقال لهما ،فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى .

عن أبي أمامة قال فتى من قريش يا رسول الله إئذن لى في الزنا ! فأقبل القوم عليه و زجروه فقال : أدنه فدنا فقال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلنى الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، ثم قال له مثل ذلك في ابنته و أخته و وخالته في كل ذلك يقول : أتحبه لكذا ؟ فيقول : لا والله جعلنى الله فداك فيقول ﷺ : ولا الناس يحبونه فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه و طهر قلبه و حصن فرجه فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شئ (١) .

---

(١) لأحمد و البر نقلا عن جمع الفوائد باب آداب العلم .

على كل فيجب على الداعى أن يستعمل ما يسعه من الدعاء و الدواء و الوعظ و اللطف فى تذكير الناس بل ليتخيل نفسه فى مكانهم ثم يتصور ما هو الطريق الذى كان يستحسنه للتذكير والنهى عن المنكر .



الفصل الخامس

التذرع بالاخلاص والايمان وبطلب رضا الله سبحانه فى كل عمل

أقدم فى هذا الفصل نصيحة إلى الدعاة و المبلغين الكرام وهى أنه يجب عليهم أن يزينوا بالاخلاص والنصيحة كل ما يقومون به من خطابة أو كتابة فى سبيل الدعوة لأن الاخلاص يجعل العمل الصغير كبيراً جداً فى ثمراته الدينية و نتائجه المادية ، وأما إذا فقد الاخلاص من عمل فيصبح العمل بتجرده عنه فاقد الأثر و الفائدة فى الدنيا و الآخرة جميعاً .

قال النبى ﷺ : إن الله لا ينظر إلى صوركم و أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم (١) .

---

(١) مشكاة عن مسلم .

و قد ورد عن أبي فراس (رجل من أسلم) قال نادى رجل فقال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال الاخلاص (١) .

وعن معاذ بن جبل أنه قال ـ حين بعث إلى اليمن ـ يا رسول الله! أوصني ، قال أخلص دينك يكفك العمل القليل (٢).

عن أبي أمامة قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر و الذكر ماله ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا شئ له ، فاعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ: لا شئ له ، ثم قال : إن الله عزوجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً و ابتغي به وجهه (٣) .

و ورد في حديث آخر أن الله تعالى قال : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه . و في رواية فأنا منه بريئ فهو للذي عمله . [مشكاة عن مسلم]

عن أبي سعيد بن أبي فضالة وكان من الصحابة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا جمع الله الأولين و الآخرين يوم القيامة ـ ليوم لا ريب فيه ـ نادى مناد : من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فان الله أغنى الشركاء عن الشرك . [رواه الترمذي و ابن ماجة و ابن حبان نقلا عن نفس المصدر ج ١ ص ٩٦ .

---

(١) رواه البيهقي نقلا عن الترغيب ج ١ ص ٥٤ .

(٢) رواه الحاكم نقلا عن الترغيب ج ١ ص ٥٤ .

(٣) رواه أبو داوٗد و النسائي نقلا عن الترغيب .

و فى حديث آخر : من صلى يرائى فقد أشرك ، ومن صام يرائى فقد أشرك ومن تصدق يرائى فقد أشرك .

[مشكاة عن أحمد]

وقد ورد فى حديث آخر : إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال : فما عملت فيها قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقـال جريئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، و رجل تعلم العلم وعلمه و قرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال تعلمت العلم و علمته و قرأت فيك القرآن، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال أنك عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، و رجل وسع الله عليـه و أعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب به على وجهه ثم ألقى فى النار . (١)

فمن أهم الأمور و أوجبها أن يعتنى الدعاة والمبلغون الكرام فى جميع جهودهم و محاولاتهم الدعوية بأن يكون رضا الله سبحانه و تعـالى و اتباع سنـة رسوله ﷺ مقصودهم و مطلوبهم .

---

(١) مشكاة عن مسلم .

وأن يعتنوا بأن لا يمسهم فيها طلب سمعة أو عزة أو مدح أبداً و إذا خطر ببالهم منها شئ فعليهم أن يدفعوها عنهم و يصلحوا أمرهم فيها ، و أدعو الله سبحانه و تعالى لنفسى الحقيرة المذنبة أن يرزقنى كذلك الاخلاص فى أعمالى كلها بكرمه وببركته و بركة أحاديث نبيه الكريم . آمين



الفصل السادس

توقير العلماء و الصالحين وعدم الاستخفاف بهم

فى هذا الفصل أن ألفت نظر عامة المسلمين إلى أمر خاص وهو أن كثيراً من الناس إنما يرون إلى العلماء بعين مختلفة ، فلا يبلغ نظرهم إليهم إلى حد الاعراض عنهم و سوء الظن بهم لحسب ، بل وإلى مناوئتهم و تحقيرهم فى كثير من الأحيان ، و ذلك قبيح جداً و خطر على المكانة الدينية التى يحتلها هؤلاء الناس المخالفون ، أقول ذلك و أعترف بأن جماعة العلماء تشتمل على أفراد سوء أيضاً ، و بمثالها نجد فى كل جماعة من جماعات الناس و أمم

يشتملون على أفراد صدق أيضاً ، و إذا افترضنـــا أن نسبة أفراد السوء في طبقة العلماء أكثر من أفراد السوء فى طبقة أخرى وعلماء السوء مخالطون بعلماء الحق ، فالذى تجب مراعاته و العناية به هو أن لا يوصف أحد من العلماء بالسوء ما لم يتحقق أنه من أصحاب السوء، فقد جاء فى القرآن المجيد « ولا تقف ما ليس لك به علم • إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا » .

و من الظلم المبين أن ترفض نصيحة رجل لأنه يخيل إليك من علماء السوء .

و عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم و قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا [رواه البخارى] نقلا عن مشكاة المصابيح ج ١ باب الاعتصام بالكتاب و السنة .

فالحاصل من ذلك أن رسول الله ﷺ قد نهى المسلمين عن أن يصدقوا ما نقله الكفار و ترجموه، أما نحن فقد بلغ الأمر بنا إلى حد أن رجلا إذا تكلم بشئ يخالف رأينا فنغضب و نهجم على هـذا الرجل و نسعى لاهدار كرامتـــه و توهين شخصيته و نقصد بذلك إبطـال رأيه و قوله ، و إن كا من المتحقق لنا أن هـــذا الرجل من أهل الحق الصالحين .

و الأمر الثانى الهام هو أن علماء الحق و الرشد و الخير أيضاً لاتخلو نفوسهم من دواعى الطبيعة البشرية ولا معصوم فى الناس

إلا الأنبياء عليهم السلام وحدهم ، فالأخطاء والتقصيرات التى تصدر من العلماء إنما مسؤليتها على أنفسهم، وهو أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى ، إن شاء أخذهم عليها و إن شاء عفا عنهم فيها ، و أغلب الظن فى ذالك هو أن هذه التقصيرات والأخطاء سيغفرها الله تعالى ومن عادة الله سبحانه وتعالى أنه يتلطف فى شأن أولئك الذين تركوا شؤن أنفسهم الدنيوية واشتغلوا بالعمل فى سبيل ربهم ، وانصرفوا إلى هذا العمل، فالمرجو أن يصفح الله عنهم فانه لارحيم مثله ولا كريم غيره ولكنه إذا أراد أن يأخذ هؤلاء على تقصيراتهم ، وذلك اظهاراً لعدله فذلك أمر يتعلق به و له الخيار فى ذلك ، فمعارضة الناس للعلماء لمثل هذه الأسباب وتنفيرهم للناس عنهم وإفساد ظنهم فيهم والسعى لتجنيب الناس عنهم لا يجر إلا إلى فساد دين الناس ويكون وبالا عظيماً لفاعليه .

وقد قال النبي ﷺ : إن من إجلال الله تعالى اكرام ذى شيبة المسلم و حامل القرآن غير الغالى فيه و لا الجافى عنه و اكرام ذى السلطان المقسط (١) .

و ورد فى حديث آخر : ليس من أمّتى من لم يبجل كبيرنا و يرحم صغيرنا و يعرف عالمنا (٢) و أيضاً عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ قال : ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق ، ذو الشيبة

---

(١) ترغيب عن أبى داؤد .

(٢) ترغيب عن أحمد والحاكم و غيرهما .

فى الاسلام و ذو العلم و إمام مقسط (١) .

و روى عن مالك الأشعرى أنه سمع النبي ﷺ يقول : لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال ، أن يكثر لهم من الدنيا فيتحاسدوا وأن يفتح لهم الكتاب يأخذه المؤمن يبتغى تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا . و ما يذكر إلا أولوا الألباب ، وأن يروا ذا علم فيضيعوه و لا يبالوا عليه (٢) .

فاذا كان الأمر أن الراسخين فى العلم أيضاً لا يجترون بالتجاوز عن تصديقها فكيف يليق بالعامة أن لا يرضوا لقبولها إلا بالمراء والانكار، أما الأمر الثالث فهو أن يضاع حق العلماء وأن لا يهتم بشأنهم .

ذكر صاحب كتاب الترغيب هذا الحديث برواية الطبرانى كما وردت روايات أخرى كثيرة فى هذا المعنى فى كتب الحديث الشريف .

إن النعوت التى يستعملها الناس لعلمائهم و للعلوم الدينية اليوم بوجه عام ، إنما جاء ذكر كثير منها فى كتاب الفتاوى الهندية بأنها كلمات كفر ، و لكن الناس لجهالتهم غافلون عن هذا الحكم فيجب لذلك أن يحتاط الناس احتياطاً شديداً فى استعمال مثل هذه النعوت ، و لو افترضنا أن جميع هؤلآء الذين نسميهم بالعلماء

---

(١) ترغيب عن الطبرانى (٢) رواه الطبرانى فى الكبير نقلا عن المصدر السابق ج ١ ص ١١٥ .

هم علماء السوء فلن ترتفع مسؤليتكم إذن كذلك بمجرد أن تقولوا أنهم علماء السوء بل يكون حينئذ واجباً على جميع المسلمين فى العالم أن ينشئوا جماعة لعلماء الحق و أن يتعلم جميع الناس العلم الدينى لأن وجود العلماء فرض كفاية ، و إذا وجدت جماعة لهذا الغرض سقط هذا الواجب عن الجميع ، وإذا لم يفعلوا ذلك فيقع الذنب على الجميع

و يورد الناس شبهة أخرى بقولهم أن اختلاف العلماء هو الذى جاء بمصيبات كثيرة على العامة ، فهذه الشبهة ربما تكون صحيحة فى بعض جوانبها ولكن الذى لا شك فيه أن اختلاف العلماء هذا ليس ناشئاً منذ اليوم ولا منذ خمسين سنة أو منذ قرن واحد بل إنه ناشئ منذ قرون الخير الأولى منذ زمن النبى ﷺ .

أرسل رسول الله ﷺ صحابيه أبا هريرة رضى الله عنه مرة مع نعليه الشريفتين ر و قال اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت بين وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة فقال فضرب عمر بيده بين ثديى ضربة فخررت لاستى فقال ارجع أبا هريرة) .

ضرب عمر رضى الله عنه على صدره ، حتى سقط أبو هريرة رضى الله عنه على الأرض ولم يحدث على هذا الحادث أى احتجاج ، ولم تلصق إعلانات الاستنكار على الجدران كما يحدث فى هذه الأيام ضد عمل عمر رضى الله عنه .

لقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى آلاف من المسائل

والأحكام ، أما أئمة الفقه الأربعة فقلما توجد مسألة فرعية و إلا و فيه اختلاف بينهم ، و قد وجدت أنا شخصياً مايقى مسألة وقع فيها الاختلاف بين هؤلاء الأئمــة الأربعة فى ركعتين اثنتين من تكبيرة التحريم إلى سـلام الخروج من الصلاة ، أما عنــد غيرى فقد يوجد أكثر من هذا ، و لكنى لا أظن أنك تجد من المسائل ثلاثة أو اثنتين كرفع اليدين أو الجهر بقول آمين كانت شهرتها كبيرة أو ظهرت إعلانات أو عقدت حفلات و مناظرات فى سبيلهـا ، و ذلك لأن جمهور المسلمين غير مطلع على هذه المسائل ، أما فى العلماء فالاختلاف رحمة ، ومن المعروف أن العالم يفتى على دليل شرعى ، فان كان دليـله غـير صـائب فى نظر عالم آخر فلابد من أن يلجأ هذا العالم الآخر إلى الاختلاف عنه ، و إن لم يقم بالاختلاف فى شأنه فانما يكون مداهنا وعاصياً لأمر الله .

الحقيقة أن الناس يلجأون إلى أعــذار باردة سخيفة ليتهربوا بذلك من أداء العمل ، ألا يرون أن الاختلاف يوجد بين الأطباء كثيراً و بين المحامين كذلك ، فهل ترك الناس الرجوع إلى هؤلاء فى طلب العلاج و إلى أولئك للرافعــات القضائيــة ؟ ثم لمــاذا يحتجون باختــلاف العلماء لتركهم العمل الدينى مع أن الذى يؤدى العمل بصـدق و إخلاص فالمرجو فى شأنه أنه يعتمد فى ذلك على رأى العالم الذى يطمئن إلى علمه ويجده متبعاً للسنة السنية وعليه أن يحترز من الطعن والتعريض فى حق الآخرين

فان الذى لا يدرك الدلائل و الحجج و لا يفهمها و لا يستطيع ترجيح بعضها على بعض فليس له من الحق أن يتدخل فى ذلك .

فلقد روى عن النبي ﷺ أن نقل العلم من أولئك الذين ليسوا أهلا له لن يكون إلا إضاعته ولكن الأمر إذا كان معكوساً بحيث لا يرى أى واحد مانعاً من أن يطلق لسانه على قول الله جل و علا وقول رسوله الكريم ﷺ ، فماذا نقول إذن فى حق العلماء فإنهم فى هذا الحال عرضة لكل سوء « و من يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

الفصل السابع

سمات أهل الحق و أهمية صحبتهم

و هذا الفصل تكملة للفصل السابق أقوم فيه بالرجاء من قراء هذه الرسالة أن يعرفوا أن الاتصال بالأخيار من عباد الله وكثرة الحضور فى مجالسهم يزيد قوة فى الأمور الدينية و يسوق الخير والبركات الدينية إلى صاحبها ، قال النبي ﷺ الا أدلك على ملاك هذا الأمر الذى تصيب به خير الدنيا والآخرة ، عليك بمجالس أهل الذكر الحديث [مشكاة ص ٤١٥] .

و لابد من تعريف لخيار عباد الله ، إن صفتهم و علامتهم أنهم يتبعون السنة المحمدية السنية ، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ أسوة لتهتدى به أمته ، فقد قال فى كلامه : « قل إن

كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » فكل من يكون صـــادقاً فى اتباع النبى ﷺ فانما يكون من خيرة عباد الله سبحانه و تعالى و كل من يكون بعيداً عن هذا الاتباع يكون بعيداً عن القربة عند الله ، و قد كتب المفسرون أن الذى يزعم لنفسه محبة الله وهو مخالف لسنة رسول الله ﷺ فهو كاذب ، لأن قانون المحبة يقتضى لمن يحب أحداً أن يكون محباً لداره وفناء بيته ، و جدرانه ، و بستانة ، حتى لكلبه وحماره

أمر على الديار ديار ليلى   أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

و يقول :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه   وهذا لعمرى فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قيل : و من أبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة و من عصانى فقد أبى (١) .

و قد ورد مرفوعاً ، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به .

و مما يبعث على الحيرة و العجب أن الذين يزعمون لأنفسهم الاخلاص و النصيحة للاسلام و المسلمين هم بعيدون كل البعد عن

---

(١) رواه البخارى نقلا عن مشكاة المصابيح باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

الطاعة لله و لرسوله وقد يبلغ من صفاقتهم أنك إذا قلت أمامهم أن العمل الفلانى لا يتفق مع أوامر رسول الله ﷺ ولا يوافق سنته فكأنك طعنتهم برمح .

كل من يسير على طريق غير طريق الرسول عليه السلام لن يكون وصوله إلى المقصود ، على كل فان الواجب على كل من يعلم عن أحد أنه من خير عباد الله سبحانه و تعالى أن ينشئ معه الاتصال و يحضر فى مجالسه بكثرة و أن ينتفع بعلومه فذلك طريق للرقى الدينى و هو من أوامر النبي ﷺ كذلك

و ورد عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله : وما رياض الجنة ؟ قال مجالس العلم (١) .

عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : إن لقمان قال لابنه يا بنى عليك بمجالس العلماء واسمع كلام الحكماء فان الله ليحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر .

[رواه الطبرانى فى الكبير نقلا عن نفس المصدر]

عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله : أى جلسائنا خير؟ قال : من ذكركم الله رويته و زاد فى علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله (٢) .

و قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين » و كتب المفسرون أن المراد من الصادقين هنا هم

---

(١) رواه الطبرانى نقلا عن الترغيب ج ١ ص ١١٢

(٢) رواه أبو يعلى نقلا عن نفس المصدر .

أصحاب تربية النفس و التزكية ، فان الذى يصحبهم ينال من تأثير تربيتهم و قوة الولاية التى هم عليهـا فيتمكن بها من إحراز المراتب الدينية العالية .

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة و غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة و ذكرهم الله فيمن عنده [رواه مسلم والترمذى و ابن ماجة ـ نقلا عن الترغيب] .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات (١) .

و عنه و عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله عز وجل فيه و يصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب .

[الترغيب]

ومن دعوات سيدنا داؤد عليه السلام : « يا رب إن رأيتنى أخرج من مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى » .

يقول أبو هريرة رضى الله عنه : إن المجالس التى يذكر الله

---

(١) رواه أحمد نقلا عن نفس المرجع .

فيها إنما تتلألأ لأهل السماء كما تتلألأ النجوم لأهل الأرض .

خرج أبو هريرة رضى الله عنه يوماً إلى السوق و خاطب الناس بقوله « إنكم جالسون هنا و تراث رسول الله ﷺ يقسم فى المسجد فجرى الناس إلى المسجد فلم يجدوا شيئاً يقسم فيه ، فرجعوا و قالوا له لا يقسم فى المسجد شئ ، فسألهم أبو هريرة رضى الله عنه ، ماذا كان هناك قال الناس وجدنا رجالا بعضهم بتلاوة القرآن فقال هذا هو تراث رسول الله ﷺ .

و من دعوات سيدنا داؤد عليه السلام « يا رب إن رأيتنى أخرج من مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى » .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال : يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا وما ذاك يا أباهريرة ؟ قال ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم و أنتم ههنا ، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه قالوا وأين هو ؟ قال فى المسجد ، فخرجوا سراعاً ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم ما لكم ؟ فقالوا يا أباهريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم فقال لهم أبو هريرة : و ما رأيتم فى المسجد أحداً قالوا بلى رأينا قوماً يصلون و قوماً يقرؤن القرآن و قوماً يتذاكرون الحلال و الحرام فقال لهم أبو هريرة و يحكم فذاك ميراث محمد ﷺ .

[رواه الطبرانى باسناد حسن ، الترغيب ج ١ ص ٢٠٢]

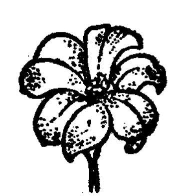
لقد ذكر الامام الغزالى روايات كثيرة من هذا القبيل

و أعظم من ذلك كله هو قول الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة و العشى يريدون وجهه و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه و كان أمره فرطا »

و قد ورد فى روايات عديدة أن النبى ﷺ كان يشكر الله جل جـــلاله و يقول إنه خلق فى أمتى رجالا أمرت بصبر نفسى معهم ، وورد فى هذه الآية الكريمة ذكر جماعة أخرى تكون قلوبها غافلة عن ذكر الله و هم يتبعون أهواءهم و كان أمرهم فرطا فنهى الله نبيه عن اتباعهم .

فليفكر هؤلاء الناس يتخذون الكفار والفساق قدوة وأئمة لهم فى كل شأن من شئونهم سواء كان من أمور الدنيا أو أمور الدين و يتفانون حباً و فداء للمشركين و النصارى فليفكر هؤلاء ما هو الطريق الذى أصبحوا اليوم يسلكونه .



مكانة الصلاة فى الاسلام

و

أهميتها فى حياة المسلم

تأليف

العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا ابن الشيخ الكبير المحدث الفقيه محمد يحيى الكاندهلوي

تقديم

للاستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي

نقله إلى العربية

الأستاذ محمد الحسنى

رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى » الشهرية

ادارهٔ اشاعتِ دینیات (پرائیویٹ) لمیٹڈ

۱۶۸/۲-جھاہاؤس حضرت نظام الدینؒ، نئی دہلی ۱۱۰۰۱۳ (انڈیا).

بسم الله الرحمن الرحيم

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .

[قرآن كريم]

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده ورسوله ، و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، و الحج ، وصوم رمضان .

[متفق عليه]

الطبعة الأولى

عام ١٣٩٣هـ المصادف ١٩٧٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين و إمام المتقين محمد ، و آله و صحبه الغر الميامين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، أما بعد — « فقد كانت الصلاة المشروعة فى الاسلام استجابة لغريزة البشر النوعية ، غريزة الافتقار و الضعف و الطلب ، و غريزة الالتجاء و الاعتصام ، و الدعاء و المناجاة ، و الاطراح على عتبة القوى الغنى ، الجواد الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الحافظ المانع ، المعطى الباذل ، العليم الخبير ، السميع المجيب ، و استجابة لغريزة الشكر والوفاء ، وغريزة الحب و الحنان ، و غريزة الخضوع والتواضع ، و العبودية و التذلل ، فهو فى ذلك كالسمك لا يعيش إلا فى الماء ، و إذا أخرج من الماء لم يزل فى حاجة إلى الماء ، و فى حنين و فى فرار و التجاء إليه ، و ذلك معنى قول رسول الله ﷺ : « و جعل قرة عينى فى الصلاة » (رواه النسائى) و قوله لمؤذنه بلال : « يا بلال أقم الصلاة ، أرحنا بها » (رواه أبو داؤد عن رجل من خزاعة من أصحاب النبي ﷺ « كتاب الأدب ، باب فى صلاة العتمة »)

و كانت الصلاة أقرب إلى المؤمن وأكثر إيواءاً ، و أسرع نجدة و إسعافاً ، و أسخى و أحنى و أعطف عليه من حجر الأم الرؤوم الحنون ، على الطفل الشريد الفريد ، اليتيم الضائع ، الضعيف العاجز ، كلما عوكس أو هدد ، و كلما أصابه الروع أو الفزع ، أو مسه الجوع أو العطش ، أوى إلى أمه فرمى نفسه فى أحضانها. أو تشبث بأذيالها ، كذلك الصلاة معقل المسلم و ملجؤه ، الذى يأوى إليه ، و العروة الوثقى التى يعتصم بها و الحبل الممدود - بينه و بين ربه - الذى يتعلق به ، و هو غذاء الروح ، و بلسم الجروح ، ودواء النفوس ، و إغاثة الملهوف ، وأمان الخائف ، و قوة الضعيف ، و سلاح الأعزل ، ولذلك يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة إن الله مع الصابرين » (١) و لذلك كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، فعن حذيفة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى (٢) و روى أبو الدرداء كان النبي ﷺ إذا كان ليلة ريح شديدة كان مفزعه إلى المسجد حتى تسكن الريح ، إذا حدث فى السماء حدث من خسوف شمس أو قمر كان مفزعه إلى الصلاة حتى ينجلي(٣) » وليست الصلاة قالباً حديدياً ، وشيئاً جامداً محدوداً ، يتساوى فيه الناس ، و يتوقف المصلى فيها على مستوى واحد لا يتجاوزه ، إنما هى ساحة واسعة يتدرج فيها المصلى من حال إلى حال ، و من بدء إلى كمال ، و من كمال إلى مالا يخطر

(١) سورة البقرة الآية ١٥٣ (٢) رواه أبو داؤد .
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير و فيه زياد بن صخر

على البال ، و يتفاضل فيها الناس تفاضلا كبيراً ، فليست الصلاة مع الغفلة والجهل ، مثل الصلاة مع الاستحضار والتفقه ، وليست صلاة عامة المسلمين مثل صلاة العارفين ، وأهل اليقين ، ولا يجب أن تكون صلاة كل أحد فى اليوم مثل صلاته بالأمس ، و قبل شهور و سنين » .

« و من واجبات هذه الأمة وعلمائها و مربيها ، بالأخص ، أن لا ينقطع هذا الارث و أن لا تضيع هذه الثروة المباركة ، و أن لا ينطفئ هذا النور مهما تغيرت الأوضاع و غزت المادة القلوب والنفوس ، فانها خسارة لا تعوض بشئ ، وفراغ لايملأ بأكبر قسط من الأحكام الفقهية ، و أسرار التشريع ، و ذلاقة اللسان ، و سيلان القلم ، و لا أمل فى حركة إصلاحية أو محاولة لبعث إسلامى ، إلا إذا ألهبت جذوة الايمان ، والحب والحنان ، فى نفوس أصحابها و دعاتها ، و أعادت إلى الأمة — عن طريق دعوتها و تربيتها وجهادها — ظلال تلك الصلاة الخاشعة الرقيقة ، التى امتازت بها القرون المشهود لها بالخير ، و عرفت كيف تقوم أمام ربها فى الصلاة قبل أن تعرف كيف تقف أمام عدوها ، وفى المشكلات والأزمات ، و صدق إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، إذ قال : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها » وصدق الله العظيم : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون (١)» .

---

(١) العبارات التى هى بين هلالين مقتطفة من كتابنا « الأركان الأربعة » صفحة ٢٩ / ٣٠ / ٨٥ / ٨٦ / ٩١ .

و لم ينقطع هذا الارث و لم ينطفئ هذا النور رغماً عن الغارات المتصلة التى شنت على جسم هذه الأمة وروحها، وتراثها و ذخائرها ، و رغماً عن العواصف الهوجاء التى هبت لاطفاء هذا النور ، وذلك بفضل جهاد العلماء الربانيين ، والدعاة و المصلحين ، و الفقهاء و المحدثين ، و أهل القلوب و أصحاب اليقين ، و العباد الخاشعين . الذين تذوقوا الصلاة ، و وجدوا فيها لذة لا توصف بألفاظ ولايفى بها تعبير، وهبت عليهم فيها نفحات الجنة وروائحها، وذلك تارة بالعمل والتمثيل ، وطوراً بالتعليم و التلقين ، وأخرى بالتصنيف و التأليف .

و قد ألف كبار الأئمة و جهابذة هذه الأمة فى موضوع الصلاة ، و فقهها و أحكامها ، و سننها و آدابها ، و روحها و خشوعها ، و حكمها وأسرارها ، وفى وصف صلاة النبى ﷺ وفى ما ورد فيها من الفضائل ، كتباً ورسائل فى القديم والحديث لا تمكن الاحاطة بها لكثرتها . اشتهر من بينها فى القديم رسالة « الخشوع فى الصلاة » للامام أحمد بن حنبل ، و كتاب « قيام الليل » لتلميذه الكبير محمد بن نصر المروزى ، هـذا عدا كتب السير والتراجم و الطبقات التى احتوت على أخبار وحكايات لصلاة الخاشعين من هذه الأمة وعبادها . مثل كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم، و « صفوة الصفوة » لابن الجوزى ، و « إحياء علوم الدين » للغزالى ، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » لابن القيم ، وكثير من كتب المشايخ التى اشتملت على مادة

غزيرة و ثروة كبـيرة من القصص و الحكايات ، التي تؤثر في القلوب ما لا تؤثر البحوث العلمية ، والتفريعات الفقهية ، وتشحذ العزم ، و ترفع الهمم .

و قد كان لجميع هذه الكتب و مؤلفيهـا في فضل التعريف بحقيقة الصلاة و لبابها ، و الوقوف على سننها وآدابها ، و الاهتمام بالخشوع و القنوت فيها ، و شدة المحافظة عليها ، و التهالك في سبيلها ، وتقليد الربانيين والقانتين « الذين هم في صلاتهم خاشعون ، و الذين هم عن اللغو معرضون » و الذين « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً ومما رزقناهم ينفقون » جزاهم الله خير الجزاء و كافأهم على صنيعهم أحسن مكافأة .

و من هذه السلسلة المباركة — التي لم تنقطع ولا تنقطع — هذه الرسالة المباركة لشيخنا العلامة المحدث الجليل ، والمربي الكبير ، الشيخ محمد زكريا بن يحيي الكاندهلوي ، نفع الله بعلومه ، ألفها سنة ١٣٥٨ﻫ (١) بارشاد عمه المصلح الكبير و الداعية الشهير، مولانا

---

(١) و في آخر هـذه الرسالة إشعار بتمامها في ٧ محرم سنة ١٣٥٨ ﻫ ، و قد أهدى إمام دعوة التبليغ الشيخ الجليل مولانا محمد إلياس الكاندهلوي إلى هذه الرسالة في أول زيارتي له في ذي القعدة ١٣٥٨ﻫ وكانت حديثة الظهور و كتب بقلمه ـ و قد هجرت الكتابة منذ زمان ـ أهدى هذا الكتاب إلى عملا بالوصية النبوية « تهادوا و تحابوا » و كان شرفاً عظيما لي و لم أكن أعرف في ذلك الوقت أني يكون لي شرف التقدم لترجمته العربية و لله الحمد أولا و آخراً

محمد إلياس الكاندهلوي رحمة الله عليه ، لتتداولها جماعة التبليغ و الدعوة قراءة و درساً ، و تلقيناً و تعليما ، وتأملا ومراجعة ، فكان الاعتماد عليها ، و الاشتغال بها فى جولات هذه الجماعة و تنقلاتها ، و فى دروسها و مواعظها ، و أصبحت من الكتب الأساسية و المقررات الدراسية لهذه الجماعة ، بصفة خاصة ، وللمشتغلين بالدعوة ، و المعنيين بأمر الصلاة ، و الراغبين فى الدين بصفة عامة ، و كتب لها من القبول و الانتشار ، و الشهرة و الذيوع ، و تداول الأيدى ، و إقبال الناس مالم يكتب لأى رسالة دينية فى « أردو » لغة المسلمين فى شبه القارة الهندية ، وظهرت لها طبعات تفوق العد والاحصاء ، وانتفع خلق وخلق ، لا يحصون بحد و عد .

و قد نهج فيها المؤلف نهج المؤلفين فى فضائل الأعمال و الأخلاق ، و الترغيب والترهيب ، و توسع فيها بعض التوسع شأن المؤلفين فى هذا الموضوع ، واعتنى بحكايات الصالحين ، والعباد الخاشعين ، المرققة للقلوب ، المؤثرة فى النفوس ، وضم إليها فوائد علمية و حديثية ، و أضاف إليها حكايات مشايخ العصر الأخير ، و صلحاء هذا الجيل ، لأنها أكثر إثارة للهمم الخامدة ، و أكثر بعثاً للعزائم الفاترة ، و حيث أورد حديثاً فيه ضعف أو لين ، أو كلام للمحدثين ، بين ضعفه وذكر نقد أهل الصناعة له ، فجاء هذا الكتاب الصغير جامعاً بين أمانة المحدث ، و نزاهة العالم ، وتأثير الواعظ ، و صحة المربى ، لذلك كان نفعه

عاماً لطبقات المسلمين .

و قد نقله إلى العربية ابن أخى الأستاذ محمد الحسنى رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى » و هو كاتب إسلامى مرموق عرفه القراء فى العالم العربى بمقالاته الاسلامية و افتتاحياته القوية ، لينتفع به أولا ، و ينتفع به القراء ثانياً ، فقد انتشرت هذه الدعوة فى الأقطار العربية ، وجماعات التبليغ فيها فى غدو و رواح ، فاشتد الطلب لنقل الكتب التى عليها الاعتماد فى دروس هذه الجماعة و تعليمها ، و قد تناولنا الترجمة بشئ من التعديل و التلخيص ، لم يفقد الكتاب تأثيره و وقعه فى القلوب ، نظراً إلى اختلاف البيئات و العقليات ، ندعو الله مخلصين أن ينفع بهذه الترجمة كما نفع بأصلها ، و جعلها ذخراً للمترجم ، و لمن سعى فيها و أعان عليها ، و « الله لا يضيع أجر المحسنين » .

أبو الحسن على الحسنى الندوى
دار عرفات ، رائے بریلی
(الهند)

لليلتين خلتا من ذى الحجة الحرام ١٣٩٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

أما بعد فقد عم فى هذا الزمان من الرغبة عن الدين و اللامبالاة به ما لا يحتاج إلى برهان ، و كانت الصلاة من تلك الفرائض الدينية و الأركان الاسلامية التى طوتها الغفلة و النسيان و قلة العناية و الاهتمام مع أنها أولى و أهم من سائر العبادات بعد الايمان اتفق عليها الأمة و الأئمة و هى أول ما يسأل المرء عنها يوم القيامة ، و ما وجدت دعوة دينية تعتنى بأهم العبادات فى الاسلام حق العناية والاهتمام فظهر لنا ، بعد تجارب عملية فى هذا المضمار أن نركز على هذه الناحية و نستعين فى ذلك قبل كل شئ بالتعاليم النبوية و أحاديث الرسول ﷺ القدسية .

و بدت لى بعض العوائق فى هذا السبيل و لكن حاولت جهدى راجياً من الله سبحانه أن هذه الأحاديث الشريفة و الآثار المباركة ستؤثر إن شاء الله فى الذين صفت أذهانهم و سلمت طبائعهم ، ففى هذا الكلام المبارك و صاحبه العظيم كل خير و نفع و قد ألح على بعض الاخوان المخلصين أن أقوم ببعض الواجب فى هذا الباب وعقدوا آمالا كباراً فى النجاح و التوفيق و القبول والتأثير ، فصحت نيتى أخيراً على أن أجمع نبذة طيبة من أحاديث الرسول ﷺ حول الصلاة ، و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت

و إليه أنيب » .

الناس فى الصلاة ثلاثة أنواع ، نوع لا يبالى بالصلاة مطلقاً و لا يفكر فيها ، و نوع يعنى بالصلاة ولكنه لا يعنى بالجماعة ، و نوع يصلى مع الجماعة و لكنه لا يهتم بها ، ولا يعتنى بشروط الصلاة و آدابها ، يصلى و هو عنها ساه غافل ، فرأيت أن أقدم خلاصة ما جاء من الآثار و الأحاديث فى هـــذه الأنواع الثلاثة و أكتب مفاهيمها و معانيها باختصار .

ما جاءفى فضائل الصلاة

عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : بنى الاسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً عبده و رسوله ، و إقام الصلاة ، و إيتـــاء الزكاة و الحج و صوم رمضان (متفق عليه) وقال المنذرى فى الترغيب : رواه البخارى و مسلم و غيرهما عن غير واحد من الصحابة .

فائدة

إن هذه الأركان من أهم أركان الايمان و أسس الاسلام ، شبه رسول الله ﷺ الاسلام فى هذا الحديث بخيمة تقوم على خمسة أعمدة فكلمة الشهادة عمودها الوسط ، و الأركان الباقيـــة تمسك الخيمة من جهاتها الأربع ، فاذا سقط العمود الوسط سقطت الخيمة ، أما إذا قام هذا العمود قامت الخيمة ، و لكنها تكون ناقصة إذا فقد أحد أعمدتها الباقية .

فلننظر فى نفوسنا و فى أحوالنا هل أقمنا خيمة الاسلام ، وإلى أى مدى أقمناها ، وماهو العمود الذى أقمنا عليه الخيمة ؟ إن صرح الاسلام يقوم على هذه الأركان الخمسة و لابد لكل مسلم — رضى بالاسلام ديناً وعقيدة ومنهاجاً — أن يهتم بجميع هذه الأركان غاية الاهتمام ، و لكن الصلاة أولى وأهم من سائر هذه الأركان فليكن اهتمامنا بها أكثر و أشد .

جاء فى صحيح البخارى : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبدالملك قال حدثنا شعبة قال الوليد بن العيزار أخبرنى قال سمعت أبا عمر الشيبانى يقول حدثنا صاحب هذه الدار و أشار إلى دار عبد الله قال سألت النبى ﷺ أى العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها قال ثم أى قال ثم بر الوالدين قال ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله قال حدثنى بهن و لو استزدته لزادنى [صحيح البخارى] .

إن هذا الحديث حجة للعلماء بأن الصلاة تتبع الايمان فى الأهمية و يصدقه الحديث الذى جاء فيه « الصلاة خير موضوع » يعنى أن الصلاة أفضل الأعمال التى فرضها الله تعالى على عباده .

و جاء فى الأحاديث الصريحة الصحيحة أن أفضل أعمالكم الصلاة و روى هذا الحديث فى الجامع عن ثوبان و ابن عمر ، وسلمة وأبى أمامة وعبادة رضى الله عنهم ، وروى عن ابن مسعود و أنس رضى الله عنهما أن أفضل الأعمال الصلاة فى وقتها .

[جامع الصغير]

و روى عن ابن عمر و أم فروة رضى الله عنهما أن أفضل العبادات الصلاة فى وقتها ، والغاية من كل هذه الأحاديث متقاربة .

عن أبى ذر أن النبى ﷺ خرج فى الشتاء و الورق يتهافت فأخذ بغصن من شجرة قال فجعل ذلك الورق يتهافت فقال يا أباذر قلت لبيك يا رسول الله قال إن العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت ذنوبه كما تهافت هذا الورق على هذه الشجرة . رواه أحمد باسناد حسن ، كذا فى الترغيب .

فائدة

إن أوراق الأشجار تسقط فى أيام الشتاء حتى يتجرد بعض الأشجار عن أوراقها وذلك مثل المؤمن كما قال ﷺ فان الله تعالى يغفر ذنوب عبده المؤمن إذا صلى صلاته باخلاص ، ولكن لابد هنا من تأمل فقد تحقق عند العلماء بعد دراسة الكتاب و السنة أن الكبائر لا تغفر إلا بالتوبة ، أما الصغائر فقد تمحوها الصلاة و غيرها من العبادات . و لذلك لابد لنا من التوبة والاستغفار إلى جانب اهتمامنا بالصلاة . أما إذا غفرالله لعبد كبيرته فهو فضل منه و رحمة و حكم الشرع فيها ثابت واضح كما سبق .

عن أبى عثمان قال : كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصناً منها يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال يا أبا عثمان ألا تسألنى لم أفعل هذا ؟ قلت لم تفعله ، قال هكذا فعل بى رسول الله ﷺ و أنا معه تحت الشجرة، و أخذ منها غصناً يابساً فهزه حتى تحات ورقه . فقال ياسلمان ألاتسألنى لم أفعل هذا، قلت : ولم تفعله

قال إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت عنه خطاياه كما تحات هذا الورق و قال : « أقم الصلاة طرفى النهار و زلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئآت ذلك ذكرى للذاكرين . رواه أحمد و النسائى و الطبرانى و رواه أحمد محتجاً بهم فى الصحيح إلا على بن زيد ، كذا فى الترغيب] .

فائدة

إن هذا العمل الذى قام به سلمان رضى الله عنه مثل صغير لحب الصحابة رضى الله عنهم بالنبى ﷺ فاذا أحب إنسان أحداً أحب كل ما صدر عنه من قول و عمل وأراد أن يحاكيه فى كل صغير و كبير و يقلده فى كل أمر ، ولا يعرف حقيقة هذا القول إلا من ذاق لذة الحب ، و لذلك نرى الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يمثلون عمله ﷺ حينما كانوا يرون عنه فى أكثر الأحيان.

إن ما جاء فى الأحاديث من الاهتمام بالصلاة ، و محوها للذنوب و السيئآت كثير يصعب الاحاطة به ، و قد سبق ذكره فى ما قدمنا من الأحاديث فى هذا الصدد ، نحن نرى أن هذه الأحاديث لم تفرق بين الكبائر و الصغائر فى أمر الصلاة بل إنها ذكرتها فى صيغة عامة ، و إنما فرق بينهما العلماء كما تقدم ، و قد سمعت والدى يقول إن ذلك يعود إلى وجهين :

الوجه الأول : إن الكبيرة تنافى مكانة المسلم ، و يبتعد عنه أن يقع فى كبيرة ثم لا يتوب عنها و لا يندم حتى تأتى الصلاة

فتمحوها ، فعزيز عليه أن يأتى كبيرة ، و أدهى من ذلك و أمر أن يبقى على هذه الحالة من غير توبة واستغفار ، فان المسلم الصادق لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال إذا صدرت عنه كبيرة حتى يطهر نفسه عنها بالتضرع والنوحة والبكاء ، إلا الصغائر فانها لا تستلفت الأنظار فى الغالب ، و تبقى فى ذلك المسلم حتى تمحوهـا فيما بعد الصلوات و العبادات .

و الوجه الثانى فيه أن الرجل الذى يصلى الصلاة باخلاص و يراعى آدابها ومستحباتها يكرر التوبة و الاستغفار بطبيعة الحال فان دعاء التشهد الأخير «اللهم إنى ظلمت نفسى إلخ » هواستغفار كله و توبة كلها .

إن هذه الأحاديث تأمر باسباغ الوضوء أيضاً ، و معناه أن يعنى المرء بآدابه و مستحباته عناية تامة ، كما أن السواك من سنن الوضوء الذى أهمله الناس بصورة عامة مع أن الحديث يدلنا على أن صلاة السواك أفضل من الصلاة بغيره بسبعين ضعفاً .

و جاء فى حديث آخر : « قال رسول الله ﷺ : عليكم بالسواك فان فيه عشر خصال : يطهر الفم ، ويرضى الرب ، ويسقط الشيطان ، و يحبه الرحمن والحفظة ، و يشد اللثة و يقطع البلغم ، و يطيب النكهة ، ويطفئ المرة ، ويجلى البصر ، و يذهب البخرة ، و هو من السنة ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : الصلاة بالسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك (منبهات) و قالت العلماء : إن فى السواك سبعين فائدة أهمها أنه يذكر كلمة الشهادة عند الموت

وأن فى تعاطى الأفيون والمخدرات (بالعكس منه) سبعين ضرراً أهمها نسيان كلمة الشهادة عند الموت .

وقد زخرت أحاديث الرسول ﷺ بفضائل إسباغ الوضوء على المكاره ، و أن أعضاء الوضوء ستكون غرة محجلة يوم القيامة و بها يعرف رسول الله ﷺ أفراد أمته ، فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : فقال رجل : كيف تعرف أمتك يا رسول الله من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك ، قال هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس لأحد كذلك غيرهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أرأيتم لوأن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ ، قالوا : لا يبقى من درنه شئ ، قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحوالله بهن الخطايا [رواه البخارى و مسلم و الترمذى ، و النسائى ، و رواه ابن ماجة من حديث عثمان ، كذا فى الترغيب] .

عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات [رواه مسلم ، كذا فى الترغيب] .

فائدة

إن الماء الجارى النقى لا يبقى فيه رجس ، و لا تدوم فيه أوساخ و بقدر عمقه يكون نقاؤه و طهره ، و لذلك ذكر فى

الحديث العمق و الجريان معاً ، و بقدر نقاء الماء و صفائه يطهر البدن ، و تزول الأدران ، و كذلك الصلاة الكاملة فهي تطهر المؤمن من ذنوبه و سيئاته كما يطهر الماء الجاري النقي بدنه من أوساخه و أدرانه .

هذا الحديث ورد من عدة طرق من مختلف الصحابة ، و كلها تدل على هذا المعنى .

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : الصلوات الخمس كفارة لما بينها ، ثم قال رسول الله ﷺ أرأيت لو أن رجلا كان يعتمل و كان بين منزله و معتمله خمسة أنهار ، فاذا أتى معتمله عمل فيه ما شاء الله فأصابه الوسخ والعرق فكلما مر بنهر اغتسل أكان ذلك يبقى من درنه ، فكذلك الصلاة كلما عمل خطيئة فدعا و استغفر غفر له ما كان قبلها .

[الترهيب ج ١ ص ٢٣٧]

إن غرض النبي ﷺ من هذه الأمثلة هو التأكيد بأن للصلاة تأثيراً قوياً فى العفو عن الذنوب والمنكرات ، و لما أن التشبيهات والأمثلة أقرب إلى الأذهان و أسهل إلى الأفهام ، فقد كرر هذه الأمثلة لتستوى عظمة الصلاة فى قرارة النفوس ، و سويداء القلوب ، فاذا أهملنا هذه النعمة العظيمة ، و الرحمة الواسعة ، و المغفرة العامة ، و سحائب الجود والكرم ، و العطاء و الانعام ، و اللطف و العفو لم نسئ إلى أحد وإنما أسأنا إلى أنفسنا فقط .

إننا نعصى ربنا و نأتى منكراً على منكر ، و ذنباً على ذنب نغفل عن شرائعه و نهمل أوامره و أحكامه فكان من عين العدل أن نلقى جزاء ذلك جزاءً وفاقاً عند الملك العادل المقتدر ، ونحصد ما زرعناه ، و نرى ما قدمناه لغد ، ولكن الرحمة الالهية ولطفه سبحانه بعباده هدانا رغم كل خطايانا ، إلى طريق نتدارك به مافات و نجبر به ما كسر ، و هو الصلاة .

و ورد فى حديث عن أبى الدرداء رضى الله عنه يبلغ به النبى ﷺ قال من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى ، و كان نومه صدقة عليه من ربه .

فيا لكرمه و عطائه و لطفه بعباده ، و لشؤمنا و خسراننا بالاعراض عنه و عدم الانابة إليه .

عن حذيفة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [أخرجه أحمد وأبوداؤد وابن جرير كذا فى الدر المنثور] .

فائدة

الصلاة رحمة من الله كبيرة ، و الفزع إليها فى ساعة الشدة وحين البأس فزع إلى الله فى الأصل ، فما ظنك برحمة تسارع إلى العبد فى شدته و عند حرجه وضيقه ، هل تبقى عنده لوثة من غم و هم ؟ وهل فى وسع الحزن أن يدوم بعد ما نزلت عليه الرحمة ؟

و قد تكرر هذا المعنى من عدة طرق فى الآثار ، و روى

عن الصحابة رضى الله عنهم الذين اتبعوه ﷺ فى كل شئ ما يدل على هذه المعانى الكريمة ، والغاية الشريفة العظيمة ، ويصدق ذلك كل التصديق ، أخرج ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن أبى الدرداء رضى الله عنـه قال كان رسول الله ﷺ إذا كانت ليلة ريح كان مفزعه إلى المسجد حتى يسكن و إذا حدث فى السماء حدث من كسوف شمس أو قمر كان مفزعه إلى الصلاة [الدر] .

و روى عن صهيب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال كانوا يعنى الأنبياء يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة .

و روى عن ابن عباس أنه كان فى مسير فنعى إليـه ابن له فنزل و صلى بنا ركعتين ثم استرجع و قال فعلنا كما أمرنا الله به ، فقال : « استعينوا بالصبر و الصلاة » .

و أخرج سعيد بن منصور وابن حرب وابن المنذر والبيهقى فى الشعب أنه نعى إليه أخوه قثم ، وهو فى مسير فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطـال فيهما الجلوس ثم قام يمشى إلى راحلته و هو يقول : واستعينوا بالصبر والصلاة ، و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين » [الدر ج ١ ص ٦٨] .

و سنتكلم حول الخشوع فى البـاب الثالث من الكتاب إن شاء الله .

و قد روى عنه أنه خر ساجداً حين نعى إليـه وفاة بعض أزواج النبى ﷺ ، فقيل له : أتسجد هـذه الساعـة فقال : قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم آية فاسجـدوا ، و أى آية أعظم من

ذهاب أزواج النبي ﷺ [أبوداؤد ج ١ ص ١٦٩ باب السجود عند الآيات] .

و أخرج البيهقي في شعب الايمـان عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال لما حضرت عبـادة الوفاة قال أحرج على إنسان منكم يبكي فاذا خرجت نفسي فتوضأوا وأحسنوا الوضوء ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلي ثم يستغفر لعبادة ولنفسه فان الله تبارك و تعالى قال : استعينوا بالصبر و الصلاة « ثم أسرعوا بي إلى حفرتي [الدر المنثور ص ٦٨] .

عن ابن النضر قال حدثني أبي قال كانت ظلمة على عهد أنس بن مالك قال فأتيت أنساً فقلت يا أبا حمزة هل كان يصيبكم مثل هذا على عهد رسول الله ﷺ ، قال معـاذ الله إن كانت الريح لتشتد فنبادر المسجد مخافة القيامة [أبو داؤد] .

عن عبدالله بن سلام قال كان النبي ﷺ إذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ « و أمر أهلك بالصلاة ، الآية » .

و عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ و يحسن الوضوء و ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ، أسألك بموجبات رحمتك و عزائم مغفرتك ، و الغنيمة من كل بر و السلامة من كل إثم ،

لا تدع لى ذنباً إلا غفرته يا أرحم الراحمين ، ولا هماً إلا فرجته و لا حاجة هى لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين .

و لا شك أن الصلاة لا تنقذ الانسان من أهوال القيامة فحسب ، بل إنها تنقذه من مصائب الدنيا كذلك ، أما طمأنينة القلب و راحة الفؤاد فانها من أولى ثمراتها لا يحرم منها عبد مسلم البتة إذا أخلص فيها .

قال ابن سيرين : إذا خيرت بين جنة أدخلها ، و ركعتين أصليها آثرت الصلاة لأن دخول الجنة من رغبات النفس ، أما الصلاة فانها خالصة لوجه الله

عن أبى مسلم التغلبى دخلت على أبى أمامة و هو فى المسجد فقلت يا أبا أمامة إن رجلا حدثنى منك أنك سمعت رسول الله يقول : من توضأ فأسبغ الوضوء وغسل يديه و وجهه ومسح على رأسه و أذنيه ثم قام إلى صلاة مفروضة غفرالله له فى ذلك اليوم ما مشت إليه رجلاه و سمعت إليه أذناه ، و نظرت إليه عيناه ، و حدث به نفسه من سوء ، فقال والله لقد سمعته من النبى ﷺ مراراً [رواه أحمد والغالب فى سنده الحسن ، وتقدم له شواهد فى الوضوء ، كذا فى الترغيب ، قلت و قد روى معنى الحديث عن أبى أمامة بطرق فى مجمع الزوائد] .

فائدة

إن هذا الحديث روى من عدة طرق عن كثير من الصحابة رضى الله عنهم ، منهم عثمان ، و أبوهريرة ، و أنس ، وعبدالله

الصنابحي و عمرو بن عنبسة و غيرهم باختلاف الألفاظ .

و فى رواية عثمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ جاء فيه أن لا يغرن ذالك أحد ، أو كما قال عليه السلام ، و معنى ذالك أن لا تغرنا الصلاة ، فنتعمد المعاصى و السيئآت ، لأن صلاتنا ناقصة بتراء ، لو تقبلها الله سبحانه كان لطفاً منه و كرماً ، إن الصلوات تذهب السيئآت ما فى ذالك من شك ، ولكن هل إن صلاتنا صلاة لائقـة بالقبول عند الله ثم إن ركوب معصية رجاء عفو الله آخر درجة من الوقاحة و قلة الحيـاء ، و مثل ذالك كمثل أب قال إنى صفحت عن أبنائى و عفوت عنهم فتعمد أبنـاؤه مخالفـة أوامره و التمرد عليه لمجرد أنه صفح عن سيئآتهم !

عن أبي‌هريرة قال : كان رجلان من بلى - حى من قضاعة - أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما و أخر الآخر سنـة قال طلحة بن عبيد الله فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذالك فأصبحت فذكرت ذالك للنبي ﷺ أو ذكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أليس قدصام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة و كذا وكذا ركعة صلاة سنة [رواه أحمد باسناد حسن و رواه ابن ماجـة و ابن حبان فى صحيحه ، رواه البيهقى كلهم عن طلحة بنحوه أطول منه و زاد ابن ماجـة و ابن حبان فى آخره ، بينهما أطول ما بين السماء و الأرض كـذا فى الترغيب ، و لفظ أحمد فى النسخة التى بأيدينا أو كـذا أو كذا ركعة ، بلفظ «أو» و فى الدر أخرجه مالك وأحمد و النسائى وابن

خزيمة و الحاكم و صححه و البيهقى فى شعب الايمان عن عامر بن
سعد قال سمعت سعداً و ناساً من الصحابة يقولون كان رجلان
أخوان فى عهد رسول الله ﷺ و كان أحدهما أفضل من الآخر
فتوفى الذى هو أفضلهما ثم عمر الآخر بعده أربعين ليلة ، الحديث ،
وقد أخرج أبو داؤد بمعنى حديث الباب من حديث عبيد بن خالد
بلفظ قتل أحدهما و مات الآخر بعد الجمعة ، الحديث .

إننا إذا اعتبرنا كل شهر تسعة و عشرين يوماً ، و حاسبنا
عشرين ركعة كل يوم من الفرائض و الوتر أصبح عددها تسعة
آلاف و تسع مأة و ستين ركعة يضاف إليه عشرون ركعة كل
شهر إذا كانت عدته ثلاثين يوماً ، أما إذا أضفنا إليها السنن
و النوافل ، فحدث عن البحر و لا حرج .

و قد ذكرت هذه القصة فى ابن ماجة يرى فيها طلحة رضى
الله عنه الذى رأى هذه الرؤيا بنفسه قال : إن رجلين من بلى
قدما رسول الله ﷺ ـ و كان إسلامهما جميعاً ، فكان أحدهما
أشد اجتهاداً من الآخر فغزا المجتهد منهما فاستشهد ثم مكث الآخر
بعده سنة ثم توفى ، قال طلحة فرأيت فى المنام أنا عند باب الجنة
إذ أنابهما فخرج خارج من الجنة فأذن للذى توفى الآخر منهما ثم
خرج فأذن للذى استشهد ثم رجع إلى فقال ارجع فانه لم يأن لك
بعد ، فأصبح طلحة يحدث به الناس فعجبوا لذلك فبلغ ذلك رسول
الله ﷺ و حدثوه الحديث فقال من أى ذلك تعجبون فقالوا يا
رسول الله هذا كان أشد الرجلين اجتهاداً ثم استشهد و دخل هذا

الجنة قبله ، فقال رسول الله ﷺ أليس قدمكث هذا بعده سنة قالوا بلى، قال وأدرك رمضان فصام الآخر وصلى كذا وكذا من سجدة فى السنة قالوا بلى قال رسول الله ﷺ فما بينهما أبعد مما بين السماء و الأرض [ابن ماجة باب تعبير الرؤيا] .

و قد حدثت مثل هذه الأمور لعدة أشخاص فقد روى أبو داؤد قصة صحابيين بينهما ثمانية أيام فالذى توفى بعد أسبوع من صاحبه دخل الجنة قبله .

الحقيقة أننا لاندرك كل الادراك ما للصلاة من أهمية وتأثير و درجة عالية عند الله ، وإلا فما الذى دعا رسول الله ﷺ على أن يعتبرها قرة عينيه و هى ابلغ فى المحبة و لا يمكن التغاضى عنها و الاستهانة بها .

و عن سعد بن أبى وقاص قال كان رجلان أخوان فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة فذكرت فضيلة الأول منهما عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ألم يكن الآخر مسلما ! قالوا بلى ، و كان لا بأس به ، فقال و ما يدريكم ما بلغت به صلاته إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون فى ذلك يبقى من درنه شئ ، فانكم لا تدرون ما بلغت به صلاته [قال المنذرى رواه مالك و اللفظ له و أحمد باسناد حسن و النسائى و ابن خزيمة فى صحيحه] .

عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال يبعث منادٍ عند حضرة كل صلاة فيقول يا بنى آدم قوموا فاطفئوا ما أوقدتم

على أنفسكم فيقومون فيتطهرون ، ويصلون الظهر فيغفرلهم ما بينهما ، فاذا حضرت العصر فمثل ذلك ، فاذا حضرت المغرب فمثل ذلك فاذا حضرت العتمة فمثل ذلك فينامون فمدلج فى خير و مدلج فى شر [رواه الطبرانى فى الكبير ، كذا فى الترغيب] .

إن هذا المعنى جاء فى كثير من الأحاديث ، ولما أن الاستغفار داخل فى الصلاة و جزء منه لذلك يدخل فيه الكبائر و الصغائر إذا قرنها الندم ، قال الله تعالى فى كتابه المجيد « أقم الصلاة طرفى النهار و زلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئآت » .

عن أبى قتادة بن ربعى قال قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك و تعالى : إنى افترضت على أمتك خمس صلوات و عهدت عندى عهداً إنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة فى عهدى ، و من لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندى ، كذا فى الدر المنثور برواية أبى داوٗد و ابن ماجة و فيه أيضاً أخرج مالك و ابن أبى شيبة و أحمد وأبوداوٗد والنسائى و ابن ماجة و ابن حبان والبيهقى عن عبادة بن الصامت فذكر معنى حديث الباب مرفوعاً باطول منه.

و جاء هذا المعنى أكثر وضوحاً و صراحة فى حديث آخر فى رواية لأبى داوٗد سمعت رسول الله ﷺ يقول خمس صلوات افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن ، و صلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن و سجودهن و خشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له و من لم يفعل فليس على الله عهد ، إن شاء غفرله و إن شاء عذبه [الترغيب و الترغيب] .

إن هذه الأحاديث تدلنا على أن مجرد الاهتمام بالصلاة يكفى لدخول المسلم فى عهد الله وذمته ، انا نرى فى حياتنا اليومية أن الرجل الذى يعده حاكم أو غنى أو يسليه أو يخفف عنه أو يودى ديونه ينشرح له صدره ، وثيق بقضاء حاجاته ، ثم يبقى طوع أمره و رهن إشارته ، أما وعد الله المالك الملك وعهده بعبادة صغيرة لا ترهق و لا تضى ، يعنى الصلاة ، فانها لا تسترعى أى جانب من اهتمامنا ، و لا نزال ساهين عنها فهل نظم بذلك أحـداً غير أنفسنا ؟

عن ابن سلمان أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ حدثه قال لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع و السبي ، فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت ربحاً ما ربح اليوم مثله أحد من أهل الوادى قال ويحك و ما ربحت قال ما زلت أبيع وابتاع حتى ربحت ثلاث مأة أوقية فقال رسول ﷺ أنا أونبئك بخير رجل ربح ، قال ما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة [أخرجه أبو داؤد و سكت عنه المنذرى] .

و الحق أنا إذا سعدنا بهذا الايمان ، و فزنا بهذا الربح الخالد الباقى واستصغرنا هذا الربح الفانى مقابل ركعتين بعد الصلاة ذقنا حلاوة الايمان و لذته حقاً ، ولا شك فى أن الصلاة تحمل هذا التأثير ، و لذلك قال رسول الله ﷺ قرة عينى فى الصلاة ، و كان آخر وصاياه عندما فارق الدنيا حول الصلاة والاهتمام به .

عن أبي هريرة رضى الله عنـه قال بعث رسول الله ﷺ

بعثاً فأعظموا الغنيمة و أسرعوا الكرة فقال رجل يا رسول الله مارأينا بعثاً قط أسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث ، فقال ألا أخبركم بأسرع كرة منهم و أعظم غنيمة ؟ رجل توضأ فأحسن الوضوء ثم عمد إلى المسجد فصلى فيه الغداة ثم عقب لصلاة الضحوة فقد أسرع الكرة و أعظم الغنيمة . [الترغيب والترهيب]

و قال شقيق البلخى طلبنا خمساً فوجدناها فى خمس ، طلبنا النور فى القبر فوجدناه فى قيام الليل ، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن ، و طلبنا الجواز على الصراط فوجدناه فى الصدقة ، و طلبنا الرى يوم القيامة فوجدناه فى صيام النهار ، وطلبنا البركة فى الرزق فوجدناه فى صلاة الضحى . [نزهة المجالس]

إن كتب الحديث تزخر بفضائل الصلاة والحث على الاهتمام بها ، و الحرص عليها و يصعب الاحاطة بها و استيعابها ، فنقدم منها نبذة طيبة فى هذا المكان .

(١) إن أول ما افترض الله على الناس من دينهم : الصلاة ، وآخر مايبقى : الصلاة ، وأول ما يحاسب به : الصلاة .

(٢) اتقوا الله فى الصلاة ، أتقوا الله فى الصلاة ، اتقوا الله فى الصلاة . [الجامع الصغير]

(٣) إن بين الرجل و بين الشرك و الكفر ترك الصلاة . [رواه مسلم]

(٤) الصلاة عماد الدين .

(٥) الصلاة تسود وجه الشيطان .

(٦) الصلاة نور .

(٧) حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود .

(٨) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها .

(٩) ما من حالة يكون العبد عليها أحب إلى الله من أن يراه ساجداً يعفر وجهه فى التراب .

(١٠) أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل و هو ساجد .

(١١) مفتاح الجنة الصلاة .

(١٢) إنما موضع الصلاة من الدين كوضع الرأس فى الجسد .

(١٣) من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلى ركعتين أو أربعاً (يشك فيه سهل) يحسن فيهن الركوع و الخشوع ثم يستغفر الله غفرله .

(١٤) من حافظ على الصلوات الخمس ، ركوعهن و سجودهن و مواقيتهن و علم أنهن حق من الله دخل الجنة ، أو قال وجبت له الجنة ، أو قال حرم على النار .

(١٥) سئل النبى ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ قال الصلاة لأول وقتها .

(١٦) سئل النبى ﷺ أى العمل أحب إلى الله قال إقام الصلاة لوقتها .

(١٧) من غدا إلى الصبح غدا براية الايمان ، و من غدا إلى السوق غدا براية الشيطان .

(١٨) أربع قبل الظهر تحسب بمثلهن فى السحر .

(١٩) من صلى قبل الظهر أربع ركعات كأنما تهجد بهن فى ليلته .

(٢٠) جاء جبرئيل إلى النبى ﷺ فقال يا محمد عش ما شئت فانك ميت و اعمل ما شئت فانك مجزى به ، و احبب من شئت فانك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل و عزة استغناؤه من الناس .

(٢١) عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، و مقربة لكم إلى ربكم ، و مكفرة للسيئآت ، و منهاة عن الاثم ، و مطردة للداء عن الجسد .

و قد ورد فى هذا الباب غير ذلك من الأحاديث . اكتفينا منها بهذا القدر، والحق أن الصلاة نعمة جليلة لايقدرها حق قدرها إلا من ذاق حلاوتها ، فقد اعتبرها رسول الله ﷺ قرة عينيه ، وكان يقضى أكثر ليله فى الصلوات و كانت آخر وصيته فى آخر عهده بالدنيا حول الصلاة والعناية بها ، وقد تكررت جملة «اتقوا الله فى الصلاة» فى عدة مواضع من الأحاديث .

فكان ذلك خمسة أجزاء بالجملة ، و إذا نظرنا إلى تلاوته ﷺ و ترتيله و فصله بين الآيات قدرنا طول ركعته ، و حتى كانت تتورم قدماه ، و علمنا أنه الحب الذى يستقر فى الأعماق ، و حلاوة الايمان الذى يخالط بشاشة القلوب فيذلل كل صعب ويسهل كل عسير .

أبو إسحاق السبيعى محدث مشهور معمر توفى فى مأة سنة ، وكان يتحسر على أنه فقد لذة الصلاة لكبر سنه وضعفه فلايستطيع إلا قراءة سورة البقرة و آل عمران فى الركعتين .

و لا زال فى هذا العهد المادى المتأخر عباد يقضون أكثر لياليهم فى الصلوات و جل نهارهم فى الدعوة والارشاد والافادة ،

و أرجو أن يمن الله على كاتب هذه الرسالة بهذه النعمة و اللطف و الرحمة ، و يجعلنى منهم .

و أختم هذا الفصل بحديث جميل أورده الحافظ ابن حجر فى المنبهات :

• عن رسول الله ﷺ أنه قال حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة ، و كان معه أصحابه جلوساً فقال أبوبكر الصديق رضى الله عنه : صدقت يا رسول الله وحبب إلى من دنياكم ثلاث : النظر إلى وجه رسول الله و إنفاق مالى على رسول الله ، وأن يكون ابنتى تحت رسول الله، فقال عمر رضى الله عنه : صدقت يا أبابكر ، و حبب إلى من دنياكم ثلاث : الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الثوب الخلق ، فقال عثمان رضى الله عنه صدقت يا عمر ، و حبب إلى من دنياكم ثلاث : إشباع الجيعان ، و كسوة العريان ، و تلاوة القرآن ، فقال على رضى الله عنه : صدقت يا عثمان وحبب إلى من دنياكم ثلاث : الخدمة للضيف ، و الصوم فى الصيف والضرب بالسيف ، فبيناهم كذلك إذ

جاء جبرئيل و قال : أرسلنى الله تبارك و تعالى لما سمع مقالتكم و أمرك أن تسألنى عما أحب إن كنت من أهل الدنيا ، فقال ما تحب إن كنت من أهل الدنيا فقال : إرشاد الضالين ، و مؤانسة الغرباء القانتين ومعاونة أهل العيال المعسرين ، وقال جبرئيل : يحب رب العزة جل جلاله فى عباده ثلاث خصال : بذل الاستطاعة ، و البكاء عند الندامة ، و الصبر عند الفاقة » .

و أورده الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد .

● ● ●

الفصل الثانى

فى بيان الوعيد على من ترك الصلاة

الحديث الشريف حافل بالوعيد الشديد لمن يترك الصلاة ، و أقدم هنا نبذة طيبة من الأحاديث على سبيل النموذج و المثال ، والحق أن حديثاً واحداً خليق بأن يهدينا إلى الرشد و يردنا إلى الصواب ، ولكنه ﷺ كرر هذا المعنى وأعاده بمختلف الأساليب لشدة حرصه على خير المسلمين ورأفته بهم حتى لا تتهاون فيها أمته و لا تتكاسل ، فما بالنا نعرض عن تعاليمه و إرشاداته ثم نعتز بكوننا فى أمته ، و نزعم اتباع سنته ، و حب دينه و طريقته .

عن جابر بن عبدالله رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله ﷺ بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة، رواه أحمد ومسلم، وقال بين‌الرجل وبين الشرك و الكفر ترك الصلاة ، و أبوداؤد والنسائى ولفظه : قال بين الكفر و الايمان ترك الصلاة ، وابن ماجة ولفظه: قال بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة ، كذا فى الترغيب للمنذرى ، وقال السيوطى و الدر لحديث جابر أخرجه ابن أبى شيبة و أحمد و مسلم و أبو داؤد و الترمذى و النسائى و ابن ماجة ثم قال : و أخرج بن أبى شيبة و أحمد و أبو داؤد و الترمذى و النسائى و ابن ماجة و ابن حبان و الحاكم و صححه عن بريدة مرفوعاً ، العهد الذى بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

إن هذا المعنى تكرر فى آثار مختلفة فقد جاء فى حديث أن

يتعجل المرء الصلاة فى وقت الغيم حتى لا يكفر بترك الصلاة ، تحذيراً أن لا يفوت وقت الصلاة من أجل الغيم ، ولو أن العلماء قيدوا هذا الأثر بالانكار إلا أن الشعور بأهمية قول الرسول يقتضى أن نعظمه و نجله و نحسب له كل حساب ، و قد ثبت أن بعض كبار الصحابة أمثال عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم و غيرهم اتفقوا على كون المسلم كافراً إذا تعمد ترك الصلاة ، و هو مذهب أحمد و إسحق بن راهوية و عبد الله بن المبارك .

[الترغيب]

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أوصانى خليلى رسول الله ﷺ بسبع خصال، فقال: لاتشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أوحرقتم أو صلبتم، ولاتتركوا الصلاة متعمدين فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة ، و لا تركبوا المعصية فانها سخط الله ، و لا تشربوا الخمر فانها رأس الخطايا كلها ، الحديث ، رواه الطبرانى ومحمد بن نصر فى كتاب الصلاة باسنادين لابأس بهما ، كذا فى الترغيب، وهكذا ذكره السيوطى فى الدر المنثور ، و عزاه إليهما ، وفى المشكاة برواية ابن ماجة عن أبى الدرداء نحوه .

فائدة

و قد ورد ما يشابه هذا المعنى فى حديث أبى الدرداء رضى الله عنه و زاد فيه من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله قال أوصانى خليلى على أن لا تشرك بالله شيئاً و إن قطعت أو

حرقت ، ولا تترك الصلاة متعمداً ، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة و لا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أوصانى رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال : لا تشرك بالله شيئاً و إن قتلت وحرقت و لا تعقن والديك و إن أمراك أن تخرج من أهلك و مالك و لا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً فان من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله و لا تشربن خمراً فانه رأس كل فاحشة و إياك و المعصية فان المعصية حل سخط الله ، وإياك و الفرار من الزحف و إن هلك الناس ، و إن أصاب الناس موت فاثبت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عنهم عصاك أدباً وأخفهم فى الله .

رواه أحمد والطبرانى فى الكبير و إسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع فان عبد الرحمن بن جبير لم يسمع من معاذ ، كذا فى الترغيب و إليهما عزاه السيوطى فى الدر ولم يذكر الانقطاع ثم قال وأخرج الطبرانى عن أميمة مولاة رسول الله ﷺ قالت كنت أصب على رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجل فقال أوصنى فقال : لا تشرك بالله شيئاً و إن قطعت أو حرقت و لا تعقن والديك و إن أمراك أن تخلى من أهلك و دنياك ، و لا تشربن خمراً فانه مفتاح كل شر ، و لا تتركن الصلاة متعمداً فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله و رسوله .

فائدة

المراد بأن لا ترفع عنهم عصاك أن لا يظن أهلك ومواليك أنك لا تنبهم و لا تضربهم فلهم أن يفعلوا ما شأوا ، بل إنه لابد من ضربهم و تأنيبهم فى حدود الشريعة فان الانسان لا يعود إلى رشده عادة إلا بالزجر و الضرب ، أما فى أيامنا هـذه فان الأبوين لايضربان أولادهما فى أول الأمر لفرط حبهما ثم يبكيان دماً بعد أن ترسخ فيهم العادات القبيحة مع أن هذا ينافى حب الأولاد بل إنما هو عداء معهم أن لا يمنعهم من سوء ويظن أن الضرب و التنبيه ينافيان الحب ، وهل يستطيع أب عاقل أن يرى الجروح تتورم و تتضخم ، و لا يسمح بعملية جراحيــة لأنها تؤذى ولده الحبيب لابل أنه يسرع فى طلب الجراح ، ولا يبالى بصراخ الطفل و بكائه و استغاثته و لذلك جاء فى الحديث :

عن نوفل بن معــاوية أن النبى ﷺ قال من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله و ماله [رواه ابن حبان فى صحيحــه ، كذا فى الترغيب ، زاد السيوطى فى الدر و النسائى أيضاً ، و رواه أحمد فى مسنده .

فائدة

إن ضياع الصلاة و الغفلة عنها يرجع فى عامة الأحوال إلى الاشتغال بالأولاد و الأموال و لذلك قال رسول الله ﷺ إن من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله و ماله .

يعنى أن فوت صلاة يعادل الخسارة الكاملة والحرمان الكامل فى عـــين الحقيقة و البصيرة ، و أن القلق الذى يساور الشخص الذى فاتته الصلاة هو مثل القلق الذى يساوره حين يفقد كلا من المال و الأهل و الولد ، إننا إذا قال لنا أحد إن الطريق الفلانى طريق موحش خطر ، و الرحلة فيه فى الليل أوحش و أخطر ، و أدعى للهلاك فلا يتشجع أحد منا أن يتوجه إليه و يتعرض للهلاك ، أما قول الصادق الأمين رسول الله ﷺ الذى ورد فى عدة آثار و أخبار فانه لا ينال مثله منا تلك العناية و الاهتمام ، و التيقظ و الحذر ، و لا يؤثر فى قلوبنا مثل هذا التأثير .

عن ابن عباس قال قال رسول ﷺ من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر . [رواه الحاكم ، وقال حسن هو ابن قيس ثقة . وقال الحافظ بل واه ، رواه طرة لا نعلم أحداً أوثقه غير حصين بن طير ، كذا فى الترغيب ، زاد السيوطى فى الدر و الترمذى أيضاً ، و ذكر فى اللبالى له شواهد وكذا فى التعقبات ، و قال : الحديث أخرجه الترمذى ، و قال : حش ضعيف ضعفه أحمد و غيره ، و العمل على هـــذا عند أهل العلم ، فأشار بذلك إلى أن الحديث اعتقد بقول أهل العلم به و إن لم يكن له إسناد يعتمد على مثله]

فائدة

إن هناك كثيراً من الناس يتأخرون فى الصلوات بل يتركونها فى أسفارهم أو فى تجارتهم و دوائرهم ثم يودونها جملة واحدة، مع أن ترك الصلاة من غير عذر (المرض مثلا) يعد من الكبائر و لو لم يكن فى درجة ترك الصلاة عمداً ، أما أداؤهـــا فى غير وقتها فهذا أيضاً ذنب كبير يجب التحرز منه .

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نوراً و برهاناً و نجاة يوم القيامة ، و من لم يحافظ عليها لم يكن له نوراً و برهاناً و لا نجاة و كان يوم القيامة مع فرعون و هامان و أبى بن خلف ، أخرجه أحمد و ابن حبان و الطبرانى ، كذا فى الدر المنثور للسيوطى ، و قال الهيثمى رواه أحمد و الطبرانى فى الكبير و الأوسط ، و رجال أحمد ثقات ، وقال ابن حجر فى الزواجر : أخرجه أحمد بسند جيد و زاد فيـــه قارون أيضاً مع فرعون و غيره ، و كذا زاده فى منتخب الكنز برواية ابن نصر ، و فى المشكاة أيضاً برواية أحمد و الدارمى و البيهقى فى الشعب و ابن القيم فى كتاب الصلاة .

فائدة

إن كلنا يعرف فرعون و غلوه فى الكفر حتى إنه أدعى الألوهية ، و هامان هو وزيره ، أما أبى بن خلف فقد كان من ألد أعداء الاسلام فى مكة و كان يقول :

إنه عار علينـــا نحن معشر المسلمين أن يصدق أبى بن خلف

قول رسول الله ﷺ و يثق به كل الثقة ، و لا تأخذه ريبة فى هلاكه أما نحن فلا تتبع أسوته و لانخاف وعيده و تهديده ، رغم أننا آمنا بنبوته وصدقناه ونزعم أننا نحبه ، فليتأمل كل منا فى حالته قبل حال غيره و يقارن بين ما ينطق به اللسان ويكذبه الجنان

وزاد ابن حجر فى كتاب الزواجر ذكر قارون مع فرعون ، وقال إن الكسل فى الصلاة لا تكون عادة إلا من هذه الأسباب و الدواعى التى نجدها فى هولآء ، فاذا كان السبب فيه المال حشر مع قارون و إذا كان السبب الحكم و السلطان حشر مع فرعون ، وإذا كان السبب الوزارة (يعنى ملازمة السلطان ومصاحبة أصحاب الجاه) كان مع هامان ، و إذا كان السبب التجارة كان مع أبى بن خلف .

إن هذه الأحاديث و إن كان فيهـا نظر ، تدلنا على أن عذاب الآخرة أشق و أشد ، و الفرق بين الكافر و العـاصى ، أن الأول فى النار بكفره ، أما العاصى فينجو من العذاب أخيراً. و لكن هل رضى أن يكوى فى نار جهنم لآلاف السنين ؟

قال بعضهم : ورد فى الحديث أن من حافظ عـلى الصلاة أكرمه الله تعـالى بخمس خصال يرفع عنـه ضيق العيش و عذاب القبر و يعطيه الله كتابه بيمينه و يمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب و من تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة : خمسة فى الدنيا و ثلاثة عند الموت ، و ثلاث فى قبره ، و ثلاث عند خروجه من القبر ، فاما اللواتى فى الدنيـا ، فالأولى تنزع البركة من عمره ، و الثانية تمحى سيماء الصالحين فى وجهـه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره عمره ، والرابعة لا يرفع له دعاء

إلى السماء ، والخامسة ليس له حق فى دعاء الصالحين ، و أما التى تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا ، والثانية يموت جوعاً ، والثالثة يموت عطشاناً و لو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه ، و أما التى تصيبه فى قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ، الثانيـة يوقد عليـه القبر ناراً فيتقلب على الجمر ليلا و نهـاراً ، و الثالثة يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار ، و أظفـاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرنى ربى أن أضربك على تضيع صلاة الصبح إلى بعد طلوع الشمس ، و أضربك على تضيع صلاة العصر إلى المغرب فكلما ضربه يغوص فى الأرض سبعين ذراعاً ، فلا يزال فى القبر معذباً إلى يوم القيامة و أما التى تصيبه عند خروجه من القبر فى موقف القيامـة فشدة الحساب ، و سخط الرب ، و دخول النار ، و فى رواية فانه يأتى يوم القيامة و على وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات ، السطر الأول : يا مضيع حق الله ، السطر الثانى : يا مخصوصاً بغضب الله ، الثالث كما ضيعت فى الدنيا حق الله فليس اليوم أنت من رحمة الله ، و ما ذكر فى هذا الحديث من تفصيل العدو لايطابق جملة الخمس عشرة لأن المفصل أربع عشرة فقط ، فلعل الراوى نسى الخامسة عشرة ، كذا فى الزواجر لابن حجر المكى ، قلت : و هو كذلك فان أبا الليث السمرقندى ذكر الحديث فى قرة العيون فجعل ستة فى الدنيا فقـال الخامسة تمقته الخلائق فى دار الدنيا ، و السادس ليس له حظ فى دعاء الصالحين ثم ذكر الحديث بتمامه ، ولم يعزه إلى حد . و فى تنبيه الغافلين للشيخ نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى يقـال من

داوم على الصلوات الخمس فى الجماعـــة أعطاه الله خمس خصال ، و من تهاون بها فى الجماعة عاقبـــه الله باثنتى عشرة خصلة ثلاثة فى الدنيا ، و ثلاثة عند الموت ، وثلاثة يوم القيامة ثم ذكر نحوها ، ثم روى عن أبى ذر عن النبى ﷺ نحو هذا ، و ذكر السيوطى فى ذيل اللآلى بعد ما أخرج بمعناه من تخريج ابن النجار فى تاريخ بغداد بسنده إلى أبى هريرة قال فى الميزان : هذا حديث باطل ركبه محمد بن على بن عباس على أبى بكر بن زياد النيسابورى ، قلت لكن ذكر الحافظ فى المنبهات عن أبى هريرة مرفوعاً الصلاة عماد الدين و فيها عشر خصال . الحديث ذكرته فى الهندية ، و ذكر الغزالى فى دقائق الأخبار بنحو هذا أتم منه ، و قال من حافظ عليهـــا أكرمه الله بخمس عشرة إلخ مفصلا .

فائدة

إنى لم أعثر على هذا الحديث كاملا فى كتب الحديث المتداولة

و لكن تلك الأنواع من الثواب و العقاب التى جاء ذكرهـا فى هذا الحديث تؤيدها الآثار الأخرى ، وقد جاء فى الحديث الأول خروجه عن الاسلام بترك الصلاة ، و هو أجلب للعذاب طبعاً ، أما أنواع العذاب الأخرى فانها تدخل تحت آية « إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء » فيا حبذا إذا عفا عنا بفضل هذه الآية و نحوها من آيات أخرى و غفر لنا ذنوبنا بكرمه و فضله فذلك عين السعادة و الفلاح .

جاء فی الحدیث أنها ستکون ثلاثة أنواع للمیزان و الحساب أولها میزان الکفر و الاسلام ، و لا مغفرة فیه ، الثانی حقوق العباد ینال فیها صاحب الحق حقه إما من عنده أو من عند الله لطفاً منه و عفواً ، الثالث حقوق الله ، و فیها یفتح الله أبواب مغفرته و کرمه .

فلنعلم أننا لا نستحق إلا هذه الأنواع من العقاب و العذاب و لکن رحمة الله أوسع و أشمل .

و قد جاء فی الأحادیث ذکر أنواع أخری من العذاب ، فعن سمرة بن جندب رضی الله عنه قال کان رسول الله ﷺ مما یکثر أن یقول لأصحابه هل رأی أحد منکم من رؤیا فیقص علیه ماشاء الله أن یقص وأنه قال لنا ذات غداة ، إنه أتانی اللیلة آتیان وأنهما ابتعثانی و أنهما قالا لی انطلق ، وإنی انطلقت معهما ، و إنا أتینا علی رجل مضطجع وإذا آخر قائم علیه لصخرة ، وإذا هو یهوی بالصخرة لرأسه ، فیثلغ رأسه ، فیتدهده الحجر، فیأخذ فلا یرجع إلیه حتی یصح رأسه کما کان ثم یعود إلیه فیفعل به مثل ما فعل المرة الأولی ، قال قلت لهما سبحان الله ما هذا ؟ قال قالا لی إنا سنخبرك ، أما الرجل الأول الذی أتیت علیه یثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل یأخذ القرآن فیرفضه و ینام عن الصلاة المکتوبة .

[الترغیب و الترهیب]

و قد ورد مثل هذا المعنی فی حدیث آخر فعن أبی هریرة رضی‌الله عنه قال ثم أتی یعنی النبی ﷺ ، علی قوم ترضخ رؤسهم بالصخرة کلما رضخت عادت کما کانت ، و لا یفتر عنهم فی ذلك

شئ قال يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلآء الذين تثاقلت رؤسهم عن الصلاة المكتوبة .

عن أنس بن مالك رضى‌الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من فارق الدنيا على الاخلاص لله و عبادته وحده لا شريك له وإقام الصلاة و إيتاء الزكاة فارقها و الله عنه راض .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال إذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق فى صعيد واحد ، جنهم وإنسهم والأمم جثياً صفوفاً ، فينادى مناد ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادى ثانية ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما رزقناهم ينفقون فيقومون و يسرحون إلى الجنة ثم ينادى ثالثة ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة فيقومون و يسرحون إلى الجنة فاذا أخذ هؤلاء الثلاثة منازلهم يخرج عنق من النار فأشرف على الخلائق ، له عينان بصيرتان و لسان فصيح فيقول إنى وكلت بثلاثة إنى وكلت بكل جبار عنيد فيلقتهم من الصفوف كلقط الطير حب السمسم فيخنس بهم فى جنهم ثم يخرج الثالثة ، قال أبو المنهال حسبت أنه قال إنى وكلت بأصحاب التصاوير فيلقطهم من الصفوف فيخنس بهم فى جهنم فاذا أخذ من هؤلآء الثلاثة و من هؤلاء الثلاثة نشرت الصحف و وضع الميزان و دعى الخلائق للحساب و ذكر أن

إبليس لعنه الله كان يرى فى الزمن الأول فقال له رجل يا أبامرة كيف أصنع حتى أكون مثلك ، قال ويحك لم يطلب أحد مثل هذا فكيف تطلب أنت ؟ فقال الرجل إنى أحب ذلك فقال له إبليس إما أن أردت أن تكون مثلى فتهاون بالصلاة ، و لا تبال من الحلف صادقاً أو كاذباً فقال الرجل : لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاة ، و لا أحلف يميناً أبداً فقال له إبليس ما تعلم أحد منى بالاحتيال غيرك ، و أنا عاهدت أن لا أنصح آدمياً قط .
[تنبيه الغافلين للسمرقندى]

و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ رأيت ربى فى أحسن صورة فقال لى يا محمد قلت لبيك رب وسعديك ، فقال هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا أعلم فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثدى أو قال فى نحرى ، فعلمت ما فى السماوات و ما فى الأرض أو قال ما بين المشرق والمغرب ، قال لا يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ، قلت : نعم فى الدرجات و الكفارات ، و نقل الأقدام إلى الجماعات و إسباغ الوضوء فى السبرات ، و انتظار الصلاة بعد الصلاة ، ومن حافظ عليهن عاش بخير و مات بخير . [الترغيب]

و عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ الصلاة مرضاة للرب تبارك وتعالى وحب الملائكة وسنة الأنبياء و نور المعرفة و أصل الايمان و إجابة الدعاء و قبول الأعمال و بركة فى الرزق ، و راحة للأبدان ، و سلاح على

الأعداء ، وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبه و بين ملك الموت و سراج في قبره ، و فراش تحت جنبه ، و جواب مع منكر و نكير و أنس في قبره إلى يوم القيامة فاذا كانت القيامة صارت الصلاة ظلا فوقه و تاجاً على رأسه و لباساً على بدنه ، و نوراً يسعى بين يديه وستراً بينه و بين النار ، و حجة للمؤمنين بين يدى الرب تبارك وتعالى ، وثقلا في الموازين ، وجوازاً على الصراط ، و مفتاحاً للجنة . [تنبيه الغافلين]

و أورد الحافظ ابن حجر في المنبهات عن عثمان رضى الله عنه قال من حفظ الصلوات الخمس لوقتها وداوم عليها أكرمه الله بتسع كرامات أولها أن يحبه الله و يكون بدنه صحيحاً و تحرسه الملائكة ، و تنزل البركة في داره و يظهر على وجهه سيما الصالحين و يلين الله قلبه ، و يمر على الصراط كالبرق اللامع ، و ينجيه الله من النار ، و ينزله في جوار الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون » .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا سهم في الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له، أخرجه البزار و أخرج الحاكم عن عائشة مرفوعاً وصححه : ثلاث أحلف عليهن لا يجعل الله من له سهم في الاسلام كمن لا سهم له ، و سهام الاسلام الصوم و الصلاة و الصدقة ، الحديث ، و أخرج الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً لا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد . كذا في

الدر المنثور .

فائدة

إن الذين يسمون أنفسهم مسلمين ، و يتظـاهرون بالحمية الاسلامية و يحلمون بالوصول إلى مكانتهم الاسلامية العاليـة يجب أن يفكروا فى تعاليم الرسول ﷺ ، ويتدبروا حياة أصحابه وأفعالهم و يروا كيف تمسكوا بالدين و عضوا عليه بالنواجذ ، فلا غرابة إذ دانت لهم الدنيا ، و خضعت لهم البلاد .



الباب الثانى فى فضل الجماعة

كتبنا فى أول الرسالة أن كثيراً من الناس يصلون و لكنهم لا يهتمون بالجماعة ، مع أن النبي ﷺ أكد على الجماعة كما أكد على الصلاة ، و فى هذا الباب فصلان :

الفصل الأول فى فضل الجماعة ، و الثانى فى الوعيد على من ترك الجماعة .

الفصل الأول فى فضل الجماعة

عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول‌الله ﷺ قال : صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع و عشرين درجة [رواه مالك و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى ، كذا فى الترغيب] .

إذا كان المرء يصلى ، ويصلى ابتغاء وجه الله فلماذا لا يحضر الجماعة و يصلى فى بيته ، و هل هنا عاقل يؤثر ريالا واحداً على سبعة و عشرين و ثمانية وعشرين ريالا ؟ و مع هذا ، فذلك عين ما نفعله فى مجال الدين و ليس السبب فى ذلك سوى التغاضى عن أهميته و عدم العناية به ، والايمان بفائدته فى الدارين ، فبينما نجوب كل واد ، و نخوض كل ناد للحصول على دراهم معدودة لا نتجه إلى المنافع الدينية و لو تيسرت وكانت فى متناول اليد .

إن سلعـــة الله التى تعود إلى المصلى بسبعة و عشرين ضعفاً ثقيلة على نفوسنا ، فتحول متاجرنا دون حضور الجماعة ، وأشغالنا

المادية عن أداء الصلاة فى أوقاتنا ، أما الذين يعظمون شعائر الله ، ويثقون بوعد الله ويطمئنون إلى ثوابه ، بل يحسبون له كل حساب فلا تمنعهم هذه الأعذار الواهية الباردة عن أداء هذا الواجب ، وهم الذين قال الله عنهم «لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» .

و قد ذكرت فى كتابى « قصص الصحابة » ما كان عليه أصحاب رسول الله من وجل و إشفاق عند سماع الأذان ، و حنين إلى الصلاة ، وكان سالم الحداد تاجراً يصفر لونه كلما سمع الأذان ، ويتوجه إلى المسجد حالا تاركا دكانه وماله ثم ينشد هذه الأبيات :

إذا ما دعا داعيكم قمت مسرعاً مجيباً لمولى جل ليس له مثل
أجيب إذا نادى بسمع و طاعة و لى نشوة لبيك يامن له الفضل
و يصفر لونى خيفة و مهابة ويرجع لى عن كل شغل به شغل
و حقكم ما لذ لى غير ذكركم و ذكر سواكم فى فمى قط لايحلو
متى يجمع الأيام بينى و بينكم و يفرح مشتاق إذا جمع الشمل
فمن شاهدت عيناه نور جمالكم يموت اشتياقاً نحوكم قط لا يسلو

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته و فى سوقه خمسة وعشرين ضعفاً و ذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة و حط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى مادام فى مصلاه مالم يحدث ، اللهم صل عليه اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة [رواه البخارى و اللفظ له ، و مسلم و أبو داود

و الترمذى وابن ماجة ، كذا فى الترغيب] .

فائدة

علمنا من الحديث الأول أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ، أما هذا الحديث فهو يشير إلى خمس و عشرين ، و لهذا التفاوت أسباب فى نظر العلماء ، ذكروها فى شروح الحديث ، ومهما كان فان هذا الاختلاف هونتيجة اختلاف أحوال النـاس ، فمن الناس من يكتب له سبع و عشرون درجة لاخلاصـه و فيهم من لا يكسب إلا خمساً و عشرين ، و قال البعض إن ذلك باختـلاف الصلوات ففى الصـلاة السرية خمس و عشرون و فى الصلاة الجهرية سبع و عشرون ، وقال بعضهم إن ذلك لصلاة الفجر وصلاة العشاء فقد تشقان عادة على الناس ، أما الباقى فهو خمس و عشرون ، و قال بعض الشراح : إن ذلك يرجع إلى نزول الرحمة الالهية وعنايتها الخاصة بهذه الأمة إذ أنها كانت تتدرج دائماً من حسن إلى أحسن فترقت من خمس وعشرين إلى سبع و عشرين .

و أما ما أشار إليه الرسول ﷺ بعد ذلك فهو أولى بالتأمل والاعتبار ويبدولنا بوضوح أن الصلاة مع الجماعة كيف تجمع أكبر نصيب من الحسنات فالذى يتوضأ فى بيته ثم يخرج إلى المسجد ينال ثوابه على كل خطوة يخطوها و يحط عنه سيئاته .

عن جابر رضى الله عنه قال خلت البقاع حول المسجد فأراد

بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال يا بني سليم دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم ، فقالوا ما يسرنا أن كنا تحولنا ، وفي رواية لمسلم بمعناه ، و في آخره : إن لكم بكل خطوة درجة . [الترغيب]

عن ابن مسعود قال من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلاة حيث ينادى بهن فان الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى و إنهن من سنن الهدى و لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم و لو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، و ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة و يحط عنه بها سيئة ، ولقد رأينا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى بها يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف ، وفي رواية لقد رأينا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض ، إن كان الرجل ليمشي بين الرجلين حتى يأتي الصلاة ، و قال إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى و إن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه — رواه مسلم و أبو داؤد و النسائي و ابن ماجة ، كذا في الترغيب و الدر المنثور ، و السنة نوعان : سنة الهدى و تاركها يستوجب إساءة كالجماعة و الأذان و الزوائد و تاركها لا يستوجب إساءة كسير النبي ﷺ في لباسه وقعوده ، كذا في نور الأنوار ، والاضافة

فى سنة الهدى بيانية ، أى سنة هى هدى و الحمل مبالغة ، كذا فى قمر الأقمار .

فائدة

كان الصحابة عليهم رضوان الله يهتمون بالجماعة كل الاهتمام حتى إن المريض كان يلحق بالجماعة رغم مرضه إذا استطاع و لو اضطر إلى مساعـــدة رجلين يحملانه و كيف لا يهتمون ، و لا يبادرون إلى الجماعة ، و قد رأوا سيدنا محمداً ﷺ يهتم بالجماعة هكذا حين اشتد به المرض .

عن أبي الدرداء قال أحدثكم حديثاً سمعت من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك و اعدد نفسك فى الموتى وإياك دعوة المظلوم فانها تستجاب ، و من استطاع منكم أن يشهد الصلاتين العشاء و الصبح و لو جراً فليفعل .   [الترغيب]

و عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما و لو حبواً .   [الترغيب]

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ من صلى لله أربعين يوماً فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان ، براءة من النار وبراءة من النفاق رواه ، الترمذى ، وقال لا أعلم أحداً رفعه إلا ما روى مسلم بن قتيبة عن طعمة عن ابن عمر ، و قال

الملى ومسلم : وبقية رواته ثقات ، كذا فى الترغيب ، قلت : وله شواهد من حديث عمر رفعه : من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لاتفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقاً من النار ، رواه ابن ماجة و اللفظ له و الترمذى وقال نحو حديث أنس يعنى المتقدم ولم يذكر لفظه و قال مرسل يعنى عمارة الراوى عن أنس لم يدرك أنساً و عزاه فى منتخب الكنز إلى البيهقى فى الشعب و ابن عساكر و ابن النجار .

فائدة

يعنى من صلى أربعين يوماً باخلاص وحسن نية بحيث يقتدى الامام من أول الصلاة و لا تفوته التكبيرة الأولى فانه لا يدخل فى النار و لا يعد من المنافقين فان المنافقين هم الذين يراؤن الاسلام ويضمرون الكفر، أما عدد الأربعين فان له تأثيراً قوياً فى أوضاع الانسان و لذلك نرى أنّ الانسان يبقى نطفة قبل خلقه إلى أربعين و علقة ومضغة إلى أربعين وهكذا ، فيا لحسن حظ هؤلاء السعداء الذين لا تفوتهم تكبيرة على الأعوام .

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، رواه أبوداؤد والنسائى و الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، كذا فى الترغيب ، و فيه أيضاً عن سعيد بن مسيب قال حضر رجل من الأنصار

الموت فقال إنى محدثكم حديثاً ما أحدثكموه إلا احتساباً إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، الحديث، و فيه : فان أتى المسجد فصلى فى جماعة غفر له ، فان أتى المسجد وقد صلوا بعضاً و بقى بعض صلى ما أدرك وأتم مابقى كان كذلك فان أتى المسجد وقد صلوا فأتم الصلاة كان كذلك ، رواه أبوداؤد.

فائدة

إنه من عظيم نعم الله على عباده وجميل فضله و إحسانه أنه يعطى الأجر على مجرد المحاولة و السعى أدرك الصلاة أم لم يدركها ما دام قد حن إليها و سعى لها سعيها ، فاذا قصرنا فى نيل هذا الأجر و حصول هذا الثواب و قعدنا عن هذا الانعام والاكرام فاننا بذلك لن نضر الله شيئاً ، و قد بدا من هذا الحديث ، أنه لا ينبغي أن نماطل فى الذهاب إلى المسجد إذا ظننا أن الصلاة انتهت ، حتى نحصل بذهابنا الأجر ، أما إذا علمنا يقيناً فلا بأس

عن قباث بن أشيم الليثى قال قال رسول الله ﷺ صلاة الرجلين يؤم أحدهما صاحبه أزكى عند الله من صلاة أربعة تترى وصلاة أربعة أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى ، و صلاة ثمانية يؤمهم أحدهم أزكى من صلاة مأة تترى ، رواه البزار و الطبرانى باسناد لا بأس به ، كذا فى الترغيب ، و فى مجمع الزوائد رواه البزار والطبرانى موثوقون و عزاه فى الجامع الصغير إلى الطبرانى والبيهقى و رقم له بالصحة ، وعن أبى بن كعب رفعه بمعنى حديث الباب ، و فيه قصة وفى آخره و كلما كثر فهو أحب إلى الله عز

وجل ، رواه أحمد و أبو داؤد و النسائی و ابن خزيمة و ابن حبان فی صحيحيهما و الحاكم و قد جزم يحيی بن معين و الذهبی بصحة هذا الحديث ، كذا فی الترغيب .

فائدة

إن بعض الناس يظنون أنه إذا اجتمع نفر فی مكان أو فی متجر و دكان فيمكن لهم أن يصلوا جماعة هناك و ليس لهم حاجة إلی المسجد و ذلك وهم و خطأ و سوء فهم ، فانهم بذلك — أولا — يحرمون ثواب المسجد و يحرمون ثواب كثرة الجماعة ، فان الجمع الكثير أحب إلی الله من الجمع القليل ، وهنا ناحية أخرى و هی أنا إذا قمنا لصلاة ابتغاء وجه الله و نيل رضاه وجب علينا أن نقوم بها بطريقة مرضية مقبولة عند الله .

عن سهل بن سعد الساعدی قال قال رسول الله ﷺ بشر المشائين فی الظلم إلی المسجد بالنور التام يوم القيامة ، رواه ابن ماجة وابن خزيمة فی صحيحه و الحاكم واللفظ له و قال صحيح علی شرط الشيخين ، كذا فی الترغيب ، و فی المشكاة برواية الترمذی و أبی داؤد عن بريدة ثم قال رواه ابن ماجة عن سهل بن سعد و أنس ، قلت : وله شاهد فی منتخب كنز العمال برواية الطبرانی عن أبی أمامة بلفظ : بشر المدلجين إلی المساجد فی الظلم بمنابر من نور يوم القيامة يفزع الناس ولا يفزعون، وذكر السيوطی فی الدر المنثور فی تفسير قوله تعالی « إنما يعمر مساجد الله » عدة روايات فی هذا المعنی .

فائدة

إننا لا نقدر فى هذه الدنيـا المشى إلى المساجد فى الظلم و لكننا نتطلع على فوائده و ثمراته إن شاء الله حين تقوم القيامة بجميع أهوالها وشدائدها ، إن بعض هذا العناء و بعض هذا التعب الذى نجده فى ذهابنا إلى المساجد فى الظلم سيتحول إلى قبة من نور و نور ساطع كالشمس يرافقنا أينما سرنا فى ظلمات يوم القيامة .

إن كل تعليم من تعاليم الشريعة و توجيه من توجيهاتها يحمل أجراً و بركة ويمناً لا حد له ولا نهاية ، ولكنه فى نفس الوقت يحمل مصالح و حكما عالية للعباد و لا شك أن الوصول إلى كنه تلك المصالح و الغايات عسير و محـال ، و هل يمكن أحداً أن يطلع على الأسرار الربانية و المصالح الالهية الدقيقة العميقة و لكن رزقنا حظاً منها على قدر فهمنا وهممنا ومداركنا، وقد شرح العلماء فوائد حضور الجماعة كما فهموها ، وقد أفاض فيها شيخنا أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى كتابه « حجة الله البالغـة » و ملخص كلامه ما يلى :

« إعلم أنه لا شئ أنفع من غائلة الرسوم من أن يجعل شئ من الطاعات رسماً فاشياً يؤدى على رؤس الخامل والنبيه و يستوى فيه الحاضر و الباد و يجرى فيه التفاخر و التباهى حتى تدخل فى الارتفاقات الضرورية التى لا يمكن لهم أن يتركوها ولا أن يهملوها لتصير مؤيداً لعبادة الله والسنة، تدعو إلى الحق ويكون الذى يخاف منه الضرر هو الذى يجابهم إلى الحق و لا شئ من الطاعات أتم

شأناً و لا أعظم برهاناً من الصلاة فوجب إشاعتها فيما بينهم و الاجتماع لها و موافقة الناس فيها ، و أيضاً فالملة تجمع ناساً علماء يقتدى بهم و ناساً يحتاجون فى تحصيل إحسانهم إلى دعوة حثيثة و ناساً ضعفاء البنية لولم يكلفوا أن يؤدوا على أعين الناس تهاونوا فيها فلا أنفع و لا أوفق بالمصلحة فى حق هؤلاء جميعا أن يكلفوا أن يطيعوا الله على أعين الناس ليتميز فاعلها من شاركها وراغبها من الزاهد فيها و يقتدى بعالمها و جاهلها و تكون طاعة الله فيهم كسبيكة تعرض على طائف الناس ينكر غشها المنكر ويعرف عنها المعروف و يرى غشها و خالصها ، و أيضاً فلاجتماع المسلمين راغبين فى الله راجين راهبين منه مسلمين وجوههم إليه خاصية عجيبة فى نزول البركات و تدلى الرحمة كما بينا فى الاستسقاء و الحج ، وأيضاً فمراد الله من نصب هذه الأمة أن تكون كلمة الله هى العليا و أن لايكون فى الأرض دين أعلى من الاسلام ولا يتصور ذلك إلا بأن يكون سنتهم أن يجتمع خاصتهم وعامتهم وحاضرهم وباديهم و صغيرهم و كبيرهم لما هو أعظم شعائره و أشهر طاعاته فلهذه المعانى انصرفت العناية التشريعية إلى شرع الجمعة والجماعات والترغيب فيها و تغليظ النهى عن تركها .

[حجة الله البالغة الجزء الثانى المطبوعة بمصر ص / ٢٣]

❁ ❁ ❁

الفصل الثانى

فى العتاب على من ترك الجماعة

إن الله تعالى وعد بالثواب و الأجر على اتباع أوامره ، و أنذر بسخطه و عتابه على عصيانه ومخالفة أوامره ، و من فضله العميم على عباده أنه وعد بأجر غير ممنون و عطاء غير مجذوذ على الاتباع ، فالعبودية لا تقتضى بطبيعة الحال إلا العتاب و الزجر بدلا من الثواب و الأجر ، فان العبد لا وظيفة له غير امتثال الأمر ، و الطاعة الكاملة و الاتباع المجرد ، وهو لا يستحق هذا الفضل و الاحسان والاكرام والانعام ، أما العصيان فهو يستحق عليه — طبعاً — كل نوع من العذاب ، و كل لون من العتاب ، وأى شئ أكبر جناية من المعصية ، ولم نكن نستحق هذه التنبيهات أبداً، ولكن الله حذرنا بلطفه من سوء العاقبة مرة بعد مرة ، وأخبرنا بمضاره و أخطاره ، و موبقاته و مهلكاته ، و ضرب لنا من كل مثل ، و تنبيه و نصح ، و إنذار و تبشير ، و وعد و وعيد ، و من أساء بعد ذلك فانه لا يهلك إلا نفسه « و ما ربك بظلام للعبيد » .

عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قالوا : و ما العذر ؟ قال خوف أو مرض لم تقبل منه الصلوات التى صلى ، رواه أبوداؤد و ابن حبان فى صحيحه و ابن ماجة بنحوه ، كذا فى الترغيب ، و فى المشكاة رواه أبو داؤد و الدارقطنى .

فائدة

إن معنى عدم القبول أنه لا ينـال ذلك الأجر الذى كان مرتبطاً بهذه الصلوات ، و إن أدى فريضة ، وهو المراد من جميع الآثار والأخبار التى وردت فيها بأن لاتقبل صلاة فلان ، فالحرمان من هذا ليس بشئ هين ، و إلى ذلك ذهب الامام أبو حنيفة ، و قد ذهب عدد من الصحابة و التابعين إلى أن ترك الجماعة بلا عذر حرام وأن حضور الجماعة فرض ، ويرى كثير من العلماء أنه لا صلاة مطلقاً لمن ترك الجماعة .

عن معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال الجفاء كل الجفاء و الكفر و النفاق من سمع منادى الله ينادى إلى الصلاة فلا يجيبه ، رواه أحمد و الطبرانى من رواية زبان بن فائد ، كذا فى الترغيب ، و فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى فى الكبير و زبان ضعفه ابن معين و وثقه أبو حاتم و عزاه فى الجامع الصغير إلى الطبرانى و رقم له بالضعف .

فما أشد هذا الزجر و أنكى هذا التنبيه إذ سمى هذا الفعل كفراً و نفاقاً ، و قرر أن صدوره عن مسلم مستحيل أو بعيد ، وورد فى حديث آخر ما معناه كفى بالمرء شقاء أن يسمع الأذان فلا يستجيبه ، سليمان بن أبى حثمة من كبار الصحابة ، ولد فى عهد النبى ﷺ و لكنه لم يرو عنه ﷺ لصغر سنه ، جعله عمر رضى الله عنه أمير السوق .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لقد همت أن آمر فتيتي فيجمعوا لى حزماً من حطب ثم آتى قوماً يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم ، رواه مسلم و أبو داؤد وابن ماجة والترمذى ، كذا فى الترغيب ، قال السيوطى فى الدر : أخرج ابن أبي شيبة و البخارى و مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رفعه ، أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء و صلاة الفجر و لو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ، و لقد همت أن آمر بالصلاة فتقام ، الحديث بنحوه .

فائدة

إن النبي ﷺ بكل ما عرف به من رحمة و لين و رأفة بأمته و رفق بأحوال عباد الله ، و مع أنه كان لا يرضى بأن يتأذى أحد و يتألم لم يتمالك غضبه فى هذا الأمر ، و أراد بأن يحرق بيوت هؤلاء الذين لا يحضرون الجماعة .

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من ثلاثة فى قرية و لا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة ، فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، رواه أحمد و أبوداؤد والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم ، وزاد رزين فى جامعه ، وإن ذئب الانسان الشيطان إذا خلا به أكله ، كذا فى الترغيب و رقم له فى الجامع الصغير بالصحة و صححه الحاكم و أقره عليه الذهبي .

فائدة

علمنا من هذا الحديث أن الذين يشتغلون بالزراعة ينبغى لهم أن يصلوا جماعة إذا كانوا ثلاثة ، إن الفلاحين لا يصلون عادة ، و يظنون أن الزرع و الحرث يمنعهم من الصلاة ، أما المتـــدينون فهم يصلون صـــلاة الفذ فى غالب الأحوال ، و لو اجتمعوا فى وقت الصلاة ، وخلوا مزارعهم استطاعوا أن يصلوا جماعة ، و ينالوا ثواباً كبيراً ، فانهم يحتملون الحر والقر والمطر ، ولا يبالون بشدائد الطقس و مشقة الزراعة لأجل متاع قليل ، ويفقدون هذا الأجر العظيم و الثواب العميم ، ولو أنهم صلوا جماعة فى حقولهم ومزارعهم لكان أجلب للثواب ، وأولى بالنفع والخير، فعن عقبة ابن عامر قال قال رسول ﷺ يعجب ربك من راعى غنم فى رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة و يصلى فيقول الله عز و جل انظروا إلى عبدى هذا يؤذن و يقيم الصلاة يخاف منى ، قد غفرت لعبدى و أدخلته الجنة .

[رواه أبو داؤد و النسائى]

عن ابن عباس أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجماعة و لا الجمعة فقال هذا فى النار [رواه الترمذى موقوفاً ، كذا فى الترغيب ، و فى تنبيه الغافلين روى عن مجاهد أن رجلا جاء إلى ابن عباس فقـــال : يا ابن عباس ما تقول فى رجـــل فذكره بلفظه زاد فى آخره : فاختلف إليه شهراً يسأله

عن ذلك و هو يقول : هو فى النار

فائدة

سلمنا أن المؤمن يخرج أخيراً من النار ، و لكن من يدرى كم تطول مدته (أعاذنا الله منها) إن جهال الصوفية يهتمون بالأوراد و النوافل أكثر من حضور الجماعة و الاهتمام بها ويعتبرون هذا من سيما الصالحين ، وعلامات الأبرار والمتقين مع أن كمال التقوى فى اتباع السنة فقط .

أخرج ابن مردويه عن كعب الحبر قال والذى أنزل التوراة على موسى و الانجيل على عيسى و الزبور على داؤد والفرقان على محمد ، أنزلت هذه الآيات فى الصلوات المكتوبات حيث ينادى بهن « يوم يكشف عن ساق إلى قوله و هم سالمون » الصلوات الخمس إذا نودى بها ، وأخرج البيهقى فى الشعب عن سعيد بن جبير قال الصلاة فى الجماعات ، و أخرج البيهقى عن ابن عباس قال الرجل يسمع الأذان فلا يجيب الصلاة ، كذا فى الدر المنثور ، قلت : و تمام الآية « يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون إلى السجود و هم سالمون » .

إن الكشف عن الساق لا يكون إلا فى يوم القيامة فيقع المسلمون كلهم ساجدين خاشعين بينما يصبح صلب بعضهم كالخشبة فلا يقدرون على السجدة ، و قد وردت تفسيرات مختلفة لهذا النوع

الأخير فقد روى عن كعب الأحبار وروى عن ابن عباس وغيره بنحوه ، أنهم أناس كانوا يدعون إلى صلاة الجماعة فلا يستجيبون، و روى البخارى عن أبي سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ﷺ أنهم من الذين كانوا يصلون رئاء ، والتفسير الثالث أنهم من الكفار الذين لا يصلون مطلقاً ، و التفسير الرابع أنهم من المنافقين ، و الله أعلم و علمه أتم .

الباب الثالث فى الخشوع فى الصلاة

إن هناك أناساً يصلون ، و منهم من يصلون مع الجماعة و يهتمون بها كل الاهتمام ولكن تضرب هذه الصلاة على وجوههم و ترد إليهم لكونها ناقصة ، وكون الصلاة ناقصة أولى من تركها بتاتاً، فان تركها يجر العذاب الأليم ، أما أداؤها ناقصة فان ذلك يحرم من الثواب المرجو ، ومهما يكن من شئ فان الشكل الأخير يخلو من التمرد و البغى و الطغيان بخلاف الشكل الأول ، فينبغى للمرء و قد أنفق بعض الوقت و الجهد و تحمل المشقة و العناء أن يحاول تحسين صلاته وأن يجعلها مااستطاع وجيهة مقبولة عند الله، إن الآية التالية تتعلق بالأضحية و لكنها تنطبق على سائر الأحكام و الأمور و النواحى « لن ينال الله لحومها و لا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » فكلما كان الاخلاص كان القبول عند الله .

عن معاذ بن جبل أنه قال حين بعث إلى اليمن يا رسول الله أوصنى قال أخلص دينك يكفك العمل القليل ، و روى عن ثوبان قال سمعت رسول‌الله ﷺ يقول : طوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى تتجلى عنهم كل فتنة ظلماء ، و عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم و صلاتهم و إخلاصهم . [الترغيب]

وقال الله تعالى « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن » وقد جاءت تفسيرات مختلفة لـ «ساهون» منها أن لا يبالى بأوقاتها و منها أن لا يركز قلبه و قالبه على الصلاة بل يؤديها متشتت البال فلا يعلم كم ركعة صلى ، و قال الله تبارك و تعـالى يصف المنافقين « و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس و لايذكرون الله إلا قليلا » وذكر فى موضع آخر بعض الأنبياء عليهم السلام ثم قال « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » و معنى الغى فى اللغة الضلال والمراد منه الهلاك فى الآخرة و ذهب بعض المفسرين أن الغى طبقة فى جهنم فيها غسلين و ماء حميم يلقى فيهـا هؤلاء المضيعون للصلاة ، وجاء فى مكان آخر « وما منعهم أن تقبل منهم نفقـاتهم إلا أنهم كفروا بالله و برسوله و لا يـأتون الصلاة إلا و هم كسالى و لا ينفقون إلا وهم كارهون » .

و يذكر بالعكس منهم المحسنين صـلاتهم و الذين يؤدون

حقوقها و شروطها فيقول : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .

ورد فى الحديث أن الفردوس أفضل طبقات الجنة و أعلاها فمن هنا تتفجر أنهار الجنة و العرش العظيم فوقه فاذا سألتم الله الجنة فاسألوا الفردوس ، ويقول فى موضع « و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون » ويصف هؤلاء فى موضع آخر قائلا « فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو و الآصال ، رجال لاتلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة و إيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله و الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

قال عبد الله بن عباس إن المراد من إقام الصلاة أن يعتدل فى ركوعه وسجوده و يقبل إلى الله إقبالا كلياً و يصلى خاشعاً ، و عن قتادة أن معنى إقام الصلاة المحافظة على الأوقات و إسباغ الوضوء و الاعتدال فى الأركان ، هذا هو المراد من الاقامة حيثما ورد فى القرآن ، و أثنى عليهم فى موضع آخر فقال : « و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، و الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » و قال « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا و يلقون فيها تحية و سلاماً خالدين فيها حسنت مستقراً و مقاماً » وقال « و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وزادهم فى مكان

آخر و قال « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون » .

إن المتقين فى جنات و عيون آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل مايهجعون و بالأسحار هم يستغفرون ».

« أمن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة ، و يرجو رحمة ربه ».

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » .

«إن الانسان خلق هلوعاً، إذا مسه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » .

« والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون ».

و هناك آيات كثيرة ذكرت فيها أحكام الصلاة و فضائل المصلين و الاكرام الذى ينالونه فى الآخرة ، ولا شك أن الصلاة أغلى من كل شئ ، ولذلك قال النبي ﷺ : قرة عينى فى الصلاة ، وجاء على لسان سيدنا إبراهيم خليل الله «رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا و تقبل دعاء » فانظر إلى هذا النبى الحبيب إلى ربه الذى لقب بخليل الله كيف يسأل الله أن يرزقه العناية والاهتمام بالصلاة و يأمر الله سبحانه حبيبه و سيد أنبيائه فيقول « و أمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة

للتقوى »

و عن رجل من قريش قال كان النبي ﷺ إذا دخل على أهله بعض الضيق من الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ : وأمر أهلك بالصلاة . [الدر المنثور]

وكذلك كان الأنبياء عليهم السلام يتوجهون إلى الصلاة كلما حزبهم أمر ، أما نحن فغافلون عنها لا نهتم بها أى اهتمام رغم كل الدعاوى الفارغة ، وإذا نادى مناد للصلاة و دعا إليها أصبح عند بعضنا موضع سخرية ، و لا نضر بذلك إلا أنفسنا ، أما المصلون فأكثر صلاتهم ساهية واهية ، فلا نجد فيها تعديل الأركان فضلا عن الخشوع و الانابة ، مع أن أسوة النبي ﷺ ظاهرة باهرة ، و عمل الصحابة واضح ثابت ، وقد أوردت أمثلة و نماذج لصلاة الصحابة فى كتابى « قصص الصحابة » فلا حاجة إلى إعادتها فأكتفى هنا بأمثلة من رجال الله و نبذة من أحاديث الرسول ﷺ .

يروى عن الامام أحمد بن حنبل أنه كان يقضى نهاره فى تحقيق المسائل العلمية و يصلى فى ليلة واحدة ثلاث مأة ركعة ، و كان سعيد بن جبير يختم القرآن فى ركعة واحدة ، وحكى عن محمد بن المنكدر أنه بكى فى صلاة التهجد بكاءاً حاراً حتى سئل عن ذلك فقال أمسكتنى هذه الآية « وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » وكان خائفاً وجلا عند وفاته ، وقال إنى أخشى من هذه الآية .

وكان ثابت البنانى من حفاظ الحديث يبكى كثيراً حين يقوم أمام ربه فقيل له ذلك يضر عينيك ، فأجاب ما الفائدة فى العين إذا

لم يفض ، و كان يدعو الله أن يسمح له بالصلاة فى القبر إذا سمح ذلك لأحد من خلقه ، و يقول أبو سنان : والله حضرت جنازته و كنت من الذين دفنوه ، وقد سقطت لبنة من القبر بعد أن سويناه ، فرأيته قائماً يصلى فقلت لصاحبي ، أنظر هل ترى شيئاً؟ فقال لى أسكت ، و لما فرغنا من رفعه ، ذهبنا إلى بيته و سألنا أخته عما إذا كان عمل ثابت . فقالت لماذا تسألون ؟ فحكينا ما جرى ، قالت : إنه سهر الليالى منذ خمسين سنة ، و كان يدعو فى السحر و يقول : اللهم إذا سمحت لأحد من خلقك أن يصلى فى قبره ، فاجعلنى منهم .

وكان الامام أبو يوسف يصلى مأتى ركعة كل يوم إلى جانب أشغاله العلمية و مشكلات القضاء فقد كان قاضى القضاة .

و كان المحدث الكبير محمد بن نصر يصلى فلا يحس بشئ ، و حدث أنه لدغه زنبور فى جبينه حتى خرج منه الدم فلم يتحرك و لم يتزلزل فى الخشوع والخضوع ، ويقال إنه كان يقوم كالخشبة لا يتحرك مطلقا ، و كان بقى بن مخلد يختم القرآن فى ثلاث عشرة ركعة من الوتر و التهجد ، و كان هناد تلميذه المحدث يقول إنه كان بكاءاً ، حدث مرة أنه درسنا بعد صلاة الفجر ، ثم قضى حوائجه و توضأ و قام للصلاة حتى كان الزوال ، ثم ذهب إلى بيته ، وخرج عند صلاة الظهر وصلى بنا ، و ظل يشتغل بالصلاة حتى قام لصلاة العصر ، ثم جلس يتلو القرآن حتى غربت الشمس و رجعت بعد صلاة المغرب ، و سألت أحد جيرانه عن عبادة

الشيخ فقال هذا دأبه منذ سبعين سنة ، و إذا رأيته فى الليل استغربت أكثر .

ويحكى عن مسروق أنه كان يطيل صلاته حتى تورمت ساقاه، و كانت زوجته جالسة وراءه ترثى لحاله و تبكى ، و يقولون عن سعيد بن المسيب أنه صلى العشاء والفجر بوضوء واحد لمدة خمسين سنة ، و حكى عن أبى المعتمر أنه واظب على هذا أربعين سنة ، و نقل الامام الغزالى عن أبى طالب المكى أنه ثبت عن أربعين تابعياً بطريق التواتر أنهم كانوا يصلون صلاة الفجر بوضوء العشاء و استقام بعضهم على ذلك أربعين سنة

أما ما نقل عن الامام أبى حنيفة فهو معلوم و مشهور ، و ذلك أنه صلى الفجر بوضوء العشاء لمدة أربعين أو خمسين سنة ، و هذا الاختلاف فى الرواية مرده إلى علم الناقلين والرواة ، فمن عثر على أربعين روى هذا و من اطلع على خمسين روى ذاك ، وكان يقيل لساعة فى الظهر ، بناءً على ما جاء فى الحديث ، وحكى عن الامام الشافعى أنه كان يختم ستين ختمة فى الصلاة فى شهر رمضان و يقول رجل مكث عند الامام الشافعى لعدة أيام إنه لم يكن ينام فى الليل إلا قليلا ، و كان الامام أحمد يصلى ثلاث مأة ركعة كل يوم ، فلما ضرب بالسياط انتقص هذا العدد فأصبح مأة و نصف ، و كان عمره إذ ذاك ما يقارب ثمانين سنة ، و كان أبو عتاب السلمى يقوم الليل و يبكى و يصوم فى النهار و مكث على هذا أربعين سنة .

وهناك ألوف مؤلفة من النماذج والأمثلة تمثل هؤلاء السعداء تزخر بها كتب التاريخ ، و يستعصى الاحاطة بها على الباحث و المؤرخ ، وفى ما ذكرناه كفاية ومقنع ، رزقنا الله اتباعهم وحسن الاقتداء بهم بلطفه وكرمه، وفيما يلى بعض ماورد فى هذا الباب بعض الأحاديث و الآثار .

١ — عن عمار بن ياسر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الرجل لينصرف و ما كتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها [رواه أبوداوٗد وقال المنذرى فى الترغيب : رواه أبو داوٗد والنسائى و ابن حبان فى صحيحه بنحوه ، وعزاه فى الجامع الصغير إلى أحمد و أبي داوٗد وابن حبان ورقم له بالصحيح ، وفى المنتخب عزاه إلى أحمد أيضاً ، وفى الدر المنثور أخرج أحمد عن أبي اليسر مرفوعاً : منكم من يصلى الصلاة كاملة و منكم من يصلى النصف و الثلث و الربع حتى بلغ العشر، قال المنذرى فى الترغيب رواه النسائى باسناد حسن و اسم أبي اليسر كعب بن عمرو السلمى شهد بدراً .

يريد أن الاخلاص و الخشوع هو مقياس الأجر و الثواب فى الحقيقة وجاء فى حديث أن للفريضة عند الله وزناً فكلما نقص منه حوسب ، و جاء فى حديث آخر أن أول ما يرفع من الناس الخشوع فلا يوجد خاشع فى قوم .

٢ — روى عن أنس قال قال رسول الله فمن صلى الصلاة لوقتها وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها و خشوعها وركوعها

وسجودها خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ، و من صلاها لغير وقتها ، و لم يسبغ لها وضوءها و لم يتم لها خشوعها و لا ركوعها و لا سجودها خرجت و هي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه ، رواه الطبرانی فی الأوسط كذا فی الترغيب و الدر المنثور وعزاه فی المنتخب إلى البيهقی فی الشعب و فيه أيضاً برواية عبادة بمعناه و زاد فی الأولى بعد قوله « كما حفظتني » ثم أصعد بها إلى السماء و لها ضوء و نور ففتحت له أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله فتشفع لصاحبها و قال فی الثانية و غلقت دونها أبواب السماء ، و عزاه فی الدر إلى البزار و الطبرانی ، و فی الجامع الصغير حديث عبادة إلى الطيالسی ، و قال : صحيح .

فهنيئاً للذين يحسنون صلاتهم حتى تدعو لهم هذه العبادة و تشفع لهم عند الله ، أما صلاتنا فی هذا الزمان فلا علاقة لها بهذه الصلاة المطلوبة ، فاذا ركع واحد لم يقم كما ينبغی أن يقوم بل سجد استعجالا ونقر فيها كنقرة الغراب ، فهل يكون لهذه الصلاة مصير غير هذا المصير ؟ و هل يحق لنا أن نشكو إلى الله على ذهاب شوكتنا بعد أن ضيعنا صلاتنا ، وهذا هو سر انحطاط المسلمين فی هذا الزمان ،وورد فی أثر عن النبی ﷺ أن مثل من لا يقيم صلبه فی صلاته كمثل حبلى حملت فلما دنا نفاسها اسقطته فلا هی ذات حمل و لا هی ذات ولد [الترغيب]

و جاء فى حديث : رب صائم ليس من صيامه إلا الجوع و العطش و رب قائم ليس له إلا السهر .

و عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ مر على أصحابه يوماً فقال : هل تدرون ما يقول ربكم تبارك و تعالى قالوا الله و رسوله أعلم ، قالها ثلاثاً ، قال و عزتى و جلالى لا يصليها أحد لوقتها إلا أدخلته الجنة و من صلاهـا بغير وقتها إن شئت رحمته و إن شئت عذبته . [الترغيب]

٣ — عن أبى هريرة رضى الله عنـه سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان صلحت فقد أفلح و أنجح ، و إن فسدت خاب و خسر . و إن انتقص من فريضة قال الرب انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك ، رواه الترمذى ، و حسنه النسائى و ابن ماجة والحاكم و صححه ، كذا فى الدر ، وفى المنتخب برواية الحاكم فى الكنى عن ابن عمر أول ماافترض الله على أمتى الصلوات الخمس ، وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، الحديث بطوله بمعنى حديث الباب وفيه ذكر الصيام و الزكاة نحو الصلاة ، وفى الدر أخرج أبو يعلى عن أنس رفعه : أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة ، وآخر ما يبقى الصلاة و أول ما يحاسب به الصلاة ، يقول الله انظروا فى صلاة عبدى فان كانت تامة كتبت تامة و إن كانت ناقصة قال انظروا هل له من تطوع، الحديث فيه ذكر الزكاة والصدقة، وفيه أيضاً

أخرج ابن ماجة والحاكم عن تميم الدارى مرفوعاً : أول مايحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، الحديث . و فى آخره ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الأعمال حسب ذلك ، و عزاه السيوطى فى الجامع إلى أحمد و أبى داؤد و الحاكم و ابن ماجة و رقم له بالصحيح .

علمنا من هذا الحديث أنه ينبغى للمؤمن أن يكون لديه رصيد من النوافل ليكون عدته حين تنقص به الفريضة إن هناك رجالا يقولون تثقل علينا الفريضة فمالنا للنوافل ؟ فهى للصالحين و أولياء الله ، الحق أننا إذا أدينا الفريضة كاملة غير منقوصة فكانت فيها كفاية ، و لكن هل فى وسعنا وهل من الميسور أن نؤدى حقها فلا غنى من النوافل لا كمال ما نقص وسد ماعوز من الصلوات المكتوبة ، و كان دأب النبى ﷺ أنه أول ما كان يعلم من أسلم الصلاة .

٤ — عن عبد الله بن قرط قال قال رسول الله ﷺ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله، و إن فسدت فسد سائر عمله ، رواه الطبرانى فى الأوسط و لا بأس باسناده إن شاء الله ، كذا فى الترغيب ، وفى المنتخب برواية الطبرانى فى الأوسط أيضاً عن أنس بلفظه ، وفى الترغيب عن أبى هريرة رفعه للصلاة ثلاثة أثلاث : الطهور ثلث ، ركوع ثلث ، و السجود ثلث فمن أداها بحقها قبلت منه و قبل منه سائر عمله ، رواه البزار و قال لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث المغيرة بن مسلم ، قال الحافظ : وإسناده حسن ، و أخرج مالك فى المؤطأ أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله أن أهم أموركم عندى الصلاة

من حفظها أو حافظ عليها حفظ دينه و من ضيعها فهو لما سواها أضيع ، كذا فى الدر المنثور

و ذلك هو معنى الآية إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر التى سيأتى ذكرها .

عن عبد الله بن قتادة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته ، قالوا يا رسول الله كيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها و لا سجودها ، رواه الدارمى ، و فى الترغيب رواه أحمد و الطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه وقال صحيح الاسناد، وفى المقاصد الحسنة حديث إن أسوأ الناس سرقة. رواه أحمد و الدارمى فى مسنديهما من حديث الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عبد الله بن قتادة عن أبيه مرفوعاً ، و فى لفظ بحذف إن ، و صححه ابن خزيمة و الحاكم وقال إنه على شرطهما و لم يخرجاه لرواية كاتب الأوزاعى له عنه عن يحيى بن أبى سلمة عن أبى هريرة ورواه أحمد أيضاً والطيالسى فى مسنديهما من حديث علي* بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبى سعيد الخدرى به مرفوعاً ، و رواية أبى هريرة عند ابن منيع ، وفى الباب عن عبدالله بن مغفل ، وعن النعمان بن مرة عند مالك مرسلا فى آخرين ، و قال المنذرى فى الترغيب بحديث ابن مغفل رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة باسناد جيد وقال بحديث أبى هريرة رواه الطبرانى فى الأوسط و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم وقال صحيح الاسناد ، قلت : و حديث أبى قتادة و أبى سعيد ذكرهما

السيوطى فى الجامع ورقم بالصحيح .

هذا المعنى ورد فى عدة أحاديث : فانظر أولا إلى شناعة السرقة ثم انظر إلى هذا القسم الخاص من السرقة الذى هو أسوء الأقسام ، فعن أبى الدرداء قال كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ فقال زياد بن لبيد يا رسول الله و كيف يختلس منا و قد قرأنا القرآن فو الله لنقرأنه و لنقرئنه نساءنا و أبناءنا فقال ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدلك من فقهاء أهل المدينة هذا التوراة والانجيل عند اليهود و النصارى فماذا يغنى عنهم فلقيت عبادة بن الصامت فقلت له ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء ؟ ـ وأخبرته ـ فقال : صدق ، وإن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس الخشوع ، يوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيه رجلا خاشعاً ، و عن حذيفة قال أول ما تفقدون من دينكم الصلاة . [الدر المنثور]

و قد أكد هذا المعنى و اهتم به الشيخ أحمد السرهندى مجدد الألف الثانى فى رسائله غاية الاهتمام ، وكان فيما كتب « إنه لابد من ضم الأصابع عند السجدة ، و تفريقها عند الركوع فالشريعة لم تأمر بذلك عبثاً ، فيجب العناية بمثل هذه الآداب البسيطة ، ويقول إن النظر إلى موضع السجدة أثناء القيام، والنظر على الأقدام عندالركوع ، ووضع الأنف مع الجبهة على الأرض ، والنظر على الأيدى عند القعدة له تأثير خاص فى كسب الخشوع ،

و ينال به المصلى سكينة وطمأنينة فى صلاته ، فان كانت هذه فائدة بعض الآداب العادية البسيطة فما بالك برعاية السنن والآداب الهامة؟

٦ — عن أم رومان والدة عائشة قالت رآنى أبو بكر الصديق أتميل فى صلاتى فزجرنى زجرة كدت انصرف من صلاتى قال سمعت رسول الله يقول إذا قام أحدكم فى الصلاة فليسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود فان سكون الأطراف فى الصلاة من تمام الصلاة أخرجه الحكيم الترمذى من طريق القاسم بن محمد عن أسماء بنت أبى بكر عن أم رومان ، كذا فى الدر ، و عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى أبى نعيم فى الحلية و ابن عدى فى الكامل ، و رقم له بالضعف و ذكر أيضاً برواية ابن عساكر عن أبى بكر من تمام الصلاة سكون الأطراف .

إن هذا الأمر بالسكون والاعتدال ورد فى عدة آثار فقد روى عن محمد بن سيرين قال نبئت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى يرفع بصره إلى السماء فنزلت « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » و أخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن سيرين أيضاً قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة و يلتفتون يميناً وشمالا فأنزل الله «قدأفلح المؤمنون الذين هم فىصلاتهم خاشعون» فقالوا برؤسهم فلم يرفعوا أبصارهم بعد ذلك فى الصلاة و لم يلتفتوا يميناً و لا شمالا .

أخرج ابن مردويه عن ابن عمر فى قوله « الذين هم فى صلاتهم خاشعون» قال كانوا إذاقاموا فى الصلاة أقبلوا على صلاتهم

و خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، و علموا أن الله يقبل عليهم فلا يلتفتون يميناً و لا شمالا .

وعن على أنه سئل عن قوله « الذين هم فى صلاتهم خاشعون» قال الخشوع فى القلب ، وأن تلين كنفك للمرء المسلم ، و أن لا تلتفت فى صلاتك .

وعن ابن عباس فى قوله « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » قال خائفون ساكنون .

و عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله تعوذوا بالله من خشوع النفاق ، قالوا يا رسول الله و ما خشوع النفاق ؟ قال خشوع البدن و نفاق القلب .

و عن أبى الدرداء قال استعيذوا بالله فى خشوع النفاق ، قيل له و ما خشوع النفاق قال أن ترى الجسد خاشعاً و القلب ليس بخاشع .

عن قتادة قال : الخشوع فى القلب هو الخوف و غض البصر فى الصلاة .

و أخرج الحكيم الترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال لو خشع قلب هذا ، خشعت جوارحه . [الدر المنثور]

و أخرج البخارى و أبو داؤد و النسائى عن عائشة قالت سألت رسول الله عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد .

و عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ لينتهين قوم يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة أولا ترجع إليهم .

[الدر المنثور]

و قد روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أن الخشوع هو السكون فى الصلاة، وجاء فى حديث « صلوا صلاة مودع » .

و عن عمران بن حصين قال سئل النبى ﷺ عن قول الله تعالى « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر » فقال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر فلا صلاة له ، أخرجه ابن أبى حاتم و ابن مردويه ، كذا فى الدر المنثور .

مما لاشك فيه أن الصلاة نعمة كبيرة ، و أنها تنهى عن الفحشاء و المنكر إذا صلاها المؤمن على وجهها الصحيح ، و إذا كان الأمر بالعكس فمعناه أن الصلاة ناقصة و لم تصل إلى درجة الكمال .

علمنا من هذا أن الذى وقع فى المعاصى و الرذائل ينبغى له أن يهتم بالصلاة حتى تزول عنه أدران الرذائل نفسها ، إن مقاومة رذيلة بعد رذيلة وتتبعها عسير و يحتاج إلى وقت طويل والصلاة كفيلة بالقضاء على جميع هذه الرذائل و السيئات جملة واحدة ، فنسأل الله أن يرزقنا حسن الصلاة و تمامها و كمالها

عن جابر قال قال رسول الله ﷺ أفضل الصلاة طول القنوت أخرجه ابن أبى شيبة ومسلم و الترمذى وابن ماجة ، كذا فى الدر المنثور ، وفيه أيضاً : عن مجاهد فى قوله تعالى « وقوموا

لله قانتين » قال من القنوت الركوع والخشوع ، و طول الركوع يعني طول القيام و غض البصر و خفض الجناح و الرهبة لله ، وكان الفقهاء من أصحاب محمد ﷺ إذا قام أحدهم في الصلاة يهاب الرحمن سبحانه أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يشد بصره أو يعبث بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً حتى ينصرف ، أخرجه سعيد بن منصور و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر ، و الأصبهاني في الترغيب و البيهقي في شعب الايمان ، و هذا آخر ما أردت إيراده في هذه العجالة و الله ولي التوفيق ، و قد وقع الفراغ منه ليلة التروية من سنة سبع و خمسين بعد ألف و ثلاث مأة ، و الحمد لله أولا و آخراً .

قد وردت تفسيرات مختلفة لآية « قوموا لله قانتين» منها أن المراد بها ساكتين ساكنين، فقد كان الناس يتكلمون في الصلاة في أول عهدهم حتى نزلت هذه الآية .

قال العارفون و المشايخ إن في الصلاة اثنى عشر ألف بركة ضمها الله سبحانه في اثني عشر جزءاً، فلابد من رعاية هذه الأجزاء حتى تتم الصلاة و تعطي ثمرتها المرجوة وفائدتها المطلوبة . الأول ، العلم: فقد روى عن النبي ﷺ ما معناه «إن العمل القليل مع العلم أفضل من كثيره مع الجهل . الثاني ، الوضوء . الثالث : اللباس ، الرابع : الوقت ، الخامس التوجه إلى القبلة ، السادس : النية ، السابع : التكبيرة الأولى ، الثامن القيام في الصلاة ، التاسع : تلاوة القرآن المجيد ، العاشر : الركوع ، الحادي عشر : السجدة ، الثاني

عشر : القعدة ، و تكميل هذه الأجزاء منوط بالاخلاص و لكل جزء من هذه الأجزاء ثلاثة أجزاء ، فالعلم له ثلاثة أجزاء ، وهو أن يطلع على الفرائض و السنن و يعرف كم فى الوضوء و الصلاة من الفرائض و كم فيهـا من السنن ، و أن يعرف كيف يتخلل الشيطان بوسوسته و مكره ، و للوضوء ثلاثة أجزاء ، الأول أن يطهر قلبه عن الضغينة و الحسد ، الثانى أن يطهر جوارحه عن المعصية ، والثالث أن لايسرف فى استعمال الماء ولا يقصر، وللباس ثلاثة أجزاء. أن يكون من وجه الحلال أن يكون طاهراً أن يكون مطابقاً للسنة بعيداً عن الزهو و الخيلاء ، و للوقت ثلاثة أشياء أن يهتم بأوقات الصلاة ، و يضبط ساعته ، أن يترقب الأذان ، أن يستحضر الصلاة فى كل وقت حتى لا تفوت أوانها ، وفى التوجه إلى القبلة ثلاثة أشياء : أن يتوجه إلى القبلة بظـاهر البدن ، أن يتوجه إلى الله بباطنه وقلبه فهوسبحانه جل وعلا كعبة القلب وكعبة الآمال ، أن يقبل إليه إقبالا كلياً و يخشع له خشوعاً تاماً ، وفى النية ثلاثة أجزاء : أن يعرف صلاته ، أن يشعر أنه يقوم أمام الله العليم البصير ، و أن الله يعرف أسراره و سرائره .

وللتكبيرة الأولى ثلاثة أجزاء : أن يعنى بصحة اللفظ، أن يرفع يديه إلى شحمة أذنيه (كأنه نبذ كل شئ من الدنيا وراء ظهره) أن يشعر بجلال الألوهية و عظمتها حين يكبر .

و للقيام ثلاثة أجزاء : أن ينظر إلى موضع السجدة ، وأن يعلم ببصره وبصيرته أنه يقف أمام ربه ، وأن لا يلتفت يميناً ولا

شمالا ولا يتمايل . فان مثل من يلتفت فى صلاته كمثل رجل استطاع أن يحضر أمام السلطان بعد عناء كبير و تزلف طويل ، فلما وقف أمامه و أقبل إليه السلطان ظل يلتفت يميناً و شمالا ، و ينظر هنا و هناك ، و للتلاوة ثلاثة أجزاء ، أن يتلو ترتيلا ، و يتأمل فى معانيها و آياتها ، و يعمل بما فيها ، و للركوع ثلاثة أجزاء ، أن يسوى ظهره فى صلاته (حتى يستوى خصره بعجزه) و أن يضع أصابعه على الركبة منفصلة ، و يسبح بخضوع و إنابة و تعظيم .

و للسجدة ثلاثة أجزاء ، أن يحاذى يديه أذنيه فى السجدة ، أن يرفع مرفقيه عن الأرض . وأن يسبح فى السجدة مستحضراً جلال الله و عظمته ، وللقعدة ثلاثة أجزاء ، أن يرفع رجله اليمنى ويجلس على رجله اليسرى ، أن يقرأ التشهد برعاية معناه فان فيه الصلاة على النبي ، و الدعاء للمؤمنين ثم يسلم يميناً و شمالا على الملائكة و المؤمنين المصلين ، و للاخلاص ثلاثة أجزاء أيضا ، أن لا يريد من الصلاة غير وجه الله . أن يعلم أنها بتوفيق الله ، أن يرجو عليها الأجر و الثواب .

الحقيقة أن الصلاة تحوى جانباً كبيراً من الخير و البركة و السعادة ، تأمل فى تسبيحاته تر عجباً . و كلها إظهار للعبودية والخضوع ، لأن رفع الأعناق آية الكبر ، و إخضاعها آية الطاعة و الانابة و الاخبات ، فالركوع يعنى أن العبد يقول إنه خضع للأوامر الالهية لا يبغى عنها بديلا ، و يقول إن هذا الجسم العاصى حاضر بين يديك ، لخضعت جوارحى أمام عظمتك وجلالك،

لك الكبرياء وحدك لا شريك لك ، و هكذا فى تسبيح السجدة فهو إقرار بعظمة الله و تنزهه عن كل عيب ، وفيها وضع الرأس عــلى الأرض الذى هو من أشرف أعضاء الانسان و تشتمل على أعز ما فى جسم الانسان مثل العين والأذن ، والأنف واللسان ، و كأن المؤمن فى هـذه السجـدة يقول إنى ألقيت أمامك أشرف الأشياء عندى و أغلاها لدى ، رجاء فضلك و عفوك و كرمك وكانت الخطوة الأولى أو الظاهرة الأولى لهذا الخضوع فى وقوفه أمام الله سبحانه متأدبا خاشعاً عاقداً يديه على السرة ، زاد فى هذا الخشوع بالركوع حتى وضع جبهته أخيراً عــلى التراب ، غاية فى التذلل ، و إظهاراً للافتقار إلى الله ، و هــذه الروح تسرى فى سائر أجزاء الصلاة ، و هى الهيئة الصحيحة و الحقيقية للصلاة ، و هى الصلاة التى ترتقى بالمؤمن إلى سعادات الدين والدنيا، فنسأل الله أن يهبنى و إياكم هذه النعمة بكرمه و لطفه .

إن سهر الليالى فى الوجد و الشوق أو القلق و الألم ، عم فى هذه الأمة وكثرت أمثالها حتى استعصى الاحاطة بها ، ولكننا ابتعدنا عن هذه اللذة و المتعة الروحية حتى بدأنا نشك فيها ، إن إنكار هذه الأمثلة و النماذج التى بلغت حــد التواتر يعنى الانكار بالتاريخ كله إننا نرى هواة السينما و المسرح كيف يسهرون الليالى بدون تعب أو كسل فلماذا نؤمن بلذة المعاصى ، وننكر لذة الطاعات مع أن الطاعة ترافقها النصرة الالهية ومدد الغيب ، والسر الوحيد فى شبهاتنا و إنكارنا أننا لم نذق حلاوتها و الطفل لا يعرف لذة

الشباب بطبيعة الحال ، والفوز بهذه اللذة منوط بتوفيق الله وجميل لطفه بالعباد .

و أخيراً فقد قال العارفون : إن الصلاة هي فى الحقيقة مناجاة مع الله ، ولا تمكن مع الغفلة ، بخلاف العبادات الأخرى مثل الزكاة ، فان حقيقتها إنفاق المال ، وهو يشق على النفس عادة مهما كانت الزكاة مع الغفلة شقت على النفس ، و هكذا الصوم ، والامتناع عن الشهوات فمهما كان الصوم مع الغفلة اشتدت وطأتها على النفس لأن وظيفته كسر الشهوة ، أما الصلاة فأكثرها ذكر وتلاوة ، فاذا كانت مع الغفلة لم تبق مناجاة مع الله ، بل أصبحت كهذيان محموم ينطلق لسانه بشتى العبارات من غير أن يفهم مغزاها ، من غير عناء و من غير فائدة ، هكذا الصلاة إذا أصبحت عادة و لم تبق عبادة ، كانت حركة لا شعورية ، كما يتكلم النائم أحياناً و هو لا يعرف ما قال و لا ينتفع به ، والله سبحانه و تعالى لا يلتفت إلى مثل هذه الصلاة التى لا إرادة فيها و لانية ، فلابد أن نصلى بغاية الاهتمام و نركز عليها همتنا و إرادتنا ما استطعنا ، ولكن هنا نقطة هامة ، وهى أن لا ندع الصلاة أبداً وعلى أى حال إذا قارناها بأحوال أسلافنا و مواجيدهم ، فذلك من كيد الشيطان فانه يوسوس فى الصدور أن ترك الصلاة أولى من أدائها ناقصة ، لأن عذاب تارك الصلاة أنكى و أشد ، و أفتى كثير من العلماء بكفر من يترك الصلاة متعمداً ، وقد فصلنا القول فى هذا الموضوع

فى الباب الأول من الكتاب ، كما يجب أن لا تدخر وسعاً فى تحسين الصلاة و أداء حقها ، و تقليد أسلافنا فيها و الله سبحانه المسؤل أن يرزقنا هذه الصلاة المقبولة ولو مرة واحدة فى العمر ، ويجب الاشارة فى الختام إلى أن التوسع فى أحاديث الترغيب والترهيب و الفضائل جائز عند المحدثين رضى الله عنهم أجمعين ، وهم تسامحوا ببعض الضعف فى الرواية إذا لم يتجاوز الحد ، أما حكايات العارفين و الصوفية و المشايخ فهى من باب التاريخ ، و التاريخ – طبعاً – لا ينافس الحديث وهو أحط منه درجة و أحقر منه شأناً ، و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب ، ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا و لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا و لا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا و اغفرلنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيد الأولين و الآخرين و على آله و أصحابه و أتباعهم و حملة الدين المتين برحمتك يا أرحم الراحمين

محمد زكريا الكاندهلوى

٧ محرم ١٣٥٨هـ

الفهرس

ادارہ اشاعتِ دینیات (پرائیویٹ) لمیٹڈ

۱۶۸/۲-جھاہاؤس حضرت نظام الدینؒ نئی دہلی ۱۱۰۰۱۳ (انڈیا)

فضائلِ القرآن الحکیم

تالیف

العلامۃ المحدث الشیخ محمد زکریّا ابن الشیخ الکبیر المحدث الفقیہ محمد یحیی الکاندھلوی

ادارہ اشاعتِ دینیات (پرائیویٹ) لمیٹڈ

۲/۱۶۸- جھاہاؤس حضرت نظام الدینؒ نئی دہلی ۱۱۰۰۱۳ (انڈیا)

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »

قرآن كريم

الطبعة الأولى

عام ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م

فهرس الكتاب

المضمون	الصفحة

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم فضيلة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، أما بعد! فقد قال كاتب هذه السطور فى كتابه «الأركان الأربعة» تحت عنوان فضل الصلاة و القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ و ختم النبوة » ما ننقله هنا :

« كانت النبوة شمساً وهاجة تشرق على هذا العالم ، و تملأ النفوس و القلوب نوراً و حرارة ، و قوة و حياة ، و تربطها بخالقها ربطاً قوياً وثيقاً ، فى أقل وقت و أكثر عدد ، و تنقل - من أراد الله به الخير - من حضيض الجهل و الغواية ، و الغفلة و البطالة ، و سوء المعرفة و الضلالة ، إلى ذرى العلم و الحكمة ، و الطموح و علو الهمة ، وإلى أقصى مدارج الوصول والكمال ، و إلى أعلى منازل القرب و الولاية .

واتصلت بعثاتهم ودعواتهم صلوات الله عليهم حتى كانت بعثة

محمد ﷺ ، على فترة من الرسل ، فكانت شخصيته هي أقوى شخصيات الرسل ، و كانت دعوته هي أتم الدعوات ، و كانت صحبته هي الاكسير الأعظم الذى يحول العداء الشديد حباً و تفانياً ، و البعد عن الله والوحشة منه ، قرباً منه وأنساً به و وصولا إليه ، وكان الناس يشعرون فى صحبته كأنما يمر بهم التيار الكهربائى ، و كانوا ينتقلون فى لحظات ، من الشك فى الدين ، و الظن و التخمين ، إلى أعلى درجات الايمان و اليقين ، وكان وجوده ﷺ فى أمته أقوى سبب الاتصال بالله تعالى ، و قطع منازل القرب والولاية .

ولكن الله تعالى قدر لهذه الحياة الكريمة نهاية كما قدر لحياة غيره « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل(١) » و أكمل به دينه ، و أتم به نعمته فقال : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا (٢) » و ختم به الأنبياء و الرسل « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبيين (٣) » و انقطع اتصال السماء بالأرض لوحى جديد ، أو رسالة جديدة ، فكان لابد أن يملأ هذا الفراغ الذى يتركه انقطاع النبوات ، و انتقال آخر الأنبياء و خاتم الرسل من

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ (٢) سورة المائدة ٣
(٣) سورة الأحزاب ٤٠

هذه الدنيا ، و يربط الخلق بالحق ربطاً وثيقاً مباشراً ، و يملأ صدورهم إيماناً ، و حكمة و قوة روحية ، و يشعل عاطفتهم ، و يلهب جذوة قلوبهم ، و يصلون به أعلى درجات الايمان واليقين ، و منازل القرب و الولاية .

و كان ذلك العوض و الخليفة هو الكتاب المعجز الخالد الذى يتدفق بالحياة و القوة ، و الذى لا تبلى جدته ، ولا تنقضى عجائبه ، « و الصلاة » التى تزخر بالقوة و الحيوية كذلك ، و لها من الفضل و التأثير فى ربط الصلة بالله و الوصول إليه ، و قطع منازل القرب والولاية ، ما ليس لشئ آخر فى الدين و بهما وصل المخلصون و المجاهدون من هذه الأمة فى كل عصر وجيل إلى مكانة فى الايمان واليقين، والعلم والمعرفة، والربانية والروحانية ، والقرب والولاية ، لا يصل إليها ذكاء الأذكياء، و قياس العقلاء و الحكماء ، و ما زالوا فى عدد يفوت العد و الاحصاء ، ولا يزالان يفيضان النمو و الحياة ، والجدة والنشاط ، و الروحانية الصافية الدافقة فى نفوس هذه الأمة وأجيالها ، تستغنى بهما هذه الأمة عن نبوة جديدة و بعثة جديدة ، و تعيش متصلة بالله مرتبطة به فى كل دور من أدوار حياتها ، وفى كل عهد من عهود التاريخ ، تستمد لنفسها من القرآن و الصلاة ، رابطة قلبية ، و قوة روحية ، و تمد إلى العالم

المعاصر ، يد الدلالة و الهداية ، و لذلك يقول الله تعالى : « و جاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ، و اعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى و نعم النصير (١) » (٢) .

و ظلت الأمة متمسكة بهذين الركنين الوثيقين ، عاضة عليهما بالنواجذ ، يتوارثهما الأجيال بعد الأجيال ، و سيظل ذلك هكذا حتى يرث الله الأرض و من عليها .

و كان القرآن هو الأصل والمصدر و الأساس لهذا الدين ، فنه انبثقت الشريعة ، وانبثقت العقائد ، والعبادات ، و الأخلاق ، و الفضائل ، وانبثقت الحياة الاسلامية كلها ، و هو الحبل الممدود بين الرب و عباده و الرباط الوثيق ، من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

و قد عرفت هذه الأمة بغيرة على هذا الكتاب لم تعرف لأى أمة على كتابها قديماً و حديثاً و شدة شغف به بلغت حد الغرام و الهيام ، و حرص على تلاوته و حفظه ، و تفان فى سبيلهما

---

(١) سورة الحج ٧٨ (٢) الأركان الأربعة ص ٨٧ - ٨٩

و تذوق بلفظه و معانيه ، و تفنن فى خدمته ، من ضبط و إتقان للهجاته و شرح و إيضـاح لكلماته ، و تفسير لآياته ، و كشف القناع عن وجوه إعجازه . واستنباط الاحكام الفقهية ، واستخراج اللطائف العلمية ، والنكت البلاغية . و الفوائد الاجتماعية والحقائق الروحية ، لا يصل إلى مداه الأذكياء وفطنة العقلاء بسهولة و يسر و لا يقدر قدره إلا من استعرض المكتبة الاسلامية الكبرى التى يرجع الفضل فى تكوينها ، وتوسيعها ، وتزيينها إلى القرآن ، فلولا القرآن لما كان نحو و صرف ، ولاعلم غريب واشتقاق ، ولاعلوم البلاغـة ، و لا دونت هذه المعاجم و كتب الفروق و أسرار العربية التى لايوجد لها نظير فى أى أمة و فى أى لغة ، فضلا عن علم التفسير و أصوله و علم القراءة و التجويد ، الذى يتأسس على القرآن ، فقد نشأت هـذه العلوم كلها ثم توسعت و تضخمت فى سبيل القرآن ، وفى سبيل معرفة معانيه ، وفهم أغراضه ، و صيانته عن التحريف و اللحن ، و عبث العابثين ، و دجل الدجالين و تحريف المحرفين ، كما وقع ذلك للصحف الأولى و شهـد بذلك تاريخ العـلم و الدين و كان كل ذلك تفسيراً لقوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه (١)»

---

(١) اقرأ ذلك فى رسالة الفوز الكبير فى أصول التفسير لشيخ الاسلام ولى الله الدهلوى .

و مصداقاً لقوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

و قد كان لهذه الأمة شأن عجيب فى الاشتغال بهذا الكتاب حفظاً و تلاوة ، و تأليفاً وتصنيفاً ، و تعبداً وتقرباً ، لا يفهمه إلا من فهم قوة الحب وتصاريفه و عجائبه وتفننه فى إبداع طرق التسلية و إرضاء عاطفة الحب والغرام ، فقد كان فيها فى كل عصر و جيل عدد من الحفاظ المتقنين ، و القراء المكثرين ، و العشاق المتيمين ، لايحصيهم إلا من أحصى حصى البطحاء ، ورمال الدهناء، و نجوم السماء ، هـذا فى الكم ، أما فى الكيف فضبطهم لألفاظه وحروفه و طرق قراءته و لهجاته و استحضارهم له و جمعهم إياه فى صدورهم لايخلون بحرف ولا يغفلون عن نقطة ، وختمهم له فى ليلة واحدة و فى يوم واحد و أكثر من ذلك ، فكل ذلك يتخطى القياس و يحير العقول ، و قد يبعث من لم يخالط هؤلاء القوم و لم يرهم عن كثب على تشككك فى صحة ذلك ونفيه أحياناً ، و لكنه خبر متواتر و أمر مستفيض ، و لا تزال له نماذج و أمثال فى كل بلد إسلامى تقريباً ، فى هـذا العصر الذى طغت فيـه المادية و تقاصرت فيه الهمم و كلت فيه العزائم و ضعفت فيه الدواعى إلى حفظ القرآن و إتقانه ، و ليس الخبر كالمعاينه .

وقد كان من أقوى الدواعى إلى سمو الهمة فى حفظه وقراءته

و التعبد به و التنافس فى ذلك والمثابرة على هذا العمل و عــدم الشعور بالتعب و الكلال و السآمــة و الملال ، ما ورد فى ذلك من الفضائل و أحاديث الترغيب وما أعد الله لقارئه و لجامعه فى صدره و لمتعلمه و معلمه ، و لناشره و خادمه من جزيل الثواب، و عظيم الأجر ، و المنزلة الرفيعة عند الله ، و زلفى فى الآخرة ، و الحرمة و الوجاهة فى الدنيا ، و ما ضمن الله له من الرضا و المثوبة و وعد عليه من الرحمــة و المغفرة . و لم يعرف فى علم الأخلاق و النفس و فى تاريخ الأمم و المجتمعات باعث أقوى من باعث « الايمان و الاحتساب » و الطمع فى الأجر والثواب عند النفوس المؤمنة و الأمم المتدينة ، و قد عرف العلماء و المعلمون والمربون و المصلحون ، قيمة هذا الدافع وقوة هذا الباعث فألفوا فى فضائل الأعمال ، و العبادات ، و الأخلاق ، و المعاملات ، كتباً كثيرة كان لها فضل كبير فى إثارة هذا الدافع النبيل وتقويته و تغذيته أشهرها كتاب « الترغيب و الترهيب » للعلامة المنذرى (م ٦٥٦هـ) وقد تناوله العلماء بالتنقيح و التلخيص ، و اعتنوا به فى كل عصر و مصر .

و حظر على هذه الأمة أن يضعف هذا الدافع و أن تجف منابعه و أن تزهد الأمة - لا قدر الله - فى حفظ القرآن وقراءته

و التعبد به و التذوق به و التشبع منه و الاشتغال به آناء الليل و النهار و التنافس فی حفظه وضبطه و الاكثار من قراءته، ولا يكون ذلك إلا إذا جهلت هذه الفضائل ، و قل علمها ،و ضعفت الدعوة إليها ، و انقطع نشرها و إذاعتها ، وظهرت دعوة المثبطين المعوقين عن القرآن، الصادين عن سبيله ، المستخفين بفضله، المهولين لخطب التعليم العصرى ، و الحاجات الاقتصادية و ما يستلزم ذلك من صرف جميع القوى و الأوقات لتحصيل التعليم العصرى وعلوم المعاش ، و القائلين بأن حفظ القرآن فی الصغر يكل الذهن ويخمد القريحة و يرهق القوى مع أن الواقع عكس ذلك ، و قد أثرت هذه الدعوة فی جميع البلاد الاسلامية بما فيها البلاد العربيـــة التی كانت مهبط الوحی و منزل القرآن و معلمة العالم كله .

وقد أفزع ذلك شيخنا العلامة محمد زكريا بن يحيی الكاندهلوی وأقلق مضجعه ، فحسب لذلك كل حساب ، فقدعرف بشدة غيرته على القرآن وشغفه به وكثرة تلاوته له، عرف ذلك من عرف سيرته وعاشره ، خصوصاً من علم كيف يقضی رمضان، أو قرأ ما كتبناه عنه فی تقديمنا لمقدمة « أوجز مسالك » وقد كان متألماً لهذا الواقع إذ اقترح عليه أحد الشيوخ الكبار الذين « أمرهم حكم و طاعتهم غنم » أن يؤلف كتاباً فی فضائل القرآن يعيد هذا الخيط بين قلوب

القراء وهذا الكتاب ، ويرفع هممهم، ويشحذ عزائمهم على حفظ هذا الكتاب ، وقراءته ، والتقرب به إلى الله ، والتنافس فى ذلك و استهانة كل خطب لأجله فنشط لهذا التأليف الذى كان ميسوراً له بحكم اشتغاله بتدريس الحديث و التأليف فى مقاصده و لسعة اطلاعه على مصادر هذا الموضوع و مراجعه و بحكم ذوقه القرآنى الذى امتاز به بين أقرانه فكان نتيجة كل ذلك هذا التأليف المبارك الذى نتشرف بتقديمه ، وقد كان السر فى تأثيره أنه صدر عن ذوق و إخلاص ، و عمل ، فهو لا يدعو إلى شئ لا يعمل به و لا يحث على شئ لا يتذوقه و يؤمن به .

وقد مضى على هذا التأليف نحو نصف قرن وهو يعاد طبعه فى الهند مرة بعد مرة ويكثر انتشاره فى الأوساط الدينية وحلقات التعليم و جماعات التبليغ و قد شعر بعض تلاميذه و المشرفين على حركة الدعوة التى تسمى بـ«التبليغ» ، و هى منتشرة الآن فى كثير من الأقطار العربية، بمسيس الحاجة إلى نقله إلى اللغة العربية حتى يعم الانتفاع به فى البلاد العربية التى ضعفت فيها الدعوة إلى تحفيظ القرآن و العناية به فى العهد الأخير بتأثير العوامل التى ذكرناها سابقاً ، وإذا كانت هنالك مدارس وكتاتيب تعلم القرآن ولا تزال

---

(١) فرغ المؤلف من تأليفه فى ذى الحجة ١٣٤٨هـ .

العناية قائمة بحفظ القرآن ، فلا شك أنها فى حاجة إلى تغذية إيمانية ومشجعات دينية ، فان علم الفضائل قد ضعف منذ أمد بعيد فى العالم الاسلامى و أثر ذلك فى العمل .

و قد قام بتحقيق هذا الغرض الشريف وإنجاز هذا المشروع ابن أختى العزيز السيد واضح رشيد الحسنى الندوى تقرباً به إلى الله و حباً لمؤلف هذا الكتاب و تقديراً له ، و حرصاً على أن يكون مساهماً فى هذا العمل الجليل وأن يكون له ثواب الدلالة إلى الحق ، والاعانة على المعروف ، والتعاون على البر والتقوى ، فقام بذلك خير قيام وهو كاتب بالعربية، متذوق للغتين الأردية والعربية قد تجلت مقدرته الكتابية و إجادته فى مقالاته التى يكتبها فى مجلة « البعث الاسلامى » و صحيفة « الرائد » و براعته فى الترجمة فى نقله لكتاب «الدين والعلوم العقلية» للأستاذ الكبير مولانا عبدالبارى الندوى ، و أتمه فى مدة قليلة ، وقد قرأت هذه الترجمة حرفاً حرفاً واستحسنتها وها هى الآن ماثلة للطبع ، نفع الله بها المسلمين وشرح بها صدور المؤمنين ، ورفع بها همم القاصرين، و الله لا يضيع أجر المحسنين .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

لخمس بقين من جمادى الأولى ١٣٩٢ ﻫ

دار عرفات ، راى بريلى - الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، و أنزل له القرآن و جعله موعظة و شفاءاً و هدى و رحمة لذوى الايمان ، لاريب فيه ، و لم يجعل له عوجاً ، و أنزله قيما حجة نوراً لذوى الاتقان ، و الصلاة و السلام الأتمان الأكملان على خير الخلائق من الانس و الجان ، الذى نور القلوب والقبور نوره، و رحمة للعالمين ظهوره و على آله و صحبه الذين هم نجوم الهداية و ناشرو الفرقان ، و على من تبعهم بالايمان ، وبعد فيقول المفتقر إلى رحمة ربه الجليل عبده المدعو بزكريا بن يحيى بن إسماعيل : هذه العجالة أربعونة فى فضائل القرآن ألفتها ممتثلا لأمر من إشارته حكم و طاعته غنم (١) .

و من أنعم الله تعالى الخاصة التى تميزت بها مدرسة مظاهر علوم بسهارنفور (الهند) دائماً الحفلة السنوية التى تعقد لتقديم تقرير إجمالى عن المدرسة ، و لا يهتم فيها بدعوة الخطباء و أعيان الهند

(١) بقلم المؤلف نفسه.

لحضور الحفلة مثلما يهتم بدعوة أهل الله وأوليائه، وأصحاب القلوب المطهرة و المشايخ البررة الذين يؤثرون العزلة و الخلوة .

و قد انقضى العهد الذى كان حجة الاسلام الشيخ محمد قاسم النانوتوى : و قطب الارشاد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى، ينوران القلوب باشتراكهما فى الحفلات، إلا أن المنظر البهيج الروحانى لايزال يتجلى فى العيون الذى كان يجتمع فيـه خلفاء مجددى الاسلام و شموس الهداية و الرشد : الشيخ الجليل محمود حسن المعروف بشيخ الهند ، و الشيخ عبـد الرحيم ، و مولانا خليل أحمد ، و مولانا أشرف على التهانوى ، فكان اجتماعهم والتقاؤهم مبعث نور و مطلع رشد، و منبع هداية للقلوب تنفجر منه ينابيع الروحانية لتروى غليل القلوب الظمآى .

لقد حرمت المدرسة فى العهد الراهن هذه البدور الهادية ولكن خلفاءهم الصادقين لا يزالون يفيضون المشتركين فى الحفلة بأنوارهم .

فاذا كان أحد يحضر حفلة المدرسة ليستمع إلى خطب رنانة و مقالات رائعة ، فانه سوف لا يجد متعة لقلبه و فكره ، ولكن الذى يحضرها سعياً وراء علاج قلبه و كبده المكلومـة ، فانه لابد من أن يجد دواء لقلبه و فيضاً لخاطره ، فلله الحمد و المنة .

و قد شرف فى عام ١٣٤٨ الشيخ المربى الحافظ محمد يسين

النجيذوى فأغدق بالعطف و اللطف . و التشجيع على هـــذا العبد الفقير من المنن مالا أستطيع أن أشكر عليها حق قدرها ، و يكفى علما أن الشيخ المذكور هو من خلفاء الشيخ الـكنكوهى ، و ذلك يغنى عن ذكر تجرده للعبادة و الذكر ، و صفـاته الأخرى المميزة و بعد انتهاء الحفلة شرف منزلى ، وأمرنى برسالته الـكريمة العاطفة العزيزة بأن أجمع أربعين حديثاً بترجمتها فى فضائـل القرآن الـكريم و أقدمها إليه ، و أنه إذا انحرفت عن امتثال أمره فانه سيطلب من عمى و مثيل أبى وخليفة شيخى ، الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى بأن يؤكد هـذا الأمر و يصر على الامتثال به ، و على أى حال إنه يريد أن أقوم بهذا الواجب، ومن حسن الصدف وصلت هذه الرسالة المفتخرة أثناء غيابى فى السفر ، وكان عمى موجوداً فأضاف إليها أمره و تاكيده ، فلم يبق لدى أى عذر و مجال لأقدم حجة عدم كفاءتى للقيام بهذا العمل ، وقد كان منأعذارى، اشتغالى بشرح موطأ الامام مالك ، ولـكن الأوامر العالية الراشدة اضطرتنى إلى تأجيل هذا العمل لبعض الوقت ، وها أنا ذا أقدم مااستطعت إليه امتثالا لأمر الشيخ العظيم ، و التمس العذر و العفو عـلى الزلات التى أصبحت لزاماً لعدم كفاءتى و صلاحيتى .

و رجاء الحشر فى سلك من قال فيهم النبى ﷺ « من حفظ

على أمتى أربعين حديثاً فى أمر دينها ، بعثه الله فقيهاً و كنت له يوم القيامة شافعاً و شهيداً » قال العلقمى : الحفظ ضبط الشئ و منعه من الضياع فتارة يكون حفظ العلم بالقلب و إن لم يكتب ، و تارة فى الكتاب و إن لم يحفظه بقلبه ، فلو حفظ فى كتاب ثم نقل إلى الناس دخل فى وعد الحديث ، و قال المناوى قوله «من حفظ على أمتى » أى نقل إليهم بطريق التخريج و الاسناد ، وقيل معنى حفظها أن ينقلها إلى المسلمين ، و إن لم يحفظها و لا عرف معناها ، وقوله « أربعين حديثاً صحاحاً أو حساناً ، قيل أو ضعافاً يعمل بها فى الفضائل » انتهى .

فلله در الاســـلام ما أيسره ، و لله در أهله ما أجود ما استنبطوا! رزقنى الله تعالى وإياكم كمال الاسلام وعا لابد من التنبيه عليه أنى اعتمدت فى التخريج على المشكاة وتخريجه وشرحه المرقاة و شرح الاحياء للسيد محمد بن المرتضى ، و الترغيب للمنذرى و ما عزوت إليها لكثرة الأخذ عنها و ما أخذت عن غيرهـــا عزوته إلى مآخذه ، وينبغى للقارئ مراعاة آداب التلاوة عند القراءة(١) .

---

(١) بقلم المؤلف نفسه .

آداب التلاوة و شروطها

قبل أن نبدأ الكلام فى الموضوع لابد من إيراد بعض شروط وآداب قراءة القرآن ، لأن سوء الأدب يحرم الانسان عن الوصول إلى غايته و فضل ربه ، و خلاصة الآداب أن القرآن الكريم كلام للمعبود ، و الألفاظ التى تكلم بها الحبيب و المطلوب .

و كل من كانت له علاقة بالحب و الغرام ، يعرف أهمية وتأثير رسالة الحبيب ، و كلامه ، وكتابته ، على القلب المغرم به ، فلا يمكن وضع آداب أو فرض قيود على انفعال هـذا القلب و افتتانه بهذا الكلام ، أو الرسالة . فللحب آداب وانفعالات خاصة ، فاذا كان القلب يتصور الجمال الحقيق والأنعم غير المتناهية فان الحب سيتموج فيه و يغلبه ، ثم إنه كلام لأحكم الحاكمين و سلطان السلاطين ، و قانون لذلك الجبار و القهار الذى لا شريك له فى أمره و لا يقدر أحد مهما كانت قوته ، أن يسايره وكل من كان له علم أو خبرة بالبلاط الملكى يستطيع أن يقدر ما تحمل الأوامر السلطانية من هيبة و أثر على القلوب ، ولما أن الكلام الالهى كلام للحبيب و الملك فى آن واحد يجب أن يعامل معاملة الحب

و الاجلال معاً .

لقد كان عكرمة - رضى الله عنه - كلما يفتح القرآن الكريم للتلاوة ، يغمى عليه و يجرى على لسانه « هذا كلام ربى ، هـذا كلام ربى » و هذه هى الآداب المجملة و التفاصيل المختصرة التى ذكرها المشايخ ، التى سأفسرها تفسيراً للقارئين .

و خلاصة الآداب أن يقرأ العبد كلام المنان و المنعم الحقيق كخادم ، أو عامل بل كعبد يتلو كلام ربه ، و قد ذكر إنه ما دام الانسان يعتبر نفسه مقصراً فى آداب القراءة، يترقى فى مدارج القرب و كل من يرى نفسه بعين العجب و الرضا ، يبتعد عن الرقى .

يجب على القارئ أن يجلس بعد الوضوء والسواك فى مكان منعزل و يتلوه بحضور القلب والخشوع والشوق الذى يتطلبه ذلك الوقت كأنه يسمع ربه وخالقه تعالى كلامه ، فاذا كان يفهم المعانى فيجب عليه أن يدعو للرحمة و المغفرة عندما يتلو آيات الوعيد و الرحمة ، ويستعيذ بالله ، و يسأله المغفرة عند ما يتلو آيات العذاب و الوعيد ، لأنه لامناص منه و لا ملجأ منه إلا إليه ، و يسبح له على آيات التنزيه و التقديس ، فاذا كان لا يشعر بالبكاء فى التلاوة ، فليحاول ذلك .

و ألذ حالات الغرام لمغرم   شكوى الهوى بالمدمع المهراق

ثم إنه إذا كان لا يقصد حفظه ، عليه أن لا يعجل به ، وليضع المصحف الشريف على وسادة ، أو كرسى، أو مكان مرتفع و لا يخاطب أحداً و لا يتكلم معه أثناء التلاوة ، فاذا اضطر لحاجة ، فلا يترك المصحف مفتوحاً ، و يبدأ القراءة من جديد و ليتعوذ ، و الأفضل أن يتلو القرآن إذا كان يتلوه فى جمع من الناس المشغولين بأعمالهم سراً ، و إلا فالأفضل تلاوته جهراً .

ذكر المشايخ ستة آداب ظاهرة و ستة باطنة .

الآداب الظاهرة :

١ــ التوجه إلى القبلة بغاية من الاحترام متوضئاً .

٢ــ عدم التعجيل بالتلاوة ، و الترتيل و التجويد .

٣ــ البكاء و لو بالتكلف .

٤ــ التنبه لآيات العذاب ، و آيات الرحمة و قدرها حق قدرها .

٥ــ يستحب التلاوة جهراً ، و لكن إذا كان القارئ يخشى الرياء أو إيذاء مسلم فعليه أن يتلو سراً .

٦ــ تحسين الصوت أو القراءة بحسن الصوت ، و قد وردت أحاديث كثيرة فى تلاوة القرآن بحسن الصوت .

الآداب الباطنة :

١– تعظيم القرآن من القلب و احترامه .

٢– تصور عظمة و جلال الله عز و جل وكبريائه فى القلب .

٣– إخلاء القلب و تطهيره عن الوساوس و الريبة .

٤– التدبر فى المعانى و التلذذ بقراءة القرآن ، و قد مضى النبى ﷺ ليلة كاملة و هو يردد الآية « إن تعذبهم فانهم عبادك، وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » (١) و قضى سعيد بن جبير ليلة كاملة و أصبح على آية « و امتازوا اليوم أيها المجرمون » (٢) .

٥– أن يتابع الآيات التى يتلوها و يصرف قلبه إلى معانيها، مثلا إذا كان يتلو آية رحمة فيفعم قلبه بالسرور والابتهاج ، وإذا تلا آية عذاب يخشى قلبه و يرتعد .

٦– أن يوجه أذنيه و يصغى إلى الله تعالى و هو يتكلم إليه ، وفقنى الله تعالى و إياكم لمراعاة هذه الآداب وتلاوة القرآن بها

[مسألة] يجب حفظ القرآن بقدر يمكن به تأدية الصلاة، وحفظ القرآن بكامله فرض كفاية ، فاذا لم يبق من المسلمين – و العياذ

(١) المائدة ١١٨ (٢) يسين ٥٩

بالله - من يحفظ القرآن فان جميع المسلمين سيكونون مسؤلين عنه .

و ذكر الملا علي القاريٌ - رحمه الله - نقلا عن الزركشي « وإذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم» (١) .

و من معطيات هذا العهد الذي يعمه الضلال و الجهل ، و يسود المسلمين تهاون في جميع أمور الدين أن حفظ القرآن يعتبر أمراً غير مجد ، و يعتبر حفظ هذه الألفاظ و تكرارها حماقة ، و إضاعة للوقت و إرهاقاً للخاطر ، و لو كان الأمر يقتصر على هذا التقصير الديني وحده لتكلمت عليه ، و لكن الأمر قد تفاقم تفاقماً ، و تجاوز الحدود ، فكل عمل أصبح اليوم مرضاً ، و كل خيال يجر إلى الباطل .

فالى الله المشتكى و الله المستعان .

[١] عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن و علمه » .

(رواه البخاري وأبوداؤد والترمذي والنسائي وابن ماجة) هذا في الترغيب و عزاه إلى مسلم أيضاً و لكن حكى الحافظ في الفتح عن أبي العلاء أن مسلما سكت عنه .

وردت هذه الرواية في معظم كتب الحديث بالواو، كما ذكرنا

---

(١) المرقاة .

أعلاه ، و فى هـذه الحالة يستحق الفضيلة من تعلم القرآن ثم علمه الآخرين، ولـكن وردت هذه الرواية فى كتب أخرى بـ«أو» أيضاً و فى تلك الحالة تكون الفضيلة للتعلم أو التعليم ، سواء تعلم القرآن أو علمه فلكليهما الخير و الفضيلة على سواء .

و حيث إن القرآن هو أصل الدين فيتوقف الدين على بقائه و نشره ، و لذلك لا تخفى فضيلة تعلمه وتعليمه ، و لايحتاج هذا الأمر إلى أى توضيح إلا أن أنواعه تختلف ، و كمالها تعلم القرآن لمعانيه و مقاصده ، و أدناها تعلم ألفاظه فقط ، و يؤيد قول النبى ﷺ الذى ذكرته رواية أخرى هذا الحديث ، فروى عن سعيد بن سليم مرسلا : «من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم ما صغر الله ، و صغر ما عظم الله» .

و لا شك أن الكلام الالهى هو أفضل الكلام كما تدل عليه الأحاديث القادمة ، فلابد إذاً أن تكون تلاوته و تعليمه أفضل من قراءة و تعلم سواه ، و قال العلامة على بن سلطان محمد القارى المعروف بالملا على الهروى (م ١٠١٤هـ) علم من الحديث «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لايوحى إليه(١)» و قال سهيل القشرى رحمه الله « علامة حب الله حب

---

(١) رواه الحاكم كذا فى المرقاة .

القرآن »(١) ، و ذكر صاحب شرح الاحياء فيمن يظلهم الله عز و جل تحت عرشه يوم القيامة من يعلمون أطفال المسلمين القرآن ، و كذلك من يتعلمون القرآن من الطفولة ثم يواظبون على تلاوته فى الكبر .

[٢] عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . (رواه الترمذى والدارمى و البيهقى فى الشعب) .

أى إن الرجل الذى لا يجد وقتاً بسبب حفظ القرآن أو تعلمه أو فهمه لدعاء آخر فان الله تعالى سيعطيه أفضل مما يعطى الداعين ، و من تجارب الدنيا أن الرجل يوزع الحلويات ، فان الشخص الذى يقوم بأعماله ولا يستطيع الحضور بسببها لنيل نصيبه يخصص له نصيبه ، و جاء فى رواية أخرى : « أعطيته أفضل ما أعطى الشاكرين » .

[٣] عن عقبة بن عامر قال خرج رسول الله ﷺ و نحن فى الصفة فقال : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتى بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطيعة رحم» فقلنا يا رسول

---

(١) إحياء العلوم .

الله كلنا نحب ذلك ، قال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين و ثلاث خير له من ثلاث و أربع خير له من أربع و من أعدادهن من الابل » .
(رواه مسلم و أبوداؤد)

الصفة اسم لمكان معين فى المسجد النبوى الشريف كان مجلس الفقراء من المهاجرين ، و قد كان عدد أصحاب الصفة يختلف ، يزيد و ينقص فى مختلف أيام السنة ، و ذكر العلامة السيوطى مأة اسم و واحد و صنف رسالة خاصة بأسمائهم ، و بطحان و العقيق مكانان بالقرب من المدينة المنورة حيث كانت تقوم سوق الابل ، وكانت الابل محببة إلى العرب وخاصة الناقة الكوماء ، والمراد من «غير إثم» أن الحصول على شئ بدون جهد إما أن يكون بالسلب أو النهب أو عن طريق الاستيلاء على مال لقريب فى الارث أو بسرقة وغيره ، فنفى رسول الله ﷺ هذه الأمور ، فيقصد الحديث أن تعلم بعض الآيات من القرآن الكريم أفضل من الحصول على شئ بدون جهد و اثم . ولا شك أن حكومة الأقاليم السبعة فضلا عن بعير أو بعيرين زائلة عاجلا أو آجلا بالموت الذى يسلب كل شئ قهراً ، و لكن أجر تعلم آية من الآيات القرآنية أو آيتين دائم لا يزول ، إنك تستطيع أن تجرب ذلك فى الحياة العادية ،

فمثلا تمنح أحداً روبية واحدة فيفرح بها ويشكرك ، و تعطى شخصاً ألف روبية وتقول له احفظها كأمانة لوقت معين و سآخذها منك بعد عودتى ، فان هذه الأمانة لا تزيده إلا مؤنة وعبئاً لا يستفيد منها ، فيقصد الحديث الشريف فى الواقع التنبيه إلى الفارق بين الباقى و الفانى ، ليتدبر الانسان فى جميع حركاته و سكناته ويدقق النظر هل يصرف حياته على كسب أشياء باقية أو يقضيها فى الحصول على مكاسب فانية ، ثم الحسرة على الذين يكسبون لهم ويلا باقياً .

و يحتمل فى تفسير الجملة الأخيرة للحديث « و من أعدادهن من الابل » ثلاثة معان ، الأول : إنه ﷺ ذكر ذلك إلى أربعة بالتفصيل ثم ذكر بالاجمال مافوقها ، أى إن كل شخص يكسب بقدر تعلمه من الآيات ، وفى هذه الصورة يكون المراد من الابل الجنس ، سواءاً كان بعيراً أو ناقة ، والمراد ما فوق الأربعة لأنه ﷺ ذكر إلى عدد الأربعة تصريحاً .

و المعنى الثانى أنه ذكر للأعداد المذكورة سابقا ، والمقصود منه أن الرغبات تختلف ، فأحد يفضل البعير و الآخر يفضل الناقة . فذكر النبى ﷺ أن كل آية خير من الناقة ، وإذا كان أحد يفضل البعير فان كل آية خير له من البعير كذلك .

و المراد الثالث : أن هذا البيان بيان لنفس العدد الذى ذكر

سابقاً . و ليس بيان للعدد الزائد عن الأربعة ، و لا يقصد منه
ما ذكر فى المعنى الثانى أن الآية الواحدة خير من بعير أو ناقة ،
بل المراد هنــا أن الآية خير من مجموع البعير و الناقة أى زوج
البعير فتساوى إذاً كل آية الزوج من البعير و الناقة ، و قد رجح
والدى - نور الله مرقده - هذا المعنى لأن فيه زيادة فى الفضيلة ،
و لو أنه لايراد منه أن أجر الآية الواحـدة يستطيع أن يتساوى
مع إبل أو زوجه ، فليس المراد منه سوى التمثيل والتشبيه ، وقد
ذكرت أن ثواب الآية الواحـدة الدائم و الخالد خير من حكومة
الأقاليم السبعة التى ستزول و تفنى .

قال الملا على القارئ : « التمس بعض أصحاب من التجار من
الشيخ أبى الحسن البكرى أن يمكث فى جدة لبعض الوقت بعد نزوله
من السفينة لكى تزداد ببركة دعائه تجارتهم وكانوا يكنون بأن يحصل
لخــدم الشيخ بعض منافع بضاعتهم ، فأبى و أتى بأعــذار ساترة
للأسرار ، فما فهموا و ألحوا و بالغوا فى المسألة مع الاصرار ،
فقال الشيخ « ما مقدار فائدة ربحكم فى هذا السفر و كم أكثر ما
يحصل لكم من النتيجة و الأثر ؟ فقالوا يختلف باختلاف الأحوال و
تفاوت الأموال ، وأكثر الربح أن يصير الدرهم درهمين ، ويكون
الواحــد اثنين ، فتبسم الشيخ و قال : إنكم تتعبون هــذا التعب

الشديد لهذا الربح الزهيد فنحن كيف نترك مضاعفة الحسنات بالحرم و هى حسنة بمأة ألف »(١) .

المـاهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة .

[٤] عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، و الذى يقرأ القرآن و يتتعتع فيه و هو عليه شاق له أجران » .
(رواه البخارى ومسلم و أبوداؤد والترمذى والنسائى وابن ماجة)

إن الماهر بالقرآن هو من يجيد حفظه و يحسن قراءته ، ثم إذا كان يفهم معانيه و مطالبه فهو أفضل درجة و أعلى مكانة ، و المقصود من قوله « مع السفرة الكرام البررة » أنهم أيضاً نقلة القرآن الكريم من اللوح المحفوظ ، و هذا المـاهر أيضاً ناقله و مبلغه ، فكأن كليهما ينهج نهجاً واحداً ، أو أنهما سيجتمعان فى الحشر و يستحق المتتعتع فيه أجرين ، أجراً على قراءته ، و أجراً آخر على الصعوبة التى يتحملها والجهد الذى يبذله فى قراءته ولكنه لا يدل على أفضليته فى المنزلة على المـاهر بالقرآن بأن الفضيلة التى وردت للماهر تفوقها بحيث إنه يجتمع بالملائكة المقربين بل المقصود منه أنه يستحق الأجر بسبب التتعتع ، فلايجب أن يترك أحد قراءة القرآن بهذا العذر ، وذكر العلامة على القارى - رحمه الله - نقلا

(١) المرقاة « كتاب فضائل القرآن » .

عن الطبرانى و البيهقى « من قرأ القرآن وهو يتفلت منه فله أجره مرتين ، و من كان حريصاً عليه و لا يستطيعه ولا يدعه بعثه الله يوم القيامة مع أشراف أهله (١) .

[٥] عن ابن عمر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ لاحسد إلا على اثنين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل و آناء النهار، و رجل آتاه مالا فهو ينفق منه آناء الليل و آناء النهار » . (رواه البخارى و الترمذى و النسائى)

إن آيات القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الكثيرة تدل عموماً على معصية الحسد ، و عدم جوازه مطلقاً ، ولكن الحديث المذكور أعلاه يفيد بجواز الحسد على رجلين ، وحيث إن الأحاديث والروايات ضد الحسد كثيرة ووافية فان العلماء فسروا هذا الحديث تفسيرين ، أحدهما : أن الحسد المذكور فى الحديث هو فى الواقع بمعنى الغبطة ، والفرق بين الحسد و الغبطة أن الحاسد يتمنى برؤية نعمة على شخص أن تزول هذه النعمة سواءاً يحصل له هذه النعمة أم لا ، و الغابط يتمنى الحصول على هذه النعمة بدون أن يتمنى زوالها من الآخر ، وحيث إن الحسد حرام بالاجماع استنبط العلماء من هذا الحديث أنه محمول على الغبطة مجازاً وهو مباح فى الأمور

(١) المرقاة .

الدنيوية ومستحب فى الأمور الدينية ، و المفهوم الآخر أن يستعمل فى بعض الأحيان كلمة على سبيل الفرض و التقدير ، أى لو كان الحسد مباحاً على أى شئ ، لكان هذان الأمران من هذه الأشياء .

[٦] عن أبى موسى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب و طعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن مثل التمرة لاريح لها و طعمها حلو ، ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح و طعمها مر ، و مثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب و طعمها مر » .

(رواه البخارى و مسلم و النسائى و ابن ماجة)

المقصود من هـذا الحديث تشبيه شئ غير محسوس بشئ محسوس لكى يسهل على الذهن تبين الفرق بين قراءة القرآن وعدم قراءته ، و إلا فالظاهر أنه لا علاقة بين حلاوة الكلام الالهى و نفحته ، و بين الأترجة و التمر ، و لو أنها توجد نكات عديدة فى التمثيل بهذه الأشياء تتعلق بالعلوم النبوية ، و تشير إلى علو علوم النبي ﷺ و سعتها ، فمثلا تحدث الأترجة فى الفم رائحة طيبة و تصفى المعدة و تقوى الهضم و فيها منافع أخرى كثيرة ، و هذه هى المنافع التى تتناسب مع قراءة القرآن مناسبة كبيرة ، فمثلا رائحة

الفم الطيبة ، وتصفية الباطن والقوية الروحانية هى المنافع التى يحدثها القرآن و تلاوته ، و بين هذه المنافع ، و المنافع التى ذكرت عن الأترجة شبه كبير ، و علاقة خاصة ، و قيل إن للأترجة تأثيراً خاصاً آخر و هو « أن الجن لا يدخل بيتاً فيه أترج »(١) فاذا صح ذلك فان الشبه بينها وبين القرآن يزداد ويتقوى مزيداً ، وقد سمعت عن بعض الأطباء أن الأترجة تقوى قوة الحفظ والوعى ، و قد روى عن على - كرم الله وجهه - فى الاحياء أن ثلاثة أشياء تقوى الحفظ .

(١) السواك (٢) الصوم (٣) تلاوة القرآن .

و ذكر أبو داؤد عند اختتام هذا الحديث كلاماً مفيداً للغاية « و مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شئ أصابك من ريحه ، و مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه » .

إنه حقاً أمر هام يجب الاهتمام به ، و لينظر كل منا إلى جلسائه و رفقائه و بيئته التى يعيش فيها ، إلى أية طبقة ينتمون .

[٧] عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع

---

(١) كذا فى المرقاة .

به آخرين ». (رواه مسلم)

إن الذين يؤمنون به و يعملون به ، فان الله سبحانه و تعالى يرفعهم و يعزهم . و الذين لا يعملون به فان الله سبحانه و تعالى يذلهم ، و يثبت ذلك من كلام الله تعالى أيضاً فقال : « يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً » (١) و قال فى موضع آخر : « وننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظالمين إلا خساراً » (٢)

و قد روى عن النبي ﷺ : « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها » (٣) وذكر عن بعض المشايخ فى الاحياء «إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة للرحمة حتى يفرغ منها ، و أن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له و كيف ذلك . فقال إذا أحل حلالها و حرم حرامها صلت عليه و إلا لعنته» (٤) .

و قال بعض العلماء « إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه و هو لا يعلم ، يقول « ألا لعنة الله على الظالمين ، وهو ظالم نفسه ، و ألا لعنة الله على الكاذبين ، و هو منهم » (٥) .

يقول عامر بن واثلة : إن عمر - رضى الله عنه - استعمله

---

(١) البقرة ٢٦ (٢) الاسراء ٨٢

(٣ - ٤ - ٥) إحياء علوم الدين .

نافع بن عبد الحارث على مكة المكرمة و سأله يوماً من استعمله على أهل الوادى فقال ابن أبزى : فسأل عمر بن الخطاب من ابن أبزى ؟ فقال مولى من موالينا ، قال : « فاستخلفت عليهم مولى ؟ فقال : « إنه قارئ لكتاب الله عز وجل و إنه عالم بالفرائض ، قال عمر - رضى الله عنه - أما إن نبيكم ﷺ قد قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً و يضع به آخرين » (١) .

[٨] عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال : «ثلاث تحت العرش يوم القيامة ، القرآن يحاج العباد ، له ظهر و بطن ، و الأمانة ، والرحم تنادى : ألا من وصلنى وصله الله و من قطعنى قطعه الله » رواه فى شرح السنة .

المراد من كون هذه الأشياء تحت العرش كمال قربها من العرش ، الالهى العظيم ، و معنى حجة القرآن أن الذين يراعونه حق رعايته ويقدرونه حق قدره ويعملون به فان القرآن سيكون لهم حجة أمام الله سبحانه ، و يشفع لهم ، ويرفع درجاتهم ، و ذكر الملا على القارئ رواية للترمذى : « إن القرآن الكريم يقول لله : « يا رب حلة فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه فيرضى عنه » (٢) .

(١) صحيح مسلم (٢) المرقاة .

فاذا كان رضى الحبيب فى الدنيا أعلى جائزة و مكرمة لا تفوقها نعمة فأى نعمة تكون أفضل من رضى الله سبحانه فى الآخرة ، و إن الذين خانوا القرآن و قصروا فى قراءته يطالبهم القرآن فيه و يسألهم عما فعلوا فى أمره .

ذكر صاحب شرح الاحياء أن الامام الأعظم أبا حنيفة - رحمه الله - قال إن من حق القرآن أن يختم مرتين فى عام واحد .

فليعتبر الآن أولائك الذين لا يتلون القرآن و لو عذراً و لا يهتمون به ، و يفكروا ماذا يجيبون هذا الخصم القوى ، فكل نفس ذائقة الموت و لا مناص من الموت .

و المعنى الظاهرى لظاهر القرآن و باطنه أن له معنى ظاهراً يفهمه كل شخص ، و آخر باطناً لا يستطيع أن يفهمه كل شخص و هذا ما يشير إليه قول رسول الله ﷺ .

من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ (١) ، وقال بعض المشايخ : إن المراد من الظاهر ، ألفاظه التى يتساوى كل شخص فى تلاوتها ، والمراد من الباطن معانيه ومطالبه ، التى تختلف و تتفاوت حسب الاستعداد و الفهم .

---

(١) أبو داؤد .

شروط فهم معانى القرآن : قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ إذا أردتم العلم فاثروا القرآن ، فان فيه علم الأولين و الآخرين » و لكن يجب مراعاة الشروط و الآداب فى فهم معانى القرآن الكريم ، وقد عم فى عهدنا أن كل شخص يتعلم بضع كلمات عربية بل بدون تعلمها يكتفى بقراءة تراجم القرآن باللغة الأردية و يتكلم برأيه فى القرآن ، و قد ذكر رجال الفن أنه ينبغى إتقان خمسة عشر علماً للتفسير ، و أذكرها هنا ملخصاً للضرورة العاجلة ليعلم أنه ليس من استطاعة كل شخص أن يتوصل إلى بطن كلام الله .

أولا : اللغة ، ليعرف معنى المفردات فى القرآن ، ويقول مجاهد ـ رضى الله عنه ـ : لا يجوز لمن يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يقول كلمة فى القرآن الكريم بدون علم لغة العرب ، فلا يكفى علم بضع لغات ، و قد يحدث أن بعض الألفاظ تشترك فى المعنى ، و هو لا يعرف إلا بضع معان ، وفى الواقع يقصد من ذلك اللفظ المعين معنى آخر .

ثانياً : علم النحو ، لأن تغير الاعراب يغير المعنى كلياً ، ويتوقف علم الاعراب على علم النحو .

ثالثاً : علم الصرف ، لأن اختلاف الصيغ يغير المعانى ، و يقول ابن فارس من فاته علم الصرف فقد فاته الكثير ، و ذكر

العلامة الزمخشرى فى أعجوبات التفسير أن رجلا تلا الآية « يوم ندعو كل أناس بامامهم » ففسرها لعدم علمه بالصرف « يوم ندعو كل أناس بأمهاتهم » لأنه حسب الامام الذى كان كلمة مفردة ، أنه جمع الأم ، فلوكان عالماً بالصرف لعرف أن الأم لاتجمع بالامام.

رابعاً : معرفة الاشتقاق ، لأن الكلمة المشتقة بمادتين تختلف معنى ، مثلا المسيح ، فانه مشتق بالمسح أيضاً و معناه الماس، و مس شئ بيد مبللة ، واشتقاقه الآخر المساحة .

خامساً : علم المعانى ، الذى يوضح تركيب الكلام بحيث المعنى .

سادساً : علم البيان ، الذى يكشف ظهور الكلام و خفاءه وتشبيهه و كنايته .

سابعاً : علم البديع ، الذى يدل على حسن الكلام من ناحية التعبير ، و هذه الفنون الثلاثة تعرف بعلم البلاغة ، و هى أهم علوم التفسير ، و كلام الله تعالى إعجاز بكامله ولا يمكن معرفة هذا الأعجاز بدون معرفة علم البلاغة .

ثامناً : علم القراءة ، لأن اختلاف القراءة يبدى اختلاف المعانى و تنكشف منه ترجيح معنى على المعنى الآخر .

تاسعاً : يجب الحصول على علم العقائد ، لأن فى القرآن الكريم آيات لا يصح انطباق معناها الظاهر على الله سبحانه و تعالى

فيحتاج إلى تأويلها مثلا « يد الله فوق أيديهم » .

عاشراً : علم أصول الفقه ، لمعرفة طرق الاستدلال والاستنباط.

الحادى عشر : معرفة أسباب النزول لأن أسباب النزول تكشف المعنى أكثر إيضاحاً ، و فى بعض الأحيان يتوقف علم المعنى الحقيق على أسباب النزول أيضاً .

الثانى عشر : علم الناسخ و المنسوخ لتمييز الأحكام المنسوخة عن العمل بها .

الثالث عشر : علم الفقه ، لأن الاحاطة بالجزئيات توصل إلى الكليات .

الرابع عشر : معرفة تلك الأحاديث النبوية التى تفسر الآيات المجملة.

و بعد هذه الشروط الأربعة عشرة ، علم آخر وهو الشرط الخامس عشر و هذا العلم هو من العلوم الموهوبة ، التى يخص الله بها أفراداً معدودين من عباده يشير إليهم هذا الحديث الشريف : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

وقد أشار إليه سيدنا على - كرم الله وجهه - عندما سئل(١) هل عندكم من رسول الله ﷺ شئ سوى القرآن ، فقال لا ، و الذى خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبداً فهما فى كتابه

(١) الاحياء .

و قال ابن أبي الدنيا - رضى الله عنه - إن علوم القرآن و ما يحصل منها ، بحر لا ساحل له ، و إن هذه العلوم التى ذكرت هى بمثابة آلة للمفسر ، فاذا حاول أحد تفسير القرآن بدون نيل هذه العلوم فانه لا يفسر إلا برأيه و هو محظور ، و قد كانت العلوم العربية بالنسبة للصحابة - رضوان الله أجمعين - حاصلة طبعاً ، وقد اقتبسوا العلوم الأخرى من مشكاة النبوة ، يقول العلامة السيوطى : لعلك تحسب أن الحصول على العلم الوهبى خارج عن قدرة العبد ، ولكنه ليس كذلك ، بل إنه الطريقة إلى الحصول عليه هوالحصول على تلك الأسباب و الوسائل التى يرتب الله تعالى عليها هذا العلم مثلا العمل بالعلم ، و الرغبة عن الدنيا .

و فى « كيمياء سعادت » للامام الغزالى : إن تفسير القرآن لا يتيسر لثلاثة أشخاص ، الأول : الرجل الذى لا يعرف العلوم العربية ، الثانى : الرجل الذى يصر على معصيه كبيرة ، أو بدعة ، لأن المعاصى و البدع تسودان قلبه ، و بذلك يعجز عن معرفة القرآن ، و الثالث : الرجل الذى يؤمن بالظاهر فى قضية عقيدة ، و تنفر من طبيعته من آية من القرآن الكريم التى تخالف عقيدته ، فلا ينال هذا الشخص أيضاً نصيباً من فهم القرآن ، أللهم احفظنا منهم .

[٩] عن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ، و رتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها » .

(رواه أحمد و الترمذى و أبو داؤد و النسائى و ابن ماجة و ابن حبان فى صحيحه)

و المراد الظاهر من صاحب القرآن حافظه ، و قد شرحه الملا على القارئ بالتفصيل أن هذه الفضيلة خاصة للحافظ ، و لا يدخل فيها القارئ ، و سببه الأول أن كلمة صاحب القرآن تشير إليه ، ثانياً أنه جاء فى رواية فى مسند أحمد « حتى يقرأ شيئاً معه » و هذه الكلمة أكثر توضيحاً لاختصاصه بالحافظ ، و لو أنه يحتمل اشتراك ذلك القارىء الذى يتلو القرآن بكثرة فى هذه الفضيلة ، و فى المرقاة أن هذا الحديث لا يعنى القارئ الذى يعلنه القرآن ، و يشير ذلك إلى الحديث الذى جاء فيه « رب تال للقرآن و القرآن يلعنه » فاذا كانت عقائد شخص غير مستقيمة فان تلاوة القرآن لاتدل على قبوله. وقد وردت مثل هذه الأحاديث بكثرة عن الخوارج.

وذكر الشيخ عبد العزيز ـ رحمه الله ـ عن الترتيل فى تفسيره أن الترتيل فى اللغة هو القراءة بوضوح و صفاء ، و فى الشرع الشريف : إنه يعنى مراعاة عدة أشياء فى التلاوة ، و منها تصحيح

المخارج عند النطق لكيلا تختلط الطاء بالتاء ، و الضاد بالظاء ، ثانياً : الوقوف الكامل فى مواضع الوقوف ، لكى لا تختلط مواضع الوضع بالقطع للكلام ، ثالثاً الاشباع فى الحركة و هو إظهار الحركات مثل الكسرة ، و الضمة ، والفتحة ، رابعاً : رفع الصوت قليلا ، لكى تصل كلمات القرآن الكريم إلى آذان الآخرين بوضوح وتؤثر فى القلوب ، خامساً : تحسين الصوت و تصحيحه لكى يوجد التأثير على القلب لأن الصوت الخاشع يؤثر على القلب سريعاً ، و يقوى الروح ، ويزيد التأثر به ، ولذلك قال الأطباء إنه إذا أريد بتأثير قلب بالدواء فلابد أن يمزج هذا الدواء بما له رائحة طيبة ، لأن القلب يجذبه بسرعة ، و إذا أريد إيصال أثر دواء إلى الكبد ، فليخلط بالحلوى لأن الكبد تميل إلى الحلوى ، فيعتقد هذا العبد أن استعمال الروائح و البخور بصفة خاصة يقوى تأثير القرآن عند التلاوة على القلب ، سادساً . إبداء التشديد و المد لأنه يزيد عظمة القرآن و يعين فى إيجاد التأثير ، سابعاً : الاهتمام بآيات الرحمة و العذاب حق قدرها كما سبق ذكره فى أول الكتاب .

هذه هى الشروط السبعة التى يجب الالتزام بها و التى تعتبر لوازم الترتيل ، و ليس المقصود منها سوى فهم القرآن و تدبره ، وقد سأل أحد أم المؤمنين أم سلمة - رضى الله عنها - كيف كانت

قراءة النبي ﷺ عنه ففسرت قراءته ﷺ حرفاً حرفاً ، أى أنه كان ﷺ يظهر جميع الحركات كلياً (١) و يستحب قراءة القرآن بالترتيل ، و لو كان لا يفهم المعنى .

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - « لأن أقرأ إذا زلزلت و القارعة أتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ البقرة و آل عمران تهذيراً » (٢) .

و استدل الشراح و المشايخ من الرواية المذكورة أنها تعنى إقرأ آية آية من القرآن و تدرج درجة درجة بها ، لأن الروايات تفيد بأن أدراج الجنة على قدر آى القرآن ، فيرتقى الانسان حسب حفظه من القرآن ، و يصل إلى مأواه بقدرها ، و كل شخص يتقن القرآن بكامله يصل إلى الدرجة العليا .

قال العلامة على القارى - رحمه الله - : « جاء فى حديث من أهل القرآن فليس فوقه درجة ، فالقراء يتصاعدون بقدرها ، قال الدانى - رحمه الله - : « أجمعوا على أن عدد آى القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد ، فقيل ٢٠٤ و ١٤ ، وقيل

---

(١) عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ، رواه الترمذى .
(٢) الاحياء .

١٩ ، و ٢٥ و ٣٦ (١) .

وفى شرح الاحياء عن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - : كل آية فى القرآن درجة ، فيقال للقارئ : ارق فى درجها على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن » .

و يرى العبد الضعيف أن الحديث المذكور يقصد شيئاً آخر، فان كان صواباً فمن الله ، و إن كان خطأً فمنى و من الشيطان ، و الله و رسوله منه بريئان .

و حاصل ما أقصد أن الحديث المذكور لا يعنى ذلك الرقى من الدرجات الذى ذكر باعتبار الآيات أى درجة لكل آية لأن هذا المراد لايتصل بالقراءة بالترتيل ، فاذا قرأت آية ارتفع قارؤها إلى درجة فهو عام سواء أكانت القراءة بالترتيل أوبدون الترتيل ، فاعتقد أن المراد من هذا الحديث كما يبدو رقى آخر باعتبار الكيفية، التى تترتب بقدر الترتيل أو بغيره فى القراءة فلا يستطيع أن يقرأ القرآن إلا بالترتيل الذى كان يقرؤه به فى الدنيا ، ثم يرتقى به ، و ذكر الملا على القارئ حديثاً يقول : « فاذا قام صاحب القرآن بقراءته آناء الليل و آناء النهار ذكره و إن لم يقم به نسيه (٢) » فليرحم الله فان فينا كثيراً من الناس من يحفظون القرآن بأمر

---

(١) المرقاة « فضائل القرآن » (٢) عن الرامهرمزى المرقاة.

والديهم و شوقهما الدينى ولكنهم يضيعون هذه النعمة العظيمة لقلة اهتمامهم بها فى الكبر فى الحياة الدنيـــا نفسها و بالعكس ورد فى الحديث الشريف « من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه ملك يعلمه فى قبره و يلقى الله و قد استظهره » (١) .

إن عطاء الله جزيل لا ينقصه شئ فهل من نائل ؟

كل حرف من القرآن حسنة و الحسنة بعشر أمثالها .

[١٠] عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ، و لكن ألف حرف ، ولام حرم ، و ميم حرف ».

(رواه الترمذى وقال حديث صحيح غريب اسناداً، والدارمى)

و المقصود من الرواية أن الاعتبار فى كلام الله هو باعتبار الأجزاء على عكس الأعمال الأخرى التى يعتبر فيها للجزاء كل عمل ، فكل جزء من الأجزاء فى تلاوة القرآن يعتبر عمـلا بمفرده ، فيعد كل حرف منها حسنة ، و وعـــد الله تعالى لكل حسنة « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » و هذا هو أدنى درجة ، قـــد قال الله سبحانه : « و الله يضاعف لمن يشاء » و بمقتضى الحـديث النبوى الشريف « ألف حرف ، و لام حرف ، و ميم حرف ، تساوى

---

(١) رواه البخارى وغيره كما فى المرقاة .

ألم ثلاثين حسنة ، واختلف العلماء فى أن المراد بـ « ألم» هو مفتتح البقرة أو سورة الفيل « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » فان كان المراد منه مفتتح سورة البقرة فالظاهر منه أن الحروف المكتوبة منفصلا هى المعتبرة ، لحيث أنها فى الكتابة ثلاثة أحرف، استحقت ثلاثين حسنة ، و إن كان المراد منه مفتتح سورة الفيل تصبح ألم البقرة تسعة أحرف ، و تصير الحسنات عليها تسعين حسنة ، و فى رواية للبيهقى « لا أقول بسم الله حرف ، و لكن باء و سين و ميم ، و لا أقول ألم و لكن الألف و اللام و الميم » أى إنها أحرف منفصلة .

[١١] عن معاذ الجهنى قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن و عمل بما فيه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذى عمل بهذا » . (رواه أحمد و أبو داؤد و صححه الحاكم)

و المفهوم من الحديث أن من بركة قراءة القرآن و العمل به أن والدى القارئ سيتوجان بتاج يفوق نوره ضوء الشمس كثيراً إذا كانت الشمس داخل البيت ، فاذا كانت الشمس و هى تطلع بعيدة عن الأرض ، تنشر ضوءها و تشرق بها الأرض ، فما تكون قوة ضوئها و مدى انتشارها إذا أتت داخل البيت و قربت

منه ، ويصف الحديث قوة وضوء التاج الذى يلبسه والدا القارئ و يرجح قوته و ضوءه على قوة و ضوء الشمس الطالعة والمشرقة داخل البيت ، فاذا كان الوالدان يستحقان هذا الأجر العظيم ، فما يكون الأجر للقارئ نفسه، ويمكن تقدير أجره على هذا الأساس ، فاذا كان ذلك أجر الطفيليين و نعمهم فلابد من أن يكون أجر الأصل أفضل منه أضعافاً . فقد استحق الوالدان هذا الأجر لأنهما كانا سببين لوجوده أو تعليمه .

وفى التشبيه بالشمس فى البيت إشارة إلى أمر لطيف بالاضافة إلى قوة الضوء و صفائه ، و هو أن الشئ الذى يجده الانسان بجانبه دائماً يورث فى نفسه الأنس وعدم الكلفة ، فيتبدل إذاً بقرب الشمس الوحشة التى يشعر بها الانسان بسبب بعدها بالأنس والألفة و فى هذه الحالة يشير هذا التمثيل علاوة على الضوء و صفائه ، إلى المؤانسة أيضاً ، و إلى وجود الصلة معها ، فان الشمس رغم عموم الانتفاع بها ليست ملك أحد ، فاذا وهبت نفسها لأحد فهذا أعظم افتخار الانسان بها .

و روى الحاكم عن بريدة ـ رضى الله عنه ـ قول النبى ﷺ « من قرأ القرآن و تعلم وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس و يكسى والداه حلتين لا

يقوم لهما الدنيا ، فيقولان بم كسينا هـذا ؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن » (١) .

و فى جمع الفوائد عن الطبرانى عن أنس رفعه « من علم ابنه القرآن نظراً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، و من علمه آياً ظاهراً ، بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلةالبدر ، ويقال لابنه، اقرأ . فكلما قرأ آية رفع الله للأب بها درجة حتى ينتهى إلى آخر ما معه من القرآن » .

إن قراءة الولد للقرآن يجلب لوالده هذا الثواب و الفضائل ، و لكن لا تنتهى المسألة هنا ، بل يجب فى هذا الصدد الانتباه إلى جانب آخر أيضاً ، و هو الخسران الذى يكسبه الانسان بإعراضه عن كسب هذه الفضيلة ، فاذا حرم أحد أحد أبنائه تعلم الدين ـ لاقدرالله ـ حرصاً على كسب المال القليل والنفع الضئيل ، وجرياً وراء كسب مادى طفيف ، فانه لا يحرم نفسه هذا الأجر الدائم القائم فحسب ، بل إنه متحمل مسؤلية حرمان ولده عند الله، وإبعاد فلذة كبده عن هذه النعمة خشية أنه بتعلم الدين أو حفظ القرآن سيظل عالة و مفتقراً إلى قطع الخبز فى المساجد ، فلا ينس أحد

---

(١) رواه الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم كما فى الترغيب « باب فضائل القرآن » .

أنه بهذا العمل ، يجعل ابنه عرضة للمصائب الخالدة ، والشقاء الدائم بالاضافة إلى ما يكسب لنفسه ، و ما يتحمل من مسؤليــة خطيرة و عواقب » بمقتضى الحديث الشريف « كلكم راع و كلكم مسؤل عن رعيته ، فسيسأل كل امرء عن رعيته و العالة عليه ، عن نصيبه فى تعليم أولاده و رعيته الدين ، طبعاً يلزم اتخاذ إجراءات لازمة للالتزام بالنظافــة إلا أنك إذا علمت ولدك الدين و خلقت فيه الصلاح ، فانك تطلق نفسك عن المسؤلية وتؤمن لنفسك نصيباً من الأجر الذى يكسبه ولدك بالأعمال الصالحة ما دام حياً ، و يدرج فى كتابك من الثواب و الأجر ، و يرفــع من درجاتك لسبب دعائه و استغفاره لك .

و لكن إذا غلبت الدنيا و الطمع فيها ، و حرمت ولدك عن نيل العلم الدينى طمعاً فى بضعة نقود ، فانك لا تتحمل الويل لهــذا العمل فحسب ، بل إنك لا تنجو من وبال أعمــاله السيئة و الفسق و الفجور و الذنوب التى يكسبها ولدك فى حياته ، فارحم نفسك بالله فان الدنيا و حياتها زائلة لا محالة و سينهى الموت كل مصيبة مهما عظمت وتفاقمت ، و لكن المصيبة التى لا موت بعدها هى خالدة ، و لا نهاية لها .

[١٢] عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

لوجعل القرآن فى إهاب ثم ألقى فى النار ما احترق». (رواه الترمذى)

ذهب مشايخ الحديث فى هذا الحديث مذهبين، فيرى بعضهم أن المراد من الاهاب هو الاهاب العام، لأى حيوان، و المراد من النار هى النار الدنيوية، و فى هذه الحالة يعتبر ذلك من معجزات النبي ﷺ التى كانت خاصة لزمانه، كما كانت معجزات الأنبياء الآخرين خاصة لزمانهم و المراد الآخر أن المقصود من الاهاب هو جلد الانسان، و المراد من النار الجحيم، وفى ضوء هذا المعنى يكون هذا الحكم عاماً غير مقيد بأى عصر و جيل، و معناه أن كل من حفظ القرآن إذا وضع فى الجحيم بسبب ذنوبه، فان النار لن تؤثر فيه، و قد ورد أيضاً فى إحدى الروايات كلمة «ما مسته النار» وتؤيد هذا المفهوم التالى رواية أبي أمامة التى نقلها العلامة على القارىء من شرح السنة «احفظوا القرآن فان الله لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن» (١)، و هذا الحديث واضح فى مفهومه و نص عليه.

فليتدبر فى هذه الفضائل أولائك الذين يعدون حفظ القرآن إضاعة للوقت، و عملا غير مجد، فان هذه الفضيلة تكفى فى حد ذاتها أن تحمل كل شخص على أن يفدى بنفسه لحفظ القرآن، فهل

(١) المرقاة.

من إنسان لا يذنب و لا يستحق بذنوبه النار .

وقد ذكر صاحب شرح الاحياء فى قائمة من يظلهم الله يوم القيامة عن على - رضى الله عنه - برواية الديلمى أن حاملى القرآن أى حفاظه ، سيكونون فى ظل الله مع الأنبياء و الصالحين .

[١٣] عن على قال قال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله و حرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار » .

(رواه أحمد والترمذى و قال هذا حديث غريب و حفص بن سليمان الراوى ليس هو بالقوى ، يضعف فى الحديث ، رواه ابن ماجة و الدارمى)

إن كل مؤمن سيدخل الجنة إن شاء الله ، و لو بعد معاقبة على سيئآت أعماله ، و لكن هـذه الفضيلة تخص الحفاظ باعتبار ابتداء دخولهم ، و إن العشرة الذين تقبل فيهم شفاعته هم الفساق والفجار الذين ارتكبوا الذنوب من الكبائر ، فلاشفاعة فى حق الكفار فقد قال الله سبحانه و تعالى « إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وما واه النار ، و ما للظالمين من أنصار» (١) و قال فى موضع آخر « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للشركين

---

(١) سورة آل عمران .

ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» (١).

فان النصوص فى هذا الأمر واضحة بأن المشركين لا يغفرلهم و لذلك أريد من شفاعة الحفاظ أولئك المسلمون الذى وجب دخولهم فى النار بمعاصيهم ، فيجب على كل من يريد العتق من النار إذا لم يكن حافظاً للقرآن ، أو لا يقدر على حفظه أن يسعى إلى أن يحفظ القرآن أحد أقربائه على الأقل ، لكى يستطيع أن ينجو بفضله من العتاب على ذنوبه و سيئآته ، وما أكبر فضل الله على الانسان (٢) الذى والده و عمه وجده وخالهم جميعهم حافظون للقرآن « أللهم زد فزد » .

[١٤] عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ تعلموا القرآن ، فاقرؤوه فان مثل القرآن لمن تعلم فقرأ و قام به كمثل جراب محشو مسكا ، تفوح ريحه كل مكان ، و مثل من تعلمه فرقد و هو فى جوفه كمثل جراب أوكئ على مسك » .

(رواه الترمذى و النسائى وابن ماجة و ابن حبان)

يعنى الحديث أن الذى قرأ القرآن و اهتم به ، و تلاه فى صلوات الليل ، فمثله مثل الجراب المحشو بالمسك الذى تفوح رائحته فى كل مكان ، فاذا نام هذا الحافظ أو لم يقدر على قراءته بغفلته ،

---

(١) سورة التوبة (٢) حضرة الشيخ محمد زكريا مؤلف الكتاب.

فان القرآن الذى فى صدورهم هو المسك ، إلا إن هذه الغفلة سببت فى حرمان الآخرين من رائحته ، و على أى حال إن قلبـــه يحوى هذا المسك .

البيت الخرب

[١٥] عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال قال رسول الله ﷺ : « إن الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب » .

(رواه الترمذى وقال هذا حديث صحيح
و رواه الدارمى و الحـــاكم و صححه)

إن فى تشبيه القلب بالبيت الخرب نكتة لطيفة و هى أن البيت إذا خلا من السكان يسكنه الجن و العفاريت ، و هكذا القلب إذا خلا من القرآن ، فيزداد عليه تسلط الشياطين ، و يحث هذا الحديث على حفظ القرآن ويؤكده ، فوصف القلب الذى لايحفظ شيئاً من القرآن بأنه بيت غيرمعمور ، وقال أبوهريرة ـ رضى الله عنه ـ إن البيت الذى يتلى فيه القرآن ، اتسع بأهله و كثر خيره و حضرته الملائكة و خرجت منه الشياطين . و إن البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره و خرجت

منـه الملائكة و حضرته الشياطين (١) و روى عن ابن مسعود - رضى الله عـنه - يروى البعض عن النبي ﷺ إن أصفر البيوت بيت ليس فيه شئ من كتاب الله (٢)

[١٦] عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي ﷺ قال قراءة القرآن فى الصلاة أفضل من قراءة القرآن فى غير الصلاة ، وقراءة القرآن فى غير الصلاة أفضل من التسبيح و التكبير ، و التسبيح أفضل من الصدقة ، و الصدقة أفضل من الصوم ، و الصوم جنة من النار » . (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

إن أفضلية التلاوة على الأذكار ظاهرة لأن القرآن كلام إلهى و قد علم أن كلام الله أفضل من كلام الآخرين كفضل الله على العباد ، ووردت روايات أخرى أيضاً تدل عـلى فضل ذكر الله على الصدقة ، وفضل الصدقة على الصوم كما يتضح من هذه الرواية إلا أنه وردت أيضاً روايات أخرى يبدو منها فضل الصوم ، و لكن ذلك يرجع إلى أحوال مختلفة ، ففى بعض الظروف يكون الصوم أفضل و فى الأخرى الصدقة أفضل ، حسب أحوال الناس و بالنسبة لبعض الناس الصوم أفضل ، و حيث إن الصوم جنة من النار و هو آخر ما ذكر فى هذه الرواية ، و اعتبر أدنى درجة ،

---

(١) الاحياء « فضائل القرآن » (٢) تلخيص المستدرك .

فما تكون إذاً درجة قارئ القرآن الذى ذكر أولا ، ونقل صاحب الاحياء عن على - كرم الله وجهه - إن الذى قرأ القرآن و هو قائم فى الصلاة فانه سيجزى على كل حرف بمـأة حسنة و الذى قرأه قاعداً فى الصلاة فانه يجزى بخمسين حسنة ، و من قرأه خارج الصلاة متوضئاً يجزى بخمس و عشرين حسنة ، و من قرأه بدون وضوء بعشر حسنات ، و من لا يقرأ بل ينصت إلى من يقرأ القرآن فانه يجزى على كل حرف بحسنة » .

[١٧] عن أبى هريرة - رضى الله عنـه - قال قال رسول الله ﷺ : «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان ، قلنا نعم ، قال : فثلاث آيات يقرأ بهن أحـدكم فى صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان » (رواه مسلم)

و قد سبقت رواية فى مثل هذا المعنى فى حديث (رقم٣) وحيث إن هذا الحديث يذكر قراءة القرآن فى الصلاة وهى أفضل من القراءة فى غير الصلاة فشبهت بالخلفات العظام السمان ، وحيث إن هناك عبادتين ، الصلاة و التلاوة ، فكان الجزاء عليها بالناقة وجملها وقد ذكرت فى شرح حديث (رقم ٣) أن المراد من مثل هذه الأحاديث هو التمثيل فقط ، و إلا فان أجر آية واحده خير من ألف ناقة فانية .

القراءة فى المصحف

أفضل من القراءة فى غير المصحف

[١٨] عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفى عن جده قال قال رسول الله ﷺ قراءة الرجل القرآن من غير المصحف ألف درجة و قراءته فى المصحف تضعف على ذلك إلى ألفى درجة » .

(رواه البيهقى فى شعب الايمان)

سبق ذكر الفضائل التى تخص بحافظ القرآن ، و إن فضل القراءة فى المصحف على القراءة فى غير المصحف الذى جاء فى هذا الحديث يرجع إلى ازدياد التدبر والتفكر فيه علاوة على ما يتضمن ذلك من عدة عبادات أخرى من النظر فى القرآن و مسه ، وغير ذلك ، فأعتبر ذلك من الأفضل ، و لما أن الروايات تختلف فى مفاهيمها ، اختلف العلماء فى تفضيل القراءة فى المصحف ، والقراءة بدون المصحف ، فترى جماعة منهم أنه بموجب الحديث المذكور أعلاه و باعتبار أن القراءة فى المصحف مأمونة من الخطأ فان القراءة فى المصحف أفضل ، و إن الجماعة الأخرى منهم التى تضع الأحاديث الأخرى بالاعتبار ترى أن القراءة بدون المصحف ، تزيد الخشوع ، وتجنب الرياء ، وقد كانت عادة النبى ﷺ الشريفة

أن يقرأ من حفظه ، فتعتقد هـذه الجماعة أن القراءة من الحفظ أفضل ، و قضى الامام النووى رحمه الله فى هـذه المسألة أن الفضيلة هى باعتبار الرجال وأحوالهم ، فللبعض القراءة من المصحف أفضل ، إذا كانت القراءة فيه تزيده خشوعاً و تدبراً فيه وتفكيراً، و من يحصل له التدبر فى القرآن بالقراءة حفظاً ، فالأفضل له أن يقرأ من حفظه .

و آثر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ من فتح البارى هذا التفصيل و ذكر أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ كان يكثر القراءة فى المصحف ، فخرق مصحفين ، وذكر صاحب شرح الاحياء نقلا عن عمرو بن مأمون : « من نشر مصحفاً حين يصلى الصبح فقرأ منه مأة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا».

و قيل إن قراءة القرآن فى المصحف تفيد البصر ، و روى أبو عبيدة حديثاً مسلسلا روى فيه كل راو فيه إنه كان يشكو عينه فنصحه أستاذه بالقراءة فى المصحف ، و كا ان الامام الشافعى يفتح المصحف للقراءة أحياناً بعد العشاء و كان يطبقه عند صلاة الفجر .

ذكر الموت و تلاوة القرآن جلاء للقلوب

[١٩] عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : إن هذه القلوب

تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء ، قيل يا رسول الله و ما حلاؤها ؟ قال « كثرة ذكر الموت و تلاوة القرآن » .

(رواه البيهقى فى شعب الايمان)

إن القلوب تصدأ بكثرة الذنوب والغفلة عن ذكر الله تعالى، كما يصدأ الحديد بالماء ، و تلاوة القرآن و ذكر الموت هما جلاء هذا الصدأ ، فالقلب هو بمثابة مرآة كلما ضعف صيقلها قل انعكاس المعرفة عليها و كلما صفت و انجلت اتضح انعكاس المعرفة عليها ، و إذا انغمس الانسان فى المعاصى و انقياد للشهوات النفسية ابتعد بقدره عن طريق المعرفة .

و ورد فى الحديث الشريف : إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب و نزع و استغفر ، صقل قلبه ، فان زاد زادت حتى يغلف لها قلبه و ذلك الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه « كلا بل ران على قلوبهم بما كانوا يكسبون » (١) .

و ورد فى حديث آخر أن النبي ﷺ قال ما معناه : « إنى تركت فيكم زاجرين ، ناطقاً و صامتاً ، فأما الناطق فهو القرآن ، و الصامت فهو الموت ، إن قول النبي ﷺ على الرأس و العين ،

---

(١) عن أبى هريرة ، رواه الترمذى و صححه ، والنسائى وابن ماجة و ابن حبان و الحاكم .

و لكن الموعظة و الدعوة تفيدان من ينصت إليهما و يقبلهما ، و لكن الذى يهمل الدين كلـه و يحسب أن الدين يعترض فى سبيل التقدم فمن ينصحه و كيف ينصحه ، و أنى له الذكرى ؟ .

وقال الحسن البصرى - رحمه الله - إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل و جعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله ، و إن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل و ينفذونها بالنهار » .

القرآن شرف هذه الأمة وبهاؤها

[٢٠] عن عائشة - رضى الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ إن لكل شئ شرفاً يتباهون به و إن بهاء أمتى و شرفها القرآن» .

(رواه فى الحلية)

إن الناس يعتزون و يتمجدون بآبائهم و أجدادهم وأسرتهم و إن شرف ووسيلة افتخار هذه الأمة هو الكلام الالهى وقراءته و حفظه و تعلمه ، و العمل به ، بل كل ما يتصل به هو سبب للافتخار ، و لم لا ! فانه كلام الحبيب ، و أمر السيد و المولى فلا يساوى فى هـذا الشرف أكبر شرف الأرض ثم إن جميع الكمالات وأسباب الشرف الدنيوية زائلة يوماً آجلا أوعاجلا ولكن

شرف القرآن شرف دائم و خالد لا ينتهى ، و يكفى كل وصف مهما صغر ، من أوصاف القرآن للافتخار ، فضلا عن كونه جامعاً و كاملا للأوصاف المتعددة ، مثل حسن التأليف ، حسن السياق ، و تناسب الألفاظ ، و ارتباط الكلام ، و الاعلام بالأحـداث الماضية و القادمة ، و لوم الناس بما لا يستطيعون أن يكذبوه ولو أرادوا ذلك ، كعدم استطاعة اليهود لتمنى الموت رغم دعواهم للمحبة، و تأثر الناس بما يسمعونه و عدم سآمة من القراءة ، فان تكرار أى كلام مهما كان محبباً إلى القلوب مثل رسالة الحبيب الذى يفتتن به ، يورث الكلل فى النفس إذا قرئت عشر أو عشرين مرة ، أو أربعين مرة على الأكثر ، فانه لا محالة يكل و يسئم منها ، ولكن خذ أى مجموع آيات من القرآن ، و اقرأه مائتى مرة أو أربع مائة مرة ، ثم واظب على تلاوته طول حياتك ، فلا تكل ولا تمل ، و إذا اعترض شئ فانه سيكون مؤقتاً ، وسيزول قريباً ، و كلما كثرت من قراءته تجددت لك الطراوة ، و الحلاوة ، و اللذة ، و هذه هى الأمور التى إذا وجد وصف واحد من أوصافها فى أى كلام ، و لم توجد بكاملها ، فانه سيكون مبعث افتخار ، و مدعاة للعزة ، فاذا وجد فى كلام جميع هـذه الصفات على وجـه الكمال ، فكم يكون هـذا الكلام باعثاً عـلى الافتخار و معجزاً ؟

فلنفكر بعد ذلك فى أحوالنا لحسة . فكم منا من يفتخر بكونه من حفاظ القرآن أو ينظر إلى حافظ القرآن بعزة و شرف ، فانا نفتخر و نتباهى بالشهادات العلمية العالية والألقاب والعظمة الدنيوية و حياتها ، و المتاع الذى يسلبه الموت ، فالى الله المشتكى.

التلاوة نور فى الأرض و ذخر فى السماء

[٢١] عن أبي ذر - رضى عنه - قال قلت يا رسول الله أوصنى قال عليك بتقوى الله ، فانه رأس الأمر كله ، قلت يا رسول الله زدنى قال عليك بتلاوة القرآن ، فانه نور لك فى الأرض و ذخر لك فى السماء » . (رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل)

إن التقوى فى الحقيقة أساس لجميع الأمور ، فاذا وجد فى أى قلب خوف الله لا يصدر منه معصية و لا يواجه أى نوع من العسر والضيق « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب» .

علم من الروايات السابقة أن التلاوة نور ، و قد ذكر فى شرح الاحياء عن أبي نعيم أن باسطاً ذكر عن النبي ﷺ أن البيوت التى يتلى فيها القرآن الكريم ، تلمع لأصحاب السماء كما تلمع لأصحاب الأرض كواكب السماء و قد ذكر هذا الحديث فى الترغيب وغيره

من الكتب الأخرى إلى هذا الحد ، ولكنه حديث مختصر ، أما أصل الرواية فانها طويلة ذكرها الملا على القارى، عن ابن حبان وغيره من المحدثين بالتفصيل ، و نقلها السيوطى باختصار و لو أن هذا الجزء من الحديث يناسب هذا الموضوع الذى يعنّى به هـــذا الكتاب إلا أن الحديث بكامله هام و مفيد ويشتمل على مواضع هامة فننقل الحديث بكامله .

« عن أبي‌ذر رضي‌الله‌عنه قال قلت يارسول الله ماكانت صحف إبراهيم قال: كانت أمثالا كلها. أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إنى لم‌أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لتردعنى دعوة المظلوم فانى لا أردها و لو كانت من كافر » يقول العبد الفقير إن رسول الله ﷺ كان عندما يؤمر أحداً من أصحابه أو يستعمله ينصحه بين نصائح أخرى « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » .

و على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات يناجى فيها ربه، ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها من صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث، تزود لمعاد أو لمرمة لمعاش، أو لذة فى غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه

مقبلا على شأنه ، حافظاً للسانه ، و من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ، قلت يا رسول الله فما كان صحف موسى ؟ قال « كانت عبراً كلها » .

عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل » .

قلت : يا رسول الله أوصني ، قال : « أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله » قلت يا رسول الله زدني ، قال « عليك بتلاوة القرآن و ذكر الله تعالى فانه نور لك فى الأرض و ذخر لك فى السماء » . قلت يا رسول الله زدني ، قال « إياك و كثرة الضحك فانه يميت القلب و يذهب بنور الوجه » .

قلت يا رسول الله زدني ، قال « عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتى » قلت يا رسول الله زدني ، قال « أحب المساكين وجالسهم » قلت يا رسول الله زدني ، قال « انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فانه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عندك » قلت يا رسول الله زدني ، قال « ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتى و كفى بك عيباً أن تعرف من الناس

تجهلهما من نفسك و تجد عليهم فيما تأتى ، ثم ضرب بيده على صدرى ، فقال يا أبا ذر ، لا عقل كالتدبير و لا ورع كالكف و لا حسب كحسن الخلق ،(١) .

تلاوة القرآن ودراسته تجلب السكينة والرحمة

[٢٢] عن أبى هريرة - رضى الله عنه - إن رسول الله ﷺ قال « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده». (رواه مسلم وأبوداود)

وردت فى هذا الحديث فضيلة الكتاتيب و المدارس بصفة خاصة التى تشمل أنواعاً كثيرة من الاكرام ، و كل نوع من هذا الاكرام يبلغ من الأهمية مبلغاً يكون رخيصاً إذا حصل بتضحية الحياة بكاملها ، فضلا عن الحصول على نعم متعددة مثله ، و خاصة الفضيلة الأخيرة وهى ذكر الله فيمن عنده ، فهو نعمة من نعم الله التى لا يمكن أن يقارن بها أى شئ آخر .

و ورد ذكر نزول السكينة فى الروايات المتعددة ، و قد ذكرت فى تصديقه أقوالا متعددة للمحدثين ، و لايوجد فيه خلاف

---

(١) المرقاة .

يثبت به التعارض بل إنه يمكن أن يراد به مجموعة جميع الأقوال ، فروى عن علي - كرم الله وجهه - في السكينة أنه ريح خاصة وجهها مثل وجه الانسان ، و روى العلامة سدي - رحمه الله - أنه اسم لطاسة في الجنة ، مصنوعة من الذهب تغسل فيها قلوب الأنبياء ، و قال بعض إنها رحمة خاصة ، و قد آثر الطبري أن المراد منها سكينة القلب ، و قال آخرون أن المراد بها الطمأنينة ، و فسرها الآخرون بالوقار ، و قال البعض إنها الملائكة ، و فيها أقوال أخرى ، و قال الحافظ في فتح الباري : إن السكينة تنطبق على الجميع ، و يرى النووي إنها شئ يجمع الطمأنينة و الرحمة ، و تنزل مع الملائكة ، و قد جاء في القرآن الكريم « فأنزل الله سكينته عليه » و قال في موضع آخر « هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » و في موضع آخر « فيه سكينة من ربكم » ووردت عدة آيات في ذكرها و بشرت عدة روايات بها .

و حكى صاحب الاحياء أن ابن ثوبان - رضي الله عنه - وعد أحد أقربائه بأن يفطر معه ، ولكنه وصل في اليوم الثاني عند الصبح ، فشكى قريبه إليه فقال لولم أكن وعدتك به لما قلت لك ، ما كان المانع ، فقد تأخرت بغير قصد ، حتى جاء وقت صلاة العشاء ، فدار بخلدي أن أصلي الوتر مع صلاة العشاء ، لأن

الموت ليس ليطمئن به ، لعلى أموت فى الليل ، فتفوتنى و إذ كنت أقرأ دعاء القنوت ، رأيت حديقة خضراء فى الجنة ، كان فيها كل نوع من الزهور ، فشغلت بها حتى أصبحت ، و قد رويت مآت من مثل هذه القصة التى تذكر أحوال الصالحين ، و لكنها تظهر فقط عندما يتم الانقطاع عن ماسوى الله ، وتتم الانابة إليه وحده .

تفيد روايات متعددة بحف الملائكة فوردت قصة مفصلة لأسد بن حضير — رضى الله عنه — فى كتب الحديث أنه أحس عند تلاوة القرآن كأن ظلة تخيم عليه ، فقال النبي ﷺ تلك الملائكة دنت بصوتك ، فكانت الملائكة لكثرة الازدحام تبدو مثل السحابة ، و أحس صحابي آخر بسحابة ، فقال النبي ﷺ إنها السكينة ، أى الرحمة التى تنزل للقرآن ، و قد ذكر صحيح مسلم هذا الحديث بمزيد من التفصيل ، و فيه مواضع أخرى ، وفى ختام الحديث أضيفت هذه الجملة ، من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، فان أى صاحب نسب شريف متورط فى الفسق و الفجور لا يستوى فى أى حال من الأحوال هو و مسلم رذيل و منحط النسب . إذا كان صالحاً و تقياً « إن أكرمكم عندكم الله أتقاكم » .

أفضل ما يتقرب به إلى الله

[٢٣] عن أبي ذر قال قال رسول ﷺ إنكم لا ترجعون إلى الله بشئ أفضل مما خرج منه يعنى القرآن » .

(رواه الحاكم وصححه أبو داؤد ، فى مراسيله عن جبير بن نفير و الترمذى عن أبي أمامة بمعناه)

تأكد من عدة روايات أنه لا يتقرب العبد إلى الله تعالى بشئ أكثر مما يتقرب منه بالقرآن الكريم ، و قال الامام أحمد بن حنبل « رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك فقال بكلامى يا أحمد ، قال قلت بفهم أو بغير فهم ، قال بفهم أو بغير فهم » (١) . فان كليهما موجب للتقرب ، إن توضيح هذا الحديث الشريف و شرح كون التلاوة أقرب و أفضل طريق للوصول إلى الله سبحانه مستنبط من تفسير بقية السلف حجة الخلف الشيخ عبد العزيز الدهلوى بن الشيخ ولى الله الدهلوى ـ نور الله مرقدهما ـ و حاصله أن السلوك إلى الله أي مرتبة الاحسان هى استحضار الله سبحانه و تعالى فى القلب والذى يمكن حصوله بثلاثة طرق (الأول) التصور الذى يعرف فى

(١) إحياء علوم الدين .

عرف الشرع بالتفكير والتدبر ، وعند المشايخ بالمراقبة (الثانى) ذكر اللسان (الثالث) تلاوة القرآن الكريم، وحيث إن الطريقة الأولى هى ذكر القلب فبقى طريقان: أولها الذكر العام، سواء كانت ذكرا قلبياً أو لسانياً، والثانى ، التلاوة فكل لفظ يطلق على الله سبحانه و تعالى و يكرر مرات ، و هو حاصل الذكر ، فانه يسبب فى التوجه و الالتفات إلى هذه الذات للدركة فكأن هذه الذات تكون مستحضرة و الاستحضار الدائم هو المعية ، و هى التى يعنيها هذا الحديث القدسى « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبته فكنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به و يده التى يبطش بها » (الحديث) يعنى الحديث الشريف ، أن العبد إذا تقرب إلى الله بكثرة العبادة فيصبح الله تعالى حامى أعضائه و تصبح الأذن والعين و غيرهما من الأعضاء الأخرى تبعاً له ، و ذكر كثرة التطوع من العبادات لأن العبادات المفروضة محدودة و معينة فلا يمكن أن يضاف إليها أو يزاد فيها ، والشرط فى ذلك هو دوام الاستحضار كما علم ، و لكن هذه الطريقة للتقرب خاصة لذات ذلك الحبيب وحده فاذا أراد أحد أن يسبح لأحد غيره ثم يحصل له ذلك التقرب فهو مستحيل ، لأنه يشترط لمثل هذا التقرب أن يوجد فيمن يراد التقرب إليه شيئآن، أحدهما أن يكون علمه محيطاً لأذكار

الذاكرين القلبية و اللسانية و لو ذكره فى مختلف الأزمان و مختلف
الأوقات ، و الثانى أن يكون قادراً على التجلى فى إدراك الذاكر
و شغله ، و حيث إن هذين الشرطين لا يتوافران إلا فى هــذا
وحــده ، فلا يمكن حصول التقرب بالطريق المذكور إلا بهــذه
الذات ، و إليها يشير الحديث المذكور « من تقرب إلى شبراً
تقربت إليه ذراعاً (الحديث) إن هذه التشبيهات كلها للتفهيم فقط
و إلا فان الله سبحانه وتعالى متبرئ عن المشى و غير ذلك من
الأعمال الأخرى ، فالمقصود من ذكر هذه التمثيلات الاظهار أن
الله سبحانه و تعالى يتوجه و ينزل إلى من يذكره و يلتمسه أكثر
من طلبهم وسعيهم ولم لا يشرفهم بنزوله فانه اقتضاء لكرم الكريم
فاذا كان فى ذكر الذاكرين دوام، كان فى توجه ونزول المولى الكريم
دوام ، و لما أن الكلام الالهى ذكر كلياً و لا تخلو آية من آياته
من الذكر والتوجه إلى الله فوجدت هذه الصفة فيه أيضاً ، ولكنه
يتميز بصفة خاصة و تزيد التقرب و هى أن كل كلام يحمل فيه
صفات المتكلم و أثره ومما يشاهد أن تكرار أشعار الفساق والفجار
تحدث أثراً خاصاً ، و أشعار الأتقياء البررة تحدث آثاراً أوثماراً
أخرى ، و لذلك يحدث الغلو فى دراسة المنطق والفلسفة فى القلب
النخوة و الكبر و تحدث كثرة مزاولة الحديث الشريف التواضع

و يتساوى فى ذلك الفارسية و الانجليزية من حيث اللغة ، و لكن المصنفين الذين تدرس كتبهم يخلفون آثاراً مختلفة على الدارسين من حيث اختلافهم فتترتب ثمارها عليهم، وخلاصة القول إن الكلام يحمل آثار المتكلم فلابد من أن يولد تكرار الكلام الالهى وإعادته آثار متكلمه فى قلب القارئ ، و المناسبة الطبيعية معه ، ثم إن من عادة كل مصنف أن يميل طبعاً إلى من يهتم بتأليفه و يلتفت إليه بجراء جبلته ، فمن البديهى إذاً أن تميل العناية الالهية إلى من يردد الكلام الالهى و يتدارسه و هو فى حد ذاته سبب للتقرب ، و ليرزقنى الله المولى الكريم و إياكم هذا اللطف الكريم .

أهل القرآن

[٢٤] عن أنس - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ إن لله أهلين من الناس ، قالوا من هم يا رسول الله ، قال أهل القرآن هم أهل الله و خاصته » .

(رواه النسائى و ابن ماجة والحاكم و أحمد)

إن أهل القرآن هم الذين يشتغلون بالقرآن ودراسته كل وقت ويختصون به ، فالظاهر اعتبارهم أهل الله وخواصه ، وقد تبين ذلك من البحث السابق أنهم فى حين اشتغالهم الأبدى بكلام الله يجعلون

لهم الألطاف الالهية ، و كل من يجالس أحداً ويرافقه يعتبر من أهله و خواصه ، فهل هناك شرف أعلى من هـذا الشرف أنهم بجهد قليل منهم يصبحون أهل الله و يعدون عياله وينالون شرف خواصه ، فكم يبذل الانسان من مجهود ، و يتحمل من تعب ، و مكروه ليدخل البلاطات الدنيوية و ينال العضوية فيها ، و كم من التضحيات المالية و الجسمانية تبدل لنيل هذا الشرف الضئيل الفانى ، فلا يتردد فى مداهنة و مجاملة الناخبين ، و لومـة اللائمين ، و الاهانات و الذلة ، و يعتبر ذلك شرفاً و رفعة ، و يعتبر الجهد و الجد فى دراسة القرآن عملا تافهاً لا يجدى فشتان بين الثرى و الثريا .

[٢٥] عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ ما أذن الله لشئ أذن النبى حسن الصوت يتـغنى بالقرآن و يجهر به . (رواه البخارى و مسلم و اللفظ له ، و أبو داؤد و النسائى و الترغيب)

علم أن الله تبارك و تعالى يخص القرآن بعنايته ، و حيث إن الأنبياء يبالغون بمراعاة آداب التلاوة بين القارئين فالظاهر أن الله تعالى يلتفت إليهم بوجه خاص فاذا أضيف إليه تحسين الصوت يضاعف له الأجر و العناية الالهية ، و بعد الأنبياء يلتفت إلى من

يلونهم فى الفضيلة باعتبار الأفضل فالأفضل .

[٢٦] عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله ﷺ : لله أشد أذناً إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته .

(رواه ابن ماجة و ابن حبان و الحاكم ، كذا فى شرح الاحياء ، قلت : و قال الحاكم صحيح على شرطهما ، و قال الذهبي منقطع)

و من الطبيعى أن يلتفت المرء إلى صوت الغناء ، و لكن لا يلتفت إليه المتدينون لأن الدين ينهى عنه ، وإذا كانت المغنية جارية مملوكة لأحد ، فلا حرج فى سماع غنائها له شرعاً ، فيلتفت إذاً إليه التفاتاً كلياً ، إلا أنه ينبغى عند قراءة القرآن أن لا يتلوه أحد بصوت أشبه بالغناء ، وقد ورد فى الحديث الشريف ما ينهى عنه ، فى حديث « إياكم و لحون أهل العشق » و قال المشايخ : إن القارئ بمثل هذا الحق فاسق ، و السامع عاص ، و لكن إذا قرئ بدون الاعتناء بقواعد الغناء و مراعاتها ، بصوت حسن فهو مطلوب و مرغوب فيه .

و قد حثت عدة أحاديث على القراءة بحسن الصوت فجاء فى رواية « زينوا القرآن بأصواتكم » (١) .

---

(١) عن البراء بن عازب ، رواه أحمد وأبو داؤد كما فى المرقاة .

و ذكر الشيخ عبد القادر الجيلانى - رحمه الله - فى الغنية :
« روى أن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - مر ذات يوم فى موضع من نواحى الكوفة ، و إذا الفساق قد اجتمعوا فى دار رجل منهم و هم يشربون الخمر و معهم مغن يقال له زاذان ، كان يضرب بالعود و يغنى بصوت حسن ، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود قال « ما أحسن هذا الصوت ، لو كان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن ، و جعل رداءه على رأسه فمضى ، فسمع ذلك الصوت زاذان ، فقال من هذا ؟ قالوا : كان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ، قال وإيش قال ، قالوا : قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله كان أحسن ، فدخلت الهيبة فى قلبه ، وقام وضرب بالعود على الأرض ، فكسره ، ثم أدركه، و جعل المنديل على عنق نفسه ، و جعل يبكى بين يدى عبد الله، فاعتنقه عبد الله و جعل يبكى كل واحد منهما ، ثم قال عبد الله : كيف لا أحب من أحب الله ، فتاب من ضربه بالعود ، و جعل ملازماً عبد الله ، حتى تعلم القرآن و أخذ الحظ الوافر من العلم حتى صار إماماً فى العلم » (١) .

وخلاصة القول أن وردت عدة روايات فى التنويه بالتلاوة

(١) المرقاة .

بحسن الصوت ، و فى نفس الوقت تمنع هذه الروايات من التلاوة بصوت غنائى ، كما سبق ذكره .

قال حذيفة قال النبي ﷺ : « اقرأوا القرآن بلحون العرب و أصواتها ، و إياكم و لحون العشق و لحون أهل الكتابين ، و سيجيئ بعدى قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء و النوح و لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم و قلوب الذين يعجبهم شأنهم» (١).

و يقول الطاؤس ـ رحمه الله ـ : سأل أحد رسول الله ﷺ كيف قارىء القرآن بصوت حسن ، فقال : « إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » (٢) يعنى تشعر بالرعب بقراءته .

من أنعم الله على الانسان أنه لا يكلف إلا بوسعه . و قد ورد فى الحديث الشريف « ملك موكل بالقرآن فمن قرأه من أعجمى أو عربى فلم يقومه قومه الملك ثم رفعه قواما » .

(الشيرازى فى الألقاب عن أنس، جامع الصغير ص١٣٨ ج ٢)

أللهم لا أحصى ثناء عليك .

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الايمان «المرقاة (٢) رواه ابن ماجة.

حقوق القرآن وتلاوته

[٢٧] عن عبيدة المليكي قال قال رسول الله ﷺ : « يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن ، و اتلوه حق تلاوته من آناء الليل و النهار و افشوه و تغنوه و تدبروا ما فيه لعلكم تفلحون ، ولا تعجلوا ثوابه ، فان له ثواباً » . (رواه البيهقي في شعب الايمان)

يتضمن الحديث عدة أمور يجب رعايتها .

١ـ لا تتوسدوا القرآن ، و لعدم التوسد مفهومان ، أحدهما أن التوسد خلاف للآداب و الاحترام ، و ذكر ابن حجر أن التوسد بالقرآن و مد الرجل إليه واستدباره و دوسه و غير ذلك من سوء الأدب ، حرام ، و المفهوم الثاني أنه كناية عن الغفلة كما يوضع القرآن فوق الوسادة للبركة ، أو كما يشاهد في بعض المقابر أن القرآن يوضع على وسادة أو كرسي مقبلا للقبر ، فانه إساءة إلى القرآن لأن حقه التلاوة .

٢ ـ « واتلوه حق تلاوته » أي كثرة التلاوة بمراعاة آدابها ، فقد أشار إليه القرآن نفسه فقال: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » فيجب أن يقرأ بغاية من الاحترام و الأدب و المحبة كما يقرأ أمر سلطان أو رسالة حبيب .

٣ـ « و افشوه » أى بالخطاب و الكتابة ، و الترغيب فيه، و الاشتراك العملى ، و بكل طريق ممكن لانشائه و نشره ، إن النبي ﷺ يأمر بافشاء القرآن و نشره ، و لكن المتنورين فى هذا العهد و التقدميين يهملونه و يتجاهلونه ، ثم لا يخجلون فى دعواهم المتطاولة بحب الرسول و حب الاسلام.

إن الله تعالى يأمر بنشر كلامه و نحن نضع عقبات فى سبيله و لا نألو جهداً فى الصد عنه ، فنساعد فى تنفيذ قوانين التعليم الاجبارى لكى يلتحق أطفالنا بالمدارس الابتدائية ، و نسخط على أن معلمى المكاتب الاسلامية البدائية يضيعون أعمار أطفالنا فلانرضى بارسال أطفالنا إليهم ، و لنفترض أنهم مقصرون فى مجهوداتهم و لكن هل ينقذكم تقصيرهم عن المسؤلية أو يرفع عنكم فريضة نشر القرآن ، فنى مثل هذه الظروف تعود المسؤلية إليكم فلابد أن تحملوها و سيكونون مسؤلين عن تقصيرهم وإهمالهم ، ولكن عملهم لا يبرر نقل الأطفال عن المكاتب القرآنية إلى المدارس الرسمية الابتدائية ، فتصدر إنذارات إلى الوالدين لارغامهم على تحويل أطفالهم من التعليم القرآنى و حفظ القرآن ، و فى هذه الصورة يعود وباله إليكم ، أليس ذلك بمثابة معالجة السل بالسم ، فلتدبروا هل يحمل جوابكم أى وزن يوم القيامة إذ تقولون أنكم سحبتم

الأطفال عن دراسة القرآن قهراً لأن المعلمين فى المكاتب كانوا لا يحسنون التعليم . و كانوا مقصرين فيه .

إن تعليم ثلاثة الأرباع لمجرد الحصول على وظيفة رسمية أو للعمل فى دكان تاجر أو بقال يحمل هذه الأهمية و يولى به هذا الاهتمام ، و يعامل تعليم القرآن بهذا الاهمال ، فتعليم القرآن عند الله أهم من أى تعليم آخر .

٤— « و تغنوا به » كما سبق فى الحديث السابق .

٥— « و تدبروا ما فيه » نقل صاحب الاحياء عن التوراة .

« يا عبدى أما تستحى منى يأتيك كتاب من بعض إخوانك و أنت فى الطريق تمشى ، فتعدل عن الطريق و تقعد لأجله ، و تقرؤه و تتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شئ منه ، و هذا كتابى أنزلته إليك أنظر كم فصلت فيه من القول ، و كم كررت عليك لتتأمل طوله و عرضه ثم أنت معرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ، يا عبدى يقصد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك ، و تصغى إلى حديثه بكل قلبك ، فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف ، و ها أنا ذا مقبل عليك و متحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى ،

أجعلتني أهون عنـدك من بعض إخوانك » (١) .

و قد سبق الكلام عن التدبر فى المقدمة و فى شرح حديث « رقم ٨ » .

٦— « و لا تعجلوا ثوابه ، فان له ثواباً » أى لا تأخـذوا على التـلاوة أجراً ، لأن له أجراً عظيما فى الآخرة ، فاذا أخـذ عليها أجر فى الدنيا فان مثله مثل من يشترى الودعات (٢) بالنقود و قد قال ﷺ « إذا عظمت أمتى الدينار و الدرهم نزع عنها هيبة الاسلام، و إذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحى » أى فهم القرآن ، كذا فى الاحياء ، أللهم احفظنا .

[٢٨] عن واثلة رفعه « أعطيت مكان التوراة السبع و أعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الانجيل المثانى وفضلت بالمفصل » (لأحمد و الكبير ، كذا فى جمع الفوائد)

تعرف السور الأولى فى القرآن بالطول ، ثم تـأتى السور الاحدى عشرة ، وتعرف بالمئين تتلوها عشرون سورة وهى المثانى وبعدها إلى ختم القرآن يعرف بالمفصل ، و هذا هو القول المشهور و قد اختلف فى بعض السور هـل تدخل فى الطول أو الميئين أو

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى (٢) مناقيف صغـار تخرج من البحر ، كان أهل الهند يستعملونها فى البيع و الشراء .

المثانى أو المفصل ، و لكن لا يؤثر هذا الاختلاف فى مقصود الحديث الشريف ، فان المقصود منه أنه يوجد فى القرآن الكريم نظائر جميع الكتب السماوية المنزلة المشهورة ، و إن المفصل فى القرآن هو ميزة القرآن ، و لا يوجد له نظير فى الكتب الأولى

هل تلاوة القرآن أفضل أم الاستماع إلى قراءة الآخر؟

[٢٩] عن أبى سعيد الخدرى قال جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين ، و إن بعضهم ليستتر ببعض من العرى ، و قارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ ، فقام علينا ، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ فسلم ، ثم قال : ما كنتم تصنعون ؟ قلنا نستمع إلى كتاب الله تعالى. فقال « الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم » قال فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا ، ثم قال بيده هكذا فتحلقوا و برزت وجوههم له ، فقال : « أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمس مأة سنة».

(رواه أبو داؤد)

و المعنى الظاهر للعرى « غير العورة » فان تجرد أى جزء آخر من الجسم غير العورة فى جمع من الناس يبعث على الخجل ،

و الحياء ، ولذلك كانوا يستترون لكيلا يبدو جسمهم ، و حيث إنهم كانوا مشغولين لم يظهر عليهم وصول النبي ﷺ ، فلما برز رسول الله ﷺ و قام فيما بينهم ، علموا ذلك ، فسكت القارئ .

وإنه تساءل النبي ﷺ كان كما يبدو إظهاراً لسروره و إلا فانه كان قد رأى أنهم يقرأون ، إن يوم القيامة يساوى ألف سنة « و إن يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون » ولذلك يذكر يوم القيامة حينما يذكر بـ « غداً » كما يظهر و يراد منه الغد ، و لكنه كله باعتبار الغالب ، وعامة المؤمنين ، وقد ورد للكافرين « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » ولخواص المؤمنين يظهر هذا اليوم قصيراً ، و قد جاء أنه يبدو لبعض المؤمنين مثل الوقت الذى تؤدى فيه ركعتا الفجر .

إن فضائل قراءة القرآن كما ورد فى الأحاديث كثيرة ، و كذلك وردت فضائل الاستماع إلى القرآن فى روايات كثيرة ، و هل فضيلة أكبر من أن النبي ﷺ أمر بأن يشترك فى مثل هذا الاجتماع ، كما تدل عليه الرواية السابقة ، و قد أفتى بعض العلماء أن الاستماع إلى القرآن أفضل من قراءته ، لأن قراءته تطوع ، و سماعه فرض ، و الفرض أعلى من النفل .

يستنبط فى هذا الحديث مسألة أخرى أيضاً ، و فيها خلاف

بين العلماء ، وهى أن الفقير الصابر على فقره الذى لا يظهر فقره على الآخرين ، خير أو الغنى الشاكر الذى يؤدى حقوقـــه ، فان الحديث المذكور يفيد بأفضلية الفقير الصابر .

[٣٠] عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ من استمع إلى آية من كتـاب الله كتبت له حسنة مضاعفة و من تلاها كانت له نوراً يوم القيامة » .

(رواه أحمد عن عبادة بن ميسرة و اختلف فى توثيقه عن الحسن عن أبى هريرة و الجمهور عـلى أن الحسن لم يسمع عن أبى هريرة) .

تكلم المحدثون فى هذا الحديث باعتبار سنده ، ولكن مضمون الحديث يتأكد من عدة روايات أخرى و هو أن سماع القرآن أيضاً يوجب أجراً كبيراً و حتى إن البعض قالوا إن سماعه أفضل من القراءة .

روى عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال له « اقرأ على القرآن » قال فقلت « أقرأ عليك ، و عليك أنزل » فقال «إنى لأشتهى أن أسمعه من غيرى » فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت « فكيف إذا جئنا من كل أمـــة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيـــداً » رفعت رأسى أو غمزنى رجـل ، فرفعت رأسى

فرأيت دموعه تسيل »(١) .

و كان سالم مولى حذيفة يتلو القرآن يوماً فوقف رسول الله ﷺ يسمعه ، و سمع تلاوة أبي موسى الأشعرى و أثنى عليه .

الجهر بالقرآن والاسرار به

[٣١] عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، و المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » .

(رواه الترمذى و أبو داؤد و النسائى
و الحاكم و قال على شرط البخارى)

إن الصدقة العلانية أفضل عندما يسبب الجهر بها فى ترغيب الآخرين أو تكون فيها مصلحة أخرى ، و يستحب إخفاؤها إذا كان يخشى الرياء أو إذلال الآخر ، وغير ذلك من الفوائد الأخرى، وكذلك القراءة فيستحب قراءة القرآن جهراً فى حين يسبب ذلك فى ترغيب الآخرين ، ثم إن فى سماعه أجراً للسامع ، و يستحب تلاوته سراً إذا كان الجهر به يؤذى الناس أويحدث الشعور بالرياء.

و قد وردت الفضائل فى القراءة جهراً و سراً كليهما ، فنى بعض الأحيان يناسب الجهر بالتلاوة ، و فى الأحيان الأخرى

---

(١) رواه مسلم .

يستحب الاسرار بها ، و قد استدل كثير من العلماء على الاسرار بالتلاوة من حديث الصدقـــة المذكور أيضاً ، و روى البيهقى فى شعب الايمان « و لو أن الرواية باعتبار أصول المحدثين ضعيفة » عن عائشة - رضى الله عنها - : يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفاً » (١) .

و روى جابر عن النبى ﷺ : « لا يجهر بعضكم على بعض، فان ذلك يوذى المصلى » رواه الخطيب عن جابر (كذا قال العراقى فى الياقوت) .

« سمع سعيـد بن مسيب ذات ليلة فى مسجد النبى ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته ، وكان حسن الصوت فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض صوته. فقال الغلام إن المسجد ليس لنا ، و للرجل فيـه نصيب ، فرفع سعيد صوته و قال أيها المصلى إن كنت تريد الله بصلاتك فاخفضـه و إن كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر و خفف ركعته » (٢) .

و كذلك روى عن النبى ﷺ القراءة جهراً ، و فى شرح الاحياء روايات و أحاديث عن كليهما .

---

(١) اتحاف السادة ج ٤ (٢) الاحياء .

الصيام و القرآن يشفعان

[٣٢] عن جابر عن النبي ﷺ : القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه ، قاده إلى الجنة و من جعله خلف ظهره ساقطه إلى النار . (رواه ابن حبان والحاكم مطولا وصححه)

إن شفاعة القرآن مقبولة عند الله فى حق من يشفع له و يوصل إلى الجنة من يحاج فى حقه ، و قد سبق تفصيل ذلك فى شرح حديث « رقم ٨ » أن القرآن يحاج عند الله فى حق من يهتمون بآدابه لرفع درجاتهم ، و يطالب المقصرين فى حقه بحقوقه، فيوصل من جعله أمامه أى اتبع القرآن و جعله دستوراً له ، إلى الجنة ، و من جعله خلفه أى لم يتبعه فان مصيره إلى النار ، و يرى هذا العبد أن الاعراض عن القرآن و عدم الاهتمام يمكن أن يدخل فى مضمون الحديث ، فقد وردت عدة أحاديث وروايات تنذر من يهمل القرآن الكريم ، فقد جاء فى الرواية الطويلة للبخارى التى تذكر زيارة النبي ﷺ بعض أحوال الجناة ومعاقبتهم، قصة رجل كان يضرب رأسه بحجر بشدة كان رأسه يتهشم ، و عندما سئل النبي ﷺ عنه قيل له إن الله تعالى علم هذا الرجل قرآنه فلم يتله فى الليل و لا عمل به فى النهار ، فيعامل كذلك إلى يوم

القيامة ، فليرحمنا الله و يحفظنا من عذابه بلطفه و كرمه فان القرآن الكريم فى الحقيقة نعمة عظيمة و كل عقاب على الاهمال به قليل .

[٣٣] عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام رب إنى منعته الطعام والشراب فى النهار فشفعنى فيه و يقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان » .

(رواه أحمد و ابن أبى الدنيا و الطبرانى فى الكبير و الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم)

و فى رواية الترغيب : « الطعام و الشراب » و فى الحاكم الشهوات مكان الشراب ، أى منعته من الطعام فى النهار والشهوات فى الليل ، و فيه إشارة إلى أنه يجب على الصائم الابتعاد عن الشهوات النفسانية و لو أنه يجوز له مثل التقبيل و العناق ، وتفيد بعض الروايات بأن القرآن يأتى فى شكل شاب ، ويقول أنا الذى أيقظك فى الليالى وأظمأك فى النهار وكذلك يشير هذا الحديث إلى أن يقتضى حفظ القرآن الكريم أن يقرأ فى نوافل الليل ، و قد سبق ذلك فى شرح حديث « رقم ٧ » ويرغب فيه القرآن الكريم نفسه فى عدة مواضع ، فيقول فى موضع « و من الليل فتهجد به نافلة لك » (الآية) « و من الليل فاسجد له و سبحه ليلا

طويلا » (الآية)« يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون »
(الآية) « و الذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً (الآية) فكان النبي
ﷺ و الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يقضون الليل بكامله
فى تلاوة القرآن ، و روى عن عثمان - رضى الله عنه - أنه كان
فى بعض الأحيان يقرأ القرآن بكامله فى الركعة الواحدة لصلاة
الوتر . و كذلك كان عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - يختم
القرآن الكريم فى ليلة واحدة ، وختم سعيد بن جبير - رضى الله
عنه - القرآن كله فى الركعتين فى الكعبة المشرفة، وكان ثابت البنانى
- رحمه الله - يختم القرآن فى ليلة واحدة ، و كذلك الوحدة ،
و يقول أبو شيخ هنائى أنه ختم ختمتين و تلا عشرة أجزاء من
الثالث فى ليلة واحدة ، و قال إنه كان يستطيع أن يختم الختمة
الثالثة وحج صالح بن كيسان فكان يختم فى الطريق ختمتين فى ليلة
واحدة ، و كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن بكامله فى صلاة
الضحى و ختمة أخرى بين الظهر و العصر ، و يقضى الليل بكامله
فى النوافل من الصلاة ، وكان يبكى بكاءاً تبتل به عمامته ، وكذلك
روى عن مشايخ آخرين كما ذكره محمد بن نصر - رحمه الله - فى
قيام الليل .

عادات السلف فى ختم القرآن

يقول صاحب شرح الاحياء أن عادات السلف فى ختم القرآن كانت مختلفة فكان بعضهم يختم القرآن كل يوم، مثل الامام الشافعى - رحمه الله - فى غير رمضان، وكان يختم بعضهم ختمتين كل يوم، كما كان يفعله الامام الشافعى - رحمه الله - فى رمضان المبارك، و كذلك كانت عادة أسود و صالح بن كيسان و سعيد بن جبير - رحمهم الله - و جماعة مثلهم، و كانت عادة بعض المشايخ ثلاث ختمات يومياً، فكان سليم بن عتر و هو من كبار التابعين و كان قد اشترك فى فتح مصر فى عهد سيدنا عمر - رضى الله عنه - و أمره معاوية - رضى الله عنه - على القصص، يختم القرآن ثلاث ختمات فى كل ليلة، و يقول الامام النووى فى كتاب الأذكار : إن أكثر ما بلغنا من قدر التلاوة و هو ثمانى ختمات أربعاً فى الليل و أربعاً فى النهار للسيد الجليل ابن الكاتب - رضى الله عنه.

وروى ابن قدامة - رحمه الله - عن الامام أحمد أنه يتوقف على نشاط القارئ و ليس له تحديد، و ذكر رجال التاريخ أن الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت - رحمه الله - كان يختم واحدة و ستين ختمة فى رمضان المبارك، ختمة فى النهار، و أخرى فى

الليل ، و ختمة واحدة فى الشهر من التراويح ، ولكن النبي ﷺ قال : من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه » (١) فقال ابن حزم و غيره من العلماء أن ختم القرآن فى أقل من ثلاثة أيام حرام .

أقول : إن هذا الحديث هو باعتبار الأكثر ، فقد ثبت من جماعة من الصحابة - رضى الله عنهم - القراءة فى أقل مدة منها أيضاً ، و كذلك لا يحدد الجمهور أقصى المدة ، فليختم القرآن حسب المستطاع ، ولكن بعض العلماء يقولون أن لا يختم القرآن فى أكثر من أربعين يوماً وحاصله أن يقرأ القرآن كل يوم ثلاثة أرباع الجزء ، فاذا فاتت القراءة يوماً لسبب من الأسباب العارضة، فليقض ما فات فى اليوم التالى ، ليكمل القرآن فى أربعين يوماً ولو أنه ليس من الواجب عند الجمهور إلا أن بعض العلماء يرون أن الأحوط أن لا يزاد فى هذه المدة ، و يؤيد ذلك أيضاً بعض الأحاديث فذكر صاحب المجمع حديثاً « من قرأ القرآن فى أربعين ليلة فقد عذب » وأفتى بعض العلماء أنه ينبغى ختم القرآن مرة كل شهر ، و الأفضل أن يختم ختمة واحدة كل أسبوع ، لأنه روى

---

(١) الاحياء .

ذلك عامة عن الصحابة - رضوان الله عليهم - فبدأ يوم الجمعة و يختم فى سبعة أيام ، بعد الخميس و يقرأ كل يوم حزباً من أحزاب القرآن .

وسبق قول الامام أبى حنيفة - رحمه الله - أن قراءة القرآن فى كل سنة مرتين إعطاء لحقه فلا يستحسن أن يقرأ أقل منه فى أى حال من الأحوال ، و فى رواية : « إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح و إن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسى » (١) فاستنبط منه بعض المشايخ أن يختم القرآن فى أيام الصيف فى بدء النهار ، و فى الشتاء فى بدء الليل ، لكى تتاح له أدعية الملائكة فى أكثر الأوقات .

شفاعة القرآن

أقوى من شفاعة الأنبياء و الملائكة

[٣٤] عن سعيد بن سليم مرسلا قال قال رسول الله ﷺ : « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن ، لا نبي و لا ملك و لا غيره » .

(قال العراقى رواه عبد الملك بن حبيب كذا فى شرح الاحياء)

---

(١) رواه الدارمى ، كتاب الأذكار للنووى ،

إن شفاعة القرآن و قوة شفاعته المقبولة مستفادة من عدة روايات أخرى ، فليرزقني الله تعالى ، و إياكم بفضله شفاعة القرآن لا يجعله حجة أو مدعياً علينا .

و روى فى اللآلى المصنوعة عن البزار ولم يحكم عليه بالوضع أن قارئ القرآن « إذا مات و كان أهله فى جهاز ، جاء القرآن فى صورة حسنة جميلة فوقف عند رأسه حتى يدرج فى أكفانه ، فيكون القرآن على صدره دون الكفن فاذا وضع فى قبره وسوى عليه و تفرق عنه أصحابه ، فأتاه منكر و نكير فيجلسانه فى قبره ، فيجيئ القرآن حتى يكون بينه و بينهما ، فيقولان له إليك حتى نسأله فيقول ، لا و رب الكعبة ، إنه لصاحبي و خليلي و لست آخذ له على حال ، فان كنتما أمرتما بشئ فامضيا لما أمرتما ، و دعا مكانى فانى لست أفارقه حتى أدخله الجنة » ثم ينظر القرآن إلى صاحبه فيقول : أنا القرآن الذى كنت تجهر بي و تخفيني (۱) .

و كانت هذه الرواية طويلة تحوى فضائل عظيمة ، فاختصرتها خوفاً من التطويل .

[۳٥] عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «من قرأ القرآن فقد استدرج الله النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه،

(۱) اللآلى المصنوعة ص ۱۲٥ .

لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، و لا يجهل مع من جهل و فى جوفه كلام الله » .

(رواه الحاكم و قال صحيح الاسناد)

لما أن الوحى انقطع بعد النبي ﷺ فلا ينزل الوحى على أحد ، و لكن القرآن كلام الله بلا ريب ، و إنه علم النبوة ، و إذا كرم الله أحداً بعلوم النبوة ، فلابد له من أن يتخلق بأخلاق عالية ، و يجتنب العادات السيئة ، و قد قال الفضيل بن عياض - رضى الله عنه - أن حافظ القرآن هو حامل لواء الاسلام فلايناسبه أن ينغمس فى اللهو واللعب ، أويخالط الغافلين أويكون مع العاطلين.

[٣٦] عن ابن عمر - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر و لا ينالهم الحساب هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق ، رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوماً وهم به راضون وداع يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله و رجل أحسن فيما بينه و بين ربه وفيما بينه و بين مواليه » . (رواه الطبرانى فى المعاجم الثلاثة)

إن هول القيامة و شدة يومها و مصائبها لا تخفى على أى مسلم و لا يجهلها قلب أى مسلم ، و إن أى ضمان لتخفيف هول هذا اليوم و تهدئته نتيجة لعمل من الأعمال ، خير من ملايين

النعم و الراحات الأخرى ثم إذا كان ذلك مقروناً بالرفاهية والتنزه فهو السعادة العليا فهنيئاً لمن يفوز بهن النعمة ، و الويل والخسران للجاهلين الذين يحسون ذلك اضاعة للوقت ، و يهملونه ، فقد روى فى المعجم الكبير مثل هذا الحديث عن الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو أنه قال لو لا أنى سمعت هذا الحديث من النبى ﷺ مرة ومرة و مرة و قال ذلك سبع مرات لما رويته .

[٣٧] عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من آيات كتاب الله خير لك من أن تصلى مأة ركعة ، و لأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلى ألف ركعة .

(رواه ابن ماجة باسناد حسن)

وردت أحاديث كثيرة فى هذا المعنى أن التعلم وحصول العلم أفضل من العبادة ، و أن استيعاب الأحاديث الكثيرة التى وردت فى فضائل العلم يصعب ، و خاصة فى هذا المختصر . فقد قال النبى ﷺ « فضل العالم على العابد كفضلى أدناكم » و قال « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » (١).

[٣٨] عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله

(١) رواه ابن ماجة .

ﷺ من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يكتب من الغافلين .

(رواه الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم)

إن تلاوة عشر آيات لا تستغرق إلا بضع دقائق و أجرها الخروج من طائفة الغافلين ، فهل فضيلته أكبر من هذه الفضيلة .

[٣٩] عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ من حافظ على هؤلآء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين ، و من قرأ فى ليلة مأة آية كتب من القانتين .

(رواه ابن خزيمة فى صحيحه و الحاكم ،
و قال : صحيح على شرطهما .

و روى الحسن البصرى مرسلا أن النبي ﷺ قال : « من قرأ فى ليلة مأة آية لم يحاجه القرآن تلك الليلة ، ومن قرأ فى ليلة مأتى آية كتب له قنوت الليلة ، و من قرأ فى ليلة خمس مأة إلى ألف أصبح و له قنطار من الأجر . قالوا و ما القنطار قال اثنى عشر ألفاً » (١) .

[٤٠] عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فأخبره أنه ستكون فتن، قال فما المخرج

---

(١) رواه الدارمى ، كذا فى المشكوة .

منها يا جبرئيل قال كتاب الله » .

(رواه رزين ، كذا فى الرحمة الهداة)

إن العمل بكتاب الله ضمان للخروج من الفتن و إن بركة تلاوته أيضاً تنقذ من الفتن ، و قد سبق فى شرح حديث « رقم ٢٢ » أن السكينة و الرحمة تنزلان فى البيت الذى يقرأ فيه القرآن و يخرج منه الشياطين ، و المراد من الفتن خروج الدجال و فتنة التتار ، و غيرها من الفتن الأخرى كما ذكرها العلماء .

وروى فى المغنى المذكور حديث طويل عن على -كرم الله وجهه- أنه قال : «قال يحيى بن زكريا : يا بنى إسرائيل إن الله تعالى يأمركم أن تقرأوا الكتاب و مثل ذلك كمثل قوم فى حصنهم سار إليهم عدوهم و قد تبدو له فى كل ناحيــة من نواحى الحصن قوم فليس يأتيهم عدوهم من ناحية إلا وجد من يردهم من حصنهم و كذلك من يقرأ القرآن لا يزال فى حرز و حصن » .

(دارقطنى عن على)

تذليل و تكميل

فصل فى قراءة سور وردت فضيلتهـــا و أمور أخرى يجب التنبية إليها ، و نورد فى هـذا الفصل روايات زائدة على الأربعينة لأغراض تناسب المقام .

١ـ سورة الفاتحة :

عن عبد الملك بن عمير مرسلا ، قال قال رسول الله ﷺ : « فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء » .

(رواه الدارمى و البيهقى فى شعب الايمان)

وردت فى فضل سورة الفاتحة عدة روايات ، و فيها رواية جاء فيها : « أن صحابياً قام يصلى صلاة ، فدعاه النبى ﷺ فلم يجبه لأنه كان فى الصلاة ، و عندما انتهى من صلاته ، انصرف إلى رسول الله ﷺ فقـــال له رسول الله ﷺ « ما منعك أن تجيبنى إذ دعوتك ؟ » فقال إنى كنت فى الصلاة ، فقال رسول الله ﷺ « فلم تجد فيما أوحى الله إلى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لمـــا يحييكم » ثم قال النبى ﷺ « أخـبرك عن أكبر سورة فى القرآن (أى أفضلهـا) فقال هى سبع آيات فى سورة الفاتحة و هى السبع المثانى و القرآن العظيم » .

وقال بعض العارفين « جميع ما فى الكتب المتقدمة فى القرآن ، و جميعه فى الفاتحة ، و جميعها فى البسملة ، و جميعها تحت نقطة الباء منطوية و هى على كل الحقائق و الدقائق محتوية ».(١) .

و يقولون فى شرح ذلك ، أن الباء هنا للوصل ، و هو المقصود الأعلى ، فكل شئ يدعو إلى الله والوصل معه ، وأضاف البعض إليه قولهم « إن كل مافى الباء جاء فى نقطتها وهى الوحدانية لأن النقطة فى الاصطلاح هى الشئ الذى لا يجزأ . و روى عن المشايخ أن جميع المقاصد و الأهداف الدينية و الدنيوية قد تلخصت فى « إياك نعبد و إياك نستعين » .

و فى رواية أخرى أن النبى ﷺ قال « و الذى نفسى بيده ما أنزل الله فى التوراة و لا فى الانجيل و لا فى الزبور ، و لا فى القرآن مثلها ، و أنها سبع من المثـانى و القرآن العظيم الذى أعطيته » (٢) .

ذكر المشايخ أن قراءة الفاتحة بالايمان و اليقين شفاء لكل داء سواءاً كان دينياً أو دنيوياً ، ظاهرياً أو باطنياً ، و إن تعليقه مكتوبة ينفع أيضاً فى الأمراض ، و ورد فى الصحاح أن الصحابة

---

(١) المرقاة لملا على القارى (٢) رواه الترمذى روى الدارمى من قوله ما أنزلت « المشكاة » .

رضوان الله عليهم أجمعين ، رقوا بهما من لدغتهم الحية و العقرب و المصابين بالصرعة و المجانين ، و أجازها النبي ﷺ ، و جاء أيضاً فى رواية أن النبي ﷺ قرأ على سائب بن يزيد أم الكتاب و جمع بزاقه و تفل على مكان الوجع .

و فى رواية أخرى روى البخارى فى مسنده من حديث ابن عباس فاتحة الكتاب تعدل بثلثى قرآن .

(تفسير مظهرى ج ١ ص ١١)

و فى رواية عن أنس - رضى الله عنه - إذا وضعت جنبك على الفراش و قرأت فاتحة الكتاب و قل هو الله أحد ، فقد أمنت عن كل شئ إلا الموت . (رواه البزار)

عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ أربع أنزلن من كنز تحت العرش لم ينزل عنه شئ غيرهن ، أم الكتاب ، وآية الكرسى و خواتيم سورة البقرة و الكوثر .

(أخرجه أبو الشيخ فى الثواب ، والطبرانى و ابن مردويه ، والديلمى ، والضياء المقدسى فى المختارة)

عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة و الانجيل و الزبور و الفرقان .

[أخرجه أبو عبيد فى فضائله]

و فى رواية إن إبليس ناح عليه و بكى و نفث التراب عليه أربع مرات عندما لعن، ثم عند إهباطه من السماء إلى الأرض و ثالثاً عند بعثة النبي ﷺ ، و رابعاً عند نزول سورة الفاتحة .

و قال الشعبي إن رجلا جاءه و اشتكى وجع الكليه فقال له أن يقرأ أساس القرآن و يمسح به موضع الوجع مسألة هو أساس القرآن فقال الشعبي سورة الفاتحة .

وروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال « بينما جبرئيل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم، و قال أبشر بنورين أوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، ان تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته » (١) .
قالهما النورين لأنهما يكونان أمام قارئهما يوم القيامة و يقودانه .

٢- سورة « يسين » :

عن عطاء بن أبي رباح قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال «من قرأ «يسين» فى صدر النهار قضيت حوائجه» . (رواه الدارمى)

---

(١) رواه مسلم و النسائى و الحاكم .

وردت فى فضل سورة «يسين» عدة روايات ففى رواية «إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن «يسين» فمن قرأ «يسين» كتب الله بقراءتهما قراءة القرآن عشر مرات» (١) .

وفى رواية «إن الله تعالى قرأ طه و «يسين» قبل أن يخلق السماوات و الأرض بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل هذا عليها، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا. (٢)

و فى رواية «قلب القرآن يس لا يقرأها رجل يريد الله و الدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرؤها على موتاكم» (٣) .

وفى رواية «سورة يس تدعى فى التوراة المنعمة تعم صاحبها بخير الدنيا و الآخرة» .

و روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ «لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى» (٤) .

---

(١) عن أنس - رضى الله عنه - رواه الترمذى و الدارمى و قال الترمذى هذا حديث غريب «المشكاة» (٢) رواه الدارمى «المشكاة» (٣) أبو داؤد و أحمد و النسائى (٤) ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ .

٣ـ سورة الواقعة :

عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ، و كان ابن مسعود يأمر بناته يقرآن بها كل ليلة » . (رواه البيهق فى الشعب)

وردت فى فضل سورة الواقعة عدة روايات .

ففى رواية : « قارئ الحديد ، و إذا وقعت ، و الرحمن ، يدعى فى السماوات و الأرض ساكن الفردوس » .

(عن فاطمة ، كنز العمال ص ١٤٥ ج ١)

وفى رواية أخرى : عن أنس - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤها وعلموها أولادكم » .

(الدر المنثور ص ١٥٣ ج ٦)

وفى رواية أخرج الديلمى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ علموا نساءكم سورة الواقعة فانها سورة الغنى .

وورد أيضاً عن عائشة - رضى الله عنها - ما يؤكد ذلك ، و لكن من غاية الضيق أن يقرأ أحد هذه السورة لبضعة فلوس ، إلا أنه إذا قرأت لغنى القلب و للآخرة فان الدنيا ستخضع طبعاً و تسخر .

٤ـ سورة الملك و ألم السجدة :

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ إن سورة فى القرآن ، ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، و هى تبارك الذى بيده الملك » .

(رواه أحمد و أبو داؤد و النسائى وابن ماجه والحاكم وصححه ابن‌حبان فى صحيحه)

و فى رواية أخرى أن النبى ﷺ قال : « وددت أنها فى قلب كل مؤمن ، يعنى تبارك الذى بيده الملك » .

و فى رواية أخرى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال قال رسول الله ﷺ من قرأ تبارك الذى بيده الملك ، و ألم تنزيل السجدة بين المغرب و العشاء الآخرة فكأنما قام ليلة القدر .

(الدر المنثور ص ١٧١ ج ٥)

و فى رواية أخرى « من قرأ فى ليلة ألم تنزيل السجدة ، و تبارك الذى بيده الملك ، كتب له سبعون حسنة و حط عنه سبعون سيئة . (الدر المنثور ص ١٧١ ج ٥)

وفى رواية « ما على الأرض رجل يقرأ ألم تنزيل، السجدة، و تبارك الذى بيده الملك ، فى ليلة إلا كتب الله له مثل أجر ليلة القدر . (الدر المنثور ص ٧١١ ج ٥)

روى الترمذي عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر و هو لايحسب أنه قبر ، فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقـال « يا رسول الله ضربت خبائى على قبر و أنا لا أحسب أنه قبر فاذا قبر الانسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال النبي ﷺ : « هى المانعة ، هى المنجية ، تنجيه من عذاب القبر » .

عن جابر - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل ، و تبارك الذى بيده الملك (١) » .

و عن خالد بن معدان « اقرؤا المنجية وهى ألم تنزيل ، فانه بلغنى أن رجلا كان يقرؤها ، ما يقرأ شيئاً غيرهـا ، و كان كثير الخطايا ، فنشرت جناحها عليه، قالت يارب اغفرله ، فانه كان يكثر قراءتى فشفعها الرب تعالى فيه ، و قال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة ، وقال أيضاً : إنها تجادل عن صاحبها فى القبر، تقول أللهم إن كنت من كتابك فشفعنى فيه ، و إن لم أكن من كتابك فامحنى عنه ، و أنها تكون كالطير تجعـل جناحها عليه فتشفع له ، فتمنعه من عذاب القبر ، و قال فى « تبارك » مثله ، و كان

---

(١) رواه أحمد و الترمذى و الدارمى ، و قال الترمذى هـذا حديث صحيح ، و كذا فى شرح السنة « المشكاة » .

خالد لا يبيت حتى يقرأهما ، و قال طاؤس فضلتا على كل سورة في القرآن بستين حسنة » (١) .

إن عذاب القبر ليس بيسير ، فكل ميت يواجه مرحلة القبر بعد موته ، و روى أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة و النار فلا تبكي ، وتذكر القبر و تبكي ، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فان نجا منه فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد » قال و سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما رأيت منظراً قط إلا و القبر أفظع منه » (٢) .

أللهم احفظنا منه بفضلك و كرمك .

٥ـ الحال المرتحل :

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل ، قال « الحال المرتحل » قال يا رسول الله ما الحال المرتحل ؟ قال « صاحب القرآن ، يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ، و من آخره حتى يبلغ أوله ، كلما حل ارتحل .

---

(١) رواه الدارمي كما في المشكاة .

(٢) رواه الترمذي « الترغيب و الترهيب ج ٤ ص ٣٦١ » .

رواه الترمذى كما فى الرحمة ، و الحاكم ، و قال : تفرد به صالح المري ، و هو من زهاد أهل البصرة إلا الشيخين لم يخرجاه ، وقال الذهبي: صالح متروك، قلت : هومن رواة أبي داؤد والترمذى.

[الحال] هو الذى يحل منزله ، و[المرتحل] هو الراحل و المسافر ، و معناه أنه لا يختم القرآن إلا و يبدؤه من جديد ، فلا يقف بعد ختمه أو يرجئ التلاوة ، و ورد فى رواية فى كنز العمال فى شرحه « الخاتم المفتح » أى يختم القرآن و يفتحه من جديد ، و لعله أصل العادة المتبعة فى بلادنا أن خاتم القرآن يقرأ إلى «مفلحون» فى أوائل سورة البقرة ، ولكن الناس بدؤا يتبعون هذه العادة كأدب من الآداب المتبعة و لا يواصلون التلاوة بعده ، و كان الأصل فيه أن تستأنف التلاوة لكيلا تنقطع السلسلة .

فالمقصود الظاهر فيه اكمال القرآن . فيجب الاهتمام به و فى شرح الاحياء ، و ذكر العلامة السيوطى أيضاً فى الاتقان أن النبى ﷺ كان يقرأ بعد سورة الناس «إلى مفلحون» من سورة البقرة ، ثم يدعو دعاء ختم القرآن .

٦ــ القرآن أشد تفصياً من الابل فى عقلها :

عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ تعاهدوا

القرآن فو الذى نفسى بيده لهو أشد تفصياً من الابل فى عقلها ».

(رواه البخارى و مسلم)

إن الانسان إذا كان غافلا عن الماشية فانها ستفلت من يده وتهرب ، وهكذا مثل القرآن إذا لم يهتم به الانسان و يسهر على حفظه بأنه سينسى ، والواقع أن حفظ القرآن هو فى الحقيقة معجزة مكشوفة له ، فان حفظ كتاب آخر فى نصف حجم القرآن أو ثلثه لا يصعب على المرء لحسب ، بل يعد مستحيلا تقريباً ، و قد ذكر الله تعالى حفظ القرآن فى سورة القمر كمنة منه على عباده، فنبه إليه تكراراً ، فقال « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » وقال صاحب الجلالين : إن الاستفهام هنا هو بمعنى الأمر ، و من المؤسف أن الأمر المؤكد من الله تعالى و الذى يعاد ذكره فى كتابه ، نعتبره نحن معشر المسلمين بجهلنا ، حماقة و إضاعة للوقت فهل يبقى بعد هذه الحماقة و الجهالة سبب آخر للمصائب و الدمار و الكوارث التى تنتظرنا ، و من العجب أن عزيراً عليه السلام دعى بابن الله لأنه أملى من ذاكرته كتاب الله التوراة ، أما نحن فرغم عموم هذه المنة الالهية و اللطف على المسلمين التى جعلت حفظ القرآن عادة مألوفة مسيرة مشهوره ، لانقدرها حق قدرها «فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

لاشك أن حفظ القرآن من من الله و كرمه على عباده فاذا غفل عنه عبد بجهله ينساه ، وقد وردت عدة روايات تتوعد على نسيان القرآن بعد حفظه ، فروى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » (١) و عن سعد بن عبادة قال قال رسول الله ﷺ « ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقى الله أجذم » (٢) .

و ذكر فى جمع الفوائد رواية للرزين على أساس الآية فاقرأوا إن شئتم « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا و نحشره يوم القامة أعمى * قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى * (٣)

٧ـ الاكتساب بالقرآن يعود وبالا يوم القيامة :

عن بريدة قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن يتأكل به الناس ، جاء يوم القامة و وجهه عظيم ليس عليه لحم » .

(رواه البيهقى فى شعب الايمان)

---

(١) أبو داؤد و الترمذى (٢) أبو داؤد « كذا فى الترغيب و الترهيب » (٣) سورة طه ١٢٦ .

المراد من الحديث الشريف أن الذين يقرأون القرآن لكسب غرض دنيوى لن يكون لهم نصيب فى الآخرة ، و قد روى عن جابر - رضى الله عنه - قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن و فينا الأعرابى و العجمى فقال: اقرؤا فكل حسن ، وسيجيئ أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » (١) ومعنى الحديث أنهم يحسنون الأحرف والكلمات ساعات ويتكلفون فيه و يصطنعون فى تصحيح مخارج الحروف و لا يكون هذا الجهد كله إلا للدنيا ، ولا يكون لهم هم بالآخرة، والمراد منه أن تحسين الصوت لا يجدى نفعاً إذا كان غير مقترن بالاخلاص أو كان لكسب الدنيا وحدها .

و المراد من الوجه العظيم بدون اللحم أنه بسبب إهماله بأشرف الأشياء و جعله وسيلة للاكتساب الدنيوى يحرم جمال أشرف الأعضاء .

وروى أن عمران بن الحصين مر على قارئ يقرأ ثم يسأل فاسترجع (٢) ثم قال : « سمعت رسول الله ﷺ من قرأ القرآن فليسأل الله به ، فانه سيجيئ أقوام يقرأون القرآن يسألون به

---

(١) رواه أبو داوٗد للبيهقى « المرقاة» (٢) قال: إنا لله وإنا إليه راجعون .

الناس (١) .

و روى عن المشايخ أن من طلب المال بالعلم كان كمن مسح أسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه (٢) ولاشك أن الحذاء سينظف به و لكن تنظيفه بالخد حماقة قصوى ، و قد نزلت هذه الآية فى مثل هؤلآء الناس « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » .

و روى عن أبى بن كعب أنه قال : علمت رجلا القرآن فأهدى إلى قوساً فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إن أخذتها أخذت قوساً من نار فرددتها» (٣)

و كذلك قال عبادة بن الصامت : « كان رسول الله ﷺ يشغل فاذا قدم الرجل مهاجراً على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن ، فدفع إلى رسول الله ﷺ رجلا كان معى فى البيت أعشيه عشاء البيت و كنت أقرئه القرآن ، فانصرف إلى أهله فرأى أن عليه حقاً ، فأهدى إلى قوساً لم أر أجود منها عوداً و لا أحسن منها عطفاً ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت ما ترى يا رسول الله ؟ فقال : جمرة بين كتفيك إن تعلقتها أوقال تقلدتها» (٤)

و لا يسعنى فى هذا المجال بعد ذكر هذه الأحاديث النبوية

---

(١) رواه الترمذى « الترغيب والترهيب » (٢) المرقاة .
(٣-٤) كنز العمال .

إلا أن استرعى انتباه حفاظ القرآن الذين يعلمون فى المدارس القرآنية و ليس هـذا الشغل لهم سوى كسب المال فالتمس إليهم بكل أدب و احترام لهم و أشهد الله أن يفكروا لحظة و يتدبروا فى منصبهم ومسؤليتهم ، فان الذين يريدون إيقاف حفظ القرآن وتعليمه تأثراً بسوء معاملتكم و سلوككم لا يتحملون هذا الويل وحـــدهم ، فانكم تشاركونهم فى مساعيهم لمنع تعليم القرآن و تتحملون بأنفسكم أيضاً هـذه المسؤلية ، وإنكم تحسبون أنكم تنشرون القرآن و تفشونه ، ولكنكم فى حقيقة الأمر تصدون عنه بسبب أعمالكم وسلوككم التى تجلب اللوم ، وتجبر الآخرين على ترك تعليم القرآن ، ولم يجز العلماء تقاضى المرتب على التعليم ، لنجعله هدف حياتنا وغايتنا ، بل الغرض الأساسى ، هو التعليم ونشر العلم و القرآن ، وليس المرتب مكافأة عليه بل شكل لسد الحاجة ، اختير كرهاً ومرغماً بالضرورة .

*****

خاتمة المطاف

كان المقصود من إيراد هذه الأحاديث و ذكر الفضائل عن كتاب الله العزيز خلق المحبة معه ، لأن حب كلام الله يلزم حب الله تعالى ، و إن حب أحدهما يسبب حب الآخر ، فلم يكن خلق الانسان فى الدنيا إلا لمعرفة الله ، وكل ماخلق سوى الانسان خلق من أجل الانسان و يقول شاعر فارسى : « إن السحب و الرياح والقمر و الشمس و السماوات و الأرض ، وكل شئ آخر ، خلق لأجل الانسان و لسد حاجته ، ليعتبر أن هذه المخلوقات تسير كما أمرت به بكل طاعة و أمانة و توقيت حد لها » و قد يحدث طارئ ما يخالف العادة المألوفة فى بعض الأحيان و لوقت معين من أجل إيقاظ الانسان وتنبيهه ، فيختلف المطر عن موعده والرياح عن وقتها ، و كسوف الشمس وخسوف القمر ، وكل تغير آخر فى سير هذه الكائنات لا يحدث إلا لانعاش الغافلين و إيقاظهم ، و من عجب العجائب أن تسخير هذه المخلوقات للانسان التى تقوم بما فوض إليها بكل طاعة و خضوع و انقياد تام لا يحدث فى الانسان الشعور بالطاعة والانقياد والعبودية .

إن خير المعين على الطاعة والانقياد هو الحب « إن المحب

لمن يحب مطيع ، فكل من كان قلبه جريح الحب و العشق ينقاد لمن يحب و يشق عليه الانحراف عن طاعته و رضائه ، كما تشق على النفس الخالية عن الحب طاعة أحد ، و إن مشاهدة الكمالات و الجمال تحمل النفس على الاعجاب بصاحب الجمال و الغرام به ، سواء كان ذلك بالحواس الظاهرة ، أوباستحضار فى الحواس الباطنة، فاذاكان الانسان يفتتن حيناً بجمال وجه حسن و ينقاد له فان صوتاً ملائكياً قد يسحر النفس حيناً و يأسر القلب .

و الأذن تعشق قبل العين أحياناً

فلايهيج جمال الوجه وحده الغرام فى النفس ، كما لا يتقيد الحب بالمظهر ، فان هذه النعمة تنجم حيناً عن الكلام ، فلا يقع صوت فى أذن إلا وينساق القلب و تنجذب النفس إليه ، ويجذب جمال الكلام أحياناً إلى صاحب الكلام ويولد فى القلب الحب معه ، و ذكر أهل الفن أن استحضار صفات أحد و مميزاته و خصاله يحدث أيضاً فى القلب انجذاباً إليه والافتتان به ، فيركز عليه ويخلى القلب عما سواه فتكون هذه العواطف فى الغرام الطبيعى من غير قصد ، فان نظرة عابرة على وجه جميل أو يد جميلة تدفع الانسان إلى أن يسعى و يجهد لينظر إلى الأعضاء الأخرى ليزداد حبه و غرامه ، ويرتاح به قلبه ، وأنى للقلب أن يرتاح ويطمئن وللنفس

أن تصبر و تشبع ، فكل نظرة وكل خيال و طيف للحبيب يزيد الوجد و الهيام به ، و يهيج الآمال و الأحلام فلا يداوى الحب إلا و تزداد لوعته .

إذا نثرت البذور فى حقل ثم تركتها على حالها مهجورة بدون رى ، فانها لابد من أن تتلف ويضيع المحصول و إذا وجد فى قلب حب بدون قصد و إرادة ثم أهمله القلب ولم يلتفت إليه فان هذا الحب لا محالة زائل آجلا أو عاجلا ، و لكن إذا سهر المحب على إحيائه و إنعاشه و ظلت صورة الحبيب و حركاته فى مخيلته ، وكلام المحب يتمثل فى ذاكرته ، ويتلذذ به قلبه ، ويتخيل فى مهجته وجهه وغمزاته ، فان الحب يحيى ويعيش ويخلد، وتتجدد ملامحه كل حين وتتقوى ، فمن التحق بمدرسة الحب وحفظ دروسها لم تتخلص مسؤلياته ، وواجباته ، ومن نسى دروسها أعفى عنها فوراً فكلما أتقنت دروسها توثقت عراها .

إن تصور وجه شخص وحركاته يحدث فى القلب الحنين إليه و شوق اللقاء به و إن تتبعه يزيد الشوق والوله ، فلا يقف هذا الحب عند حد و غاية ، ولا يشبع بنعمة منه ومنه بل دائماً يطلب المزيد ، و لا يقتنع برؤية عضو من أعضاء الحبيب الفانى و يزداد الحرص على المزيد ، و يتقوى النهم على التمتع والاستمتاع بكل

ما أمكن ، و قدر عليه .

إن الله تعالى منبع كل جمال وحسن ، ولا جمال فى الواقع فى الدنيا إلا جماله ، إنه حبيب لا غاية لجماله ، ولانهاية لكماله ، و لا حد لنعمه ، ومن أنعمه و جماله و إعجازه الغير المتناهى كلامه الذى سبق ، إن قلت إن انتسابه إليه يغنى عن وجود أى كمال آخر وللحبين لا تساويها نعمة أخرى ، فان الرائحة والشذى تهدى إلى الريحان .

و لو تركت هذه النسبة التى يرتبط بها مع صاحب الكلام والموصوف ، فان علاقته ونسبته مع رسول الله ﷺ هى الصفات التى تكفى لتغنى المسلمين عن البحث عن صفات أخرى ، ثم إن ما يتصف بها هذا الكلام من خيرات وميزات و معجزات لاتستطيع الدنيا أن تقدم مثيلها ، فلم يترك القرآن ميزة تخص الطبائع البشرية إلا و قد حواها ، فليست محمدة واحدة يفتتن بها قلب المحب ، فالقلب المغرم به واحد و المحامد كثيرة لا تحصى .

علاقة الأحاديث المذكورة بطبائع الانسان :

إن دراسة الأحاديث النبوية المذكورة دراسة دقيقة تكشف للتتبع لها أنها لم تترك ناحية من نواحى الحياة إلا لفتت إليها ولا

يوجد صنف من أصناف الحب والافتخار إلا وذكرت الأحاديث تميز القرآن فيها و فضله .

و لنأخذ مثلا الجمال الكلى و الاجمالى الذى يشمل كل شئ جميل فى الدنيا ، ويغطى كل جمال وكمال ، فلفت إليه حديث «رقم ١ » فيبين هذا الحديث فضل القرآن الاجمالى و الكلى ، و ليأخذ أى صنف من أصناف الحب ، فاذا عجب إنسان بانسان آخر بسبب من الأسباب غير المتناهية ، فان القرآن أفضل من ناحية هذا الفضل الكلى ، ثم تحدث الأحاديث بعده ، عن أسباب العلاقة و الحب ففضلت القرآن على جميعها للتمثيل ، فاذا كان أحد يحب شخصاً بسبب الثمرات و المنافع والجزاء والاحسان فان الله تعالى يعد بأن يجزئ كل سائل بأكثر من سؤاله .

يعجب قوم بالفضل الذاتى و الصفات الشخصية ، والأخلاق الذاتية فيستأثرون من يتصف بهذه الصفات السامية والفضائل الذاتية ، فيقول الله تعالى : إن فضل القرآن على كل شئ فى الدنيا كفضل الخالق على عباده و الملك على مملوكه . [٢]

تميل نفس أقوام إلى المال والمتاع و الجاه والخدم والأنعام و يعتبرون ذلك وسيلة للافتخار و التفوق ويجدون فيه متعة لهم ، فوصف الحديث الحصول على هذه المتعة ، الافتخار بدون جهد

وكد أنه أدنى فضيلة ، ونبه الحديث أن تلاوة القرآن أفضل من جميع هذه الأنواع لحصول العز و الشرف . [٣]

إذا كانت النفس تحن إلى الزهد و التقوى و تجهد له فذكر رسول الله في هذا الحديث أن الماهر بالقرآن مع الملائكة الذين يمثلون التقوى فلا يقضون لحظة ضد التقوى و الطاعة .

و يجد قوم المتعة والافتخار فى نيل نصيبين أوأجرين ويعتز به فيفتخر على أن يعتبر رأيه مثل رأيين ، فيعد الحديث للتعتع أجرين . [٤]

إن الذى جبل على الحسد و سوء الأخلاق فلا تميل نفسه إلا إلى الحسد والتباغض ، لحول رسول الله ﷺ نفسه وقال «لا حسد إلا على حافظ القرآن» [٥]

من يتلذذ بالفواكه و يسعى إلى الحصول على مختلف أنواعها ويتباهى بها فلا يحلوله العيش بدون الفواكه فمثل القرآن بالأترجة .

و يميل بعض الناس إلىالحلاوة و يؤثرونها على جميع الأذاق الأخرى ، فوصف الحديث أن القرآن أحلى من التمر و إذا كان أحد مغرماً بالشرف النفسى ، والرفعة الذاتية ، فلا يحلو له العيش إلا باللجوء إلى وسائل تضمن له الرفعة والجاه والشهامة من عضوية المجالس القومية و البرلمانات و يحسبها شرف النفس فيعد الحديث

له أن القرآن شرف الدنيا و الآخرة . [٦]

تميل بعض الأنفس إلى صديق و معين فى حياته يأوى إليه و يستعين به فى العسر و اليسر ، فيمثل الحديث لمثل هذه الطبائع أن القرآن يحاج سلطان السلاطين و ملك الملوك ، لرفيقه فى الدنيا ، ليرفعه و يشفع له . [٧]

تحمل جبلة بعض الناس على كشف الغموض و التعمق إلى بطون الأشياء فيقضون حياتهم فى سبيل البحث والتمحيص ويزهدون فى الدنيا ، و يستلذون بكشف الحجب المحيطة بالأسرار الكونية و غير الكونية و يؤثرونها على كل لذة من لذات الحياة ، ولمثل هؤلاء الأقوام يحمل حديث رقم «٨» أهمية خاصة حيث إنه يغريهم بمعرفة بطن القرآن و معانيه غير الظاهرة . [٨]

يكافح بعض الناس لتشييد بيوت عالية شامخة ذات الطوابق المتعددة ويريد أن يكون مأواه على أعلى الطوابق ، فيوجه حديث رقم «٩» نداءه إلى هذه الطبيعة الانسانية الخاصة و يهز مشاعرها بوعده أن قارئ القرآن يرتقى إلى أعلى المنازل حسب قراءته ، حتى يصعد بعض القارئين إلى الطابق السابع ألف . [٩]

تميل بعض الأنفس البشرية إلى عدم إجهاد النفس ، فترغب فى أن تكسب الكثير بالجهد القليل . فيعد الحديث لأصحاب مثل هذه الطبائع أن الله يجزى على كل حسنة بعشر أمثالها [١٠]

و منهم من تغلبهم النهامة و الحرص على الحصول على الملك و المال الكثير ، و التاج و العرش فيملأ الدنيا فساداً و دماراً من أجل عزه الذاتي ، وتفوقه ، فيجد من رزق مثل هذه الطبقة متعتة و إرواء غليله في حديث رقم «١١» مايقول «إن الله تعالى يلبس والدى قارئ القرآن تاجاً يزيد ضوءه ضوء الشمس التي كانت في البيت » . [١١]

و من الناس من تميل نفسه إلى الشعوذة و يضع يده على النار فلا تحترق يده ، ويضع الكبريت في فيه فلا يشعر فيستلفت حديث رقم «١٢» هذه الطبقة و يقول إن القرآن إذا وضع في إهاب ثم وضع على النار لما احترق . [١٢]

يجد بعض الناس متعة بقبول شفاعتهم في حق الآخر ، فيكالحون ليرتفعوا إلى مرتبة أو منزلة عند الملوك أو الأمراء أو الوزراء لتقبل شفاعتهم مهما كلف ذلك من ثمن أو تضحية ، فيشير هذا الحديث غريزة هذا الانسان و يعده بأن القرآن يمنح رفيقه حق شفاعة عشرة أشخاص كانوا قد استحقوا النار . [١٣]

و من الناس من وهب ذوقاً خالصاً للروائح و العطور ، وبلغ به الغرام بالرياحين والزهور مبلغ الجنون « فيمثل هذا الانسان تمثيل القرآن بجراب محشو مسكا ، و أنى لهذا المسك أن يقارن بذلك المسك ، فشتان بين الثرى و الثريا . [١٤]

يوقظ أدنى تنبيه بل التلميح ، شعور بعض الناس و ضميرهم و يصلح بالهم ، ويقومهم ، ومن الناس من لا يؤثر فيهم الكلام بالرفق فلا يؤثر فيهم الترغيب والتبشير ، لأنهم تعودوا على الترهيب الغليظ فوصف القلب الخالى من القرآن بالبيت الخرب . [١٥]

من الناس من يحرص دائماً على رفع الدرجات ، و يسعى إلى الكسب الكثير من الخيرات ، و الحسنات ، فلا يطمئن باله على حال ، فوصف لهذا الصنف من أن قراءة القرآن أفضل العبادات و صرح الحديث أن قراءته أفضل من كل تسبيح و تهليل و صلاة غير مكتوبة . [١٦]

يتملك بعض الناس حب الأنعام ، والمواشى ، وخاصة العظام السمان ، فيزيد فيها الثمن و يقتنيها مهما بلغ به الجهد و النفقة فنبههم النبي ﷺ وقال « إن ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم فى صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان » . [١٧]

يهتم بعض الناس بالصحة ويغالون فيها ، فيكون همهم دائماً أن يحصلوا على مختلف أنواع من الأدوية لعلاج ما يعتريهم من أمراض و يلجأون إلى مختلف الوسائل للاحتفاظ بصحتهم ، من الرياضة والاستحمام اليومى والعدو ، والنزهة فى الصباح ، و لذلك يعانى أناس من الهم والاضطراب النفسى فلا يسعدون بحال فيعالجهم هذا الحديث بقوله « إن القرآن جلاء لصدأ القلوب » [١٨]

تختلف ميول الناس إلى الافتخار والرفعة النفسية فلكل إنسان اتجاه خاص ، فمنهم من يفتخر بنسبه و عرقه ، و منهم من يعتز بعاداته و أخلاقه ، و مكانته فى الناس ، ومنهم من يتباهى بسلوكه و حكمته ، و تدبره ، فقال النبي ﷺ « إن بهاء أمتى و شرفها القرآن » فالقرآن يجمع كل جمال و كمال فاذا اجتمع الوصفان فى شئ فانهما يميزانه . [١٩]

من الناس من يسعى إلى ادخار المال ، والكنز يعيش على القليل ، والكفاف ، ليجمع المال ، فلا يخرج من هذه الورطة و العقدة النفسية ، لحول النبي ﷺ حرصه على جمع المال إلى ما هو خير منه فقال إن تلاوة القرآن « نور فى الأرض وذخر فى السماء » فجمع الحديث الشريف من يحرص على الكنز ، وآخر من يتهافت على تزيين البيت بالنور و المصابيح . [٢٠]

وإذا كنت ترغب فى أن ترسل إليك التحف والهدايا المتنوعة فلا تصادق الناس و لا تقيم العلاقات معهم إلا لهذا الغرض ، فاذا ضن أحد فى ماله و ثماره و لم يرسل إليك فواكه بستانه ، تشمئز منه ، وتلومه . فان قارئ القرآن تهدى إليه السكينة ، فهل هدية أعلى من هذه الهدية .

و إذا كان ذكرك فى البلاط الملكى ، أو عند الأمراء وأولى

الجاه و الشرف يغريك بتحمل المتاعب والمساعى للوصول إلى هذه المنزلة ، فان القرآن هو خير شفيع لك عند أحكم الحاكمين ، فيذكر الله تعالى من يقرأ القرآن فيمن عنده من الملائكة المقربين . [٢١]

إذا كنت حريصاً على أن تقتنى أجمل الهدايا لتقدمها إلى حبيبك ، لتستهوى قلبه ، و تستميله إليك ، بهديتك الفاخرة النادرة فإن القرآن خير ما ترجع به إلى الله سبحانه وتعالى . [٢٢]

يفتخر بعض الناس بأنهم من رجال البلاط . وحاشية الملك و يسعى من لا ينال هذه المرتبة إلى الوصول إليها فيدبر لها ، ويتآمر ، ولمثل هؤلاء الناس الذين يستميلهم الانتماء إلى رجال الحاشية الملكية ، متعة خاصة فى قراءة القرآن حيث إن قراءته تلحقهم بأهل الله تعالى ، وهو رب العالمين ، وخالق الملوك والجبابرة . [٢٣]

و لنلتفت هنا برهة لنفكر فى أنفسنا فان الحرص على الجاه والشرف الذاتى قد أوصل الناس إلى الحضيض فكم من التضحيات ، تبذل للحصول على عضوية فى المجالس الرسمية و التقرب إلى عمال الحكومة وموظفيها الكبار ، فلا يدخر الناس جهداً فى هذا السبيل لأنهم يحسبون أن التفاتهم إليهم و عطفهم عليهم ، يرفعهم فى أعين الناس ويعزهم مهما ضحوا فى ذلك من الدين والدنيا ، فهل التقرب إلى المالك الحقيق ، و الانتماء إلى أهله وخاصته أقل درجة من

التقرب إلى هؤلاء الأمراء و النبلاء ، و لا يستحق ذلك جـــهداً قليلا من الناس فلينفقوا على هذا العز الغرار الخادع فى الحياة ما ينفقون من العمر والمال ، ولكن الذى خلق الحياة و هو المعز و المذل ، وهو المحيي والمميت يدعونا إلى أن ننفق مما آتانا من المال والحياة ، فلابد من أن نخصص له لرضاه مما آتانا الله من المال والنفس .

ان الطبائع التى يستهويها الغناء ، فتميل إلى الششتية (١) ويجلس أصحاب هذه الطبائع فى مجالس الغناء لارواء غليل ، فان مجالس التلاوة أحلى من هذه المجالس وأجدر أن تأخذ بالقلوب وتسحرها وتغنى عن أحلى غناء و ألذه . [٢٤]

إن القرآن أقصر طريق للوصول إلى المالك الحقيقى فان الله تعالى يصغى إلى قارئ القرآن و يتقرب إليه . [٢٥]

إنكم تدعون أنكم مسلمون و تفتخرون بالاسلام ، إن النبى ﷺ يأمركم أن تتلوا القرآن حق تلاوته ، فاذا كان الاسلام لديكم أكثر من الدعوى اللفظية . و إذا كانت علاقتكم بالاسلام و الله ورسوله علاقة حقيقية ، غير كلامية محضة ، فان الله يأمركم بتلاوة القرآن . [٢٦]

---

(١) طريقة منتشرة فى الهند تنسب إلى الشيخ الكبير معين الدين الششتى دفين أجمير .

إنكم تتحمسون لقوميتكم و تتعصبون لها ، وتتمسكون بأزيائكم و شعائركم القومية والدينية لأنكم تحسبون أنها شعار لدينكم وأمتكم ، و تبذلون جهودكم لنشرها و ترويجها و تتخذون تدابير لتعميمها بالمقالات فى الجرائد و المجلات ، والاجتماعات و اتخاذ قرارات فى الحشود و الحفلات الجماهيرية ، والخاصـــة للتشديد على مطالبكم و تاكيدها فان رسول الله تعالى يأمركم بأن تتخذوا القرآن شعاراً لكم و تبذلوا أقصى جهدكم لافشائه و نشره .

إن هـــذا الموضوع ، موضوع مشبح ، يثير فى القلب شكاوى و يؤلمه ، و خاصة عندما ننظر إلى زعماء الأمة وقادتهـا و دورهم فى نشر القرآن ، و معونتهم فى هذا السبيل ، فليفكر هؤلاء الزعماء و القادة تفكيراً جدياً . ألا يتحملون مسؤليـــة فى سد إمكانيـات دراسة القرآن و حفظه .

فقد أهمل زعماؤنا تعليم القرآن ، و تغـافلوا عنـه ، و بدأ بعضهم ينظر إليه بعين الازدراء ، يعتبرونه إضاعة للوقت ، وإرهاقاً للفكر ، وإجهاداً غير لائق . و يمكن أن تكونوا غير متفقين بهذه الفكرة ، و لكن فكروا أيها السادة أليس صمتكم عـلى جهود طائفة تجهد ضـــده معونة و تأييداً لجهودها ، و لنعترف أنكم تشمئزون من جهودها و نشاطاتهـا ، و لكن هـذا الإشمئزاز لا يجدى نفعاً

إذا كان مقروناً بالتسامح والغفلة .

إنهم ينكرون أهمية تعليمه بكل قوة و فعالية بدليل أن معلمى المكاتب الاسلامية و أئمة المساجد جعلوه وسيلة للرزق والكسب ، إنه طعن و تهمة على الذبات عامة ، و هى مسؤلية خطيرة سوف يجيبون عليها عندما يحين وقتها ، ولكنى أسالكم بكل أدب واحترام لائقين بكم : بالله أجيبوا ، ألا ترون عواقب أغراض هؤلاء الأئمة فى المساجد بأنفسكم فى هذه الدنيا ، و ماذا تكون عواقب قراراتكم المخلصة و ثمارها ، وما تؤدى إليه هذه القرارات فى خدمة القرآن و نشره .

إن رسول الله ﷺ يأمر أمراً واضحاً بنشر القرآن فعليكم أن تقرروا بأنفسكم إلى أى مدى تمتثلون بأوامر رسول الله ﷺ ولعلكم تجدون تسلية لقلوبكم فى زعمكم أنكم لاتشاركون فى المجهودات التى تبذل لوقف تعليم القرآن ، فاذا كان ذلك حقاً ، فلا يغيبن عن بالكم أن هذا العذر لن ينقذكم عن تحمل المسؤلية ، فقد سأل أصحاب النبى ﷺ « أنهلك و فينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث » و فى رواية « أوحى الله تعالى إلى جبرئيل عليه السلام أن أقلب مدينة كذا و كذا بأهلها ، فقال يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين ، قال ، فقال إقلبها عليه و عليهم فان وجهه

لم يتمعر في ساعة قط » (١) .

إن هذا الوضع هو الذي يدفع العلماء في الواقع إلى إظهار استنكارهم وسخطهم على كل ما يعتبرونه خلافاً للشرع ، فيسوء ذلك الطبقة التقدمية المزعومة ، فتصفهم بضيق الفكر ، فلا يخدعنكم هذا التحرر الفكري و الخلق ، فإن هذه الفريضة لا تخص بالعلماء وحدهم ، بل إن كل شخص يرى منكراً و يقدر على منعه ، مسؤول عنه ، فإن أعرض عن هذه المسؤلية و أهمل هذا الواجب و لم يبد استنكاره على المكروه فسيكون له نصيب منه ، وقد روى عن بلال بن سعد « إذا أخفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها و إذا ظهرت فلم تغير ، ضرت العامة و روى « ابن سعد » مثله .

يتحمل بعض الناس الصعاب في البحث عن الآثار وما يرجع إلى القرون الأولى ، فيراجعون التاريخ القديم و يقومون برحلات بعيدة لمعرفة أحوال السابقين ، فيغني القرآن عن جميع هذه الكتب المقبولة المتداولة لما فيه بيان و تفصيل عن الماضين . [٢٨]

و إذا كنتم تتمنون أن تصلوا إلى أعلى درجات الشرف والسمو التي يجلس بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في مجلسكم و يؤمرون بالاشتراك فيه و الاستماع إليكم ، فإن هذه الدرجة

(١) عن جابر كما في المشكاة .

و المرتبة تحصل أيضاً بقراءة القرآن . [٢٨]

و إذا كنتم قد بلغتم من الكسل مبلغاً يقعدكم عن العمل ، والجهد فى سبيل كسب الخير . فان سماع القرآن فى كتاب يقرأ فيه الأطفال يثيبكم أجراً بدون جهد له . [٢٩]

و إذا كنتم مغرمين بالألوان المتنوعة ، و تسأمون من نوع معين ، وتريدون الجديد والمزيد ، فالقرآن ذخر لكم و متعة لأن فيه منوعات من المواضيع ، من الرحمة و العذاب و من القصص و الأحكام ، و لكم حرية فى كيفية القرآن ، تقرؤنه جهراً أو سراً فلكم الأجر دائماً أبداً . [٣٠]

و إذا تجاوزت فى المعاصى كل حد و غاية ، و كنت تؤمن بالموت ، و البعث بعده ، فلا تقصر فى التلاوة فان القرآن شافع ليس فوقه شافع . و قد ضمن قبول شفاعته . [٣١]

و إذا كانت طبيعتك تأبى الحجة و الاحتجاج و الجدل ، فاخش حجة القرآن عليك ، فان حجته مقبولة و مصدقة ، لا تجد عنه نصيراً فانه رفيقك و رائدك ، يوصلك إلى الجنة و يهديك إلى حبيبك . [٣٢ — ٣٣]

إذا كنت تتمنى أن تحصل علوم الأنبياء ، و تحلم بها فاقرأ القرآن و ارتق فى العلوم والمعرفة ، و كذلك إذا كنت تريد أن

أحسن الأخلاق و مكارمها ، فاتل القرآن . و أكثر تلاوته
[٣٥]

إذا كانت نفسك الجريحة لا تحلو و لا تطمئن إلا بالنزهة على الجبال و المصايف فتبذل الغالى و النفيس و تتحمل الصعاب فى رحلة إلى جبل ، فان قراءتك للقرآن توصلك إلى كثبان المسك فى وقت تغمر الأغراض و الشح أناساً آخرين ، وتلهيهم . [٣٦]

و إذا كانت نفسك تأبى إلا أن تصل إلى أعلى درجة الزهاد فلا تتوقف عن الصلوات و الأدعية و النوافل ليلا و نهاراً ، فان قراءة القرآن و دراسته لكم أفضل من ألف ركعة . [٣٧]

و إذا كنت تريد أن تبتعد عن كل خصام فى الدنيا و فساد فيها ، فان القرآن يحفظك عن الفتن و يخرجك منها . [٤٠]

الخاتمة

إن القرآن رفيقك وطبيبك ، ففى سورة الفاتحة شفاء عن كل مرض . [حديث ١ الخاتمة]

إذا كانت أغراضك و مطامعك لا تنتهى فاقرأ سورة يسين .
[٢ - الخاتمة]

و إذا كنت حريصاً على جمع المال ، فاقرأ سورة الواقعة كل يوم ففيها غنى لك . [٣ - الخاتمة]

إذا كنت تخشى عـذاب القبر ، و لا تستطيع أن تحتمله فنى القرآن الكريم نجاة لك ، و وقاية . [٤ - الخاتمة]

و إذا كنت تسعى إلى عمل دائم يشغل فكرك ، وتقضى فيه أوقاتك فالقرآن شغل شاغل ولايوجد عمل أفضل منه . [٥ - الخاتمة]

و احذر أن لا تسلب منك هذه النعمة بعد أن تفوز بها ، فليس أحد أسوء حظاً ممن يخرج عن نعمة أو ملك آتيه ، و لا تعمل عملا يحفظ به عملك ، و تكتب لك سيئة . [٦ - ٧]

و ما علينا إلا البلاغ

* * * * *

المحبة ملاك العمل

كيف يستطيع أن ينتبه لفضائل القرآن عاص مثلى ، و قــد بينت ما انكشف لفكرى و عقلى المحدود ، إلا أن المحققين والحكماء يستطيعون أن يفكروا و يتــدبروا فالطريق مفتوح أمامهم ، لأن أسباب المحبة التى قال رجال الفن أنها وسيلة للحبة تتكون من خمسة أمور ، أولا الوجود الذاتى ، فان الانسان يحب ذاته ، و لمــا أن القرآن يقى الحوادث والفتن ، فانه مسبب لحياةالذات و بقاؤها .

ثانياً : المناسبة الطبيعية ، و لا يمكن فى هــذا الصدد إيضاح أكثر من أن الكلام صفة إلهية ، وأن المناسبة التى توجد بين المالك ومملوكه ، و السيد و عبده لا تخفى على العالمين .

ثالثاً : الجمال . رابعاً : الكمال .

خامساً : الاحسان ، فاذا تدبرتم الأحاديث المذكورة عن هذه الأمور الثلاثة الأخيرة ، فانكم سوف لا تقتصرون على ذلك الجمال والكمال اللذين أوضحهما هذا الكاتب بفهمه الناقص، بل إنكم ستصلون بدون تردد إلى الواقع أن العز و الافتخار ، و الشوق والسكون، و الجمال و الكمال ، و الاكرام و الاحسان ، و اللذة و الراحة و المال و المتاع وغيرها من الأمور الأخرى فى الحياة التى تتكون منها المحبة، قد بعث بها النبى ﷺ وفضل القرآن فى نوعها إلا أن

التستر فى الحجاب هو من لوازم الدنيا ، و لكن العاقل لايتحاشى فاكهة إذا كانت قشرتها شائكة ، و لا يمقت خاسر فى الحب حبيبة لأنها محتجبة أو متبرقعة . فيحاول و يجهد ليميط اللثام و يزيح الحجاب ، فان فشل فى مجهوده فانه يقر عينه و يسلى قلبه من وراء الحجاب ، و إذا أيقن حبيب أن الحبيب الذى وهب قلبه ومهجته ويديه من أجله منذ سنوات ، ما قل أمامه وراء حجاب ، لايقدر إذا كان مخلصاً فى حبه أن يغادر المكان أو يحول نظرته عن ذلك الحجاب .

و هكذا ، ليس من عقل العاقل و حكمة الحكيم أن يحول نفسه عن القرآن الكريم بعد ذكر هذه الفضائل و المناقب و المزايا إذا كانت فسدت بسبب بعض الحجب ، بل يجب عليه أن يأسف على عجزه و نقصانه ، و يتدبر الكمالات ، و قد روى عن عثمان وحذيفة - رضى الله عنهما - ما معناه أن القلوب إذا طهرت عن النجاسة فانها لا تستطيع أن تشبع أبداً بتلاوة القرآن ، وقال ثابت البنانى « كانت القرآن عشرين وتنعمت به عشرين (١) » فكل إنسان يتوب عن ذنوبه ، و يفكر فى القرآن يجده أنيساً و رفيقاً له ، يا ليت حصلت لى هذه اللذة ..

---

(١) الاحياء .

إنى ألتمس إلى القارئين أن لا يلتفتوا إلى القائل ، فلا يمنعكم عجزى و تقصيرى عن الوصول إلى غايتكم ، فانتبهوا للأمر الحقيقى ، والتفتوا إلى مصادر هذه الأمور فلست إلا ناقل خير ، و ليس بعزيز على الله أن يخلق فى القلب الحنين إلى حفظ القرآن .

و إذا أردتم أن يحفظ أحد القرآن فان هذا الأمر لايدعو إلى عمل شاق ، فان سن الطفولة معين على الحفظ و مساعد له ، فان أراد أحد حفظ القرآن فى سن بالغ فانى أكتب له عملا مروياً عن النبي ﷺ ، و رواه الترمذى و الحاكم و غيرهما .

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقال : بأبى أنت تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه، فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، و ينفع بهن من علمته و يثبت ما تعلمت فى صدرك ؟ قال أجل يا رسول الله ، فعلمنى قال : إذا كان ليلة الجمعة ، فان استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر ، فانها ساعة مشهودة ، و الدعاء بها مستجاب ، فقد قال أخى يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى (١) يقولهم حتى تأتى ليلة الجمعة ، فان لم تستطع فقم فى وسطها،

---

(١) أى يوم الجمعة .

فان لم تستطع فقم فى أولها ، فصل أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب و سورة يسين ، و الركعة الثانية بفاتحة الكتاب و حم الدخان و فى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب و الم تنزيل السجدة (١) ، و فى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب و تبارك المفصل ، فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله و أحسن الثناء على الله، و صل على و أحسن ، و على سائر النبيين ، و استغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان ثم قال فى آخر ذلك».

وقبل أن أذكر الدعاء أود أن اذكر أن الحمد و الثناء الذى أمر به النبي ﷺ و ذكرته الروايات الأخرى المذكورة فى شروح الحصن ، و المناجات الأخرى ، بعض الأدعية لكى يسهل قراءتها على من لا يستطيع أن يقرأها بنفسه ، و من استطاع أن يقرأها بنفسه ، فليبالغ فى قراءة الحمد و لا يكتفى بما أورده هنا ، و من أدعية الحمد .

---

(١) فى الترتيب القرآنى تتقدم هذه السورة عن السورتين الأولين وقد رخص الفقهاء ذلك فى النوافل ، ثم أن كل شفعة فى النوافل صلاة مستقلة بذاتها و ليس هناك اختلاف فى ترتيب السورتين فى الشفعة الواحدة ، فلا كراهة إذاً كما فى الكوكب و هامشه . (المؤلف)

الحمد لله رب العالمين ، عدد خلقه ، و رضا نفسه ، و زنة عرشه ، ومداد كلماته ، أللهم لا أحصيٌ ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أللهم صل و سلم ، و بارك على سيدنا محمد النبي الأمى الهاشمي ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، ربنا اغفرلنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ، اللهم اغفرلى ، و لوالدى و لجميع المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات ، إنك سميع مجيب الدعوات » .

ثم يقرأ الدعاء الذى علمه النبي ﷺ فى الحديث المذكور و هو ما يلى (١) .

« اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبداً ما أبقيتنى ، و ارحمنى أن أتكلف ما لا يعنيني ، و ارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، اللهم بديع السماوات و الأرض ذا الجلال و الاكرام والعزة التى لا ترام ، أسئلك يا الله يا رحمن بجلالك . و نور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى أن أقرأه على النحو الذى يرضيك عنى اللهم بديع السماوات و الأرض ذا الجلال و الاكرام و العزة التى لا ترام و اسئلك يا الله يا رحمن بجلالك ، و نور وجهك ، أن تنور بكتابك بصرى ، و أن تطلق به لسانى

(١) من كلام المؤلف .

و أن تفرج به عن قلبي و أن تشرح به صدري و أن تغسل به بدني فانه لا يعينني على الحق غيرك ، و لا يؤتيه إلا أنت و لا حول و لا قوة إلا بالله العظيم » ثم قال رسول الله ﷺ : يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تجاب بإذن الله و الذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمناً قط

فقال يا ابن عباس - رضي الله عنهما - فوالله ما لبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله ﷺ في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله إني كنت فيما خلا . لا آخذ إلا أربع آيات و نحوهن فاذا قرأتهن على نفسي تفلتن و أنا أتعلم اليوم أربعين آية و نحوها ، فاذا قرأتهن على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ، إلخ (١) .

وفقني الله إياكم برحمة نبيه ﷺ حفظ القرآن و الحديث ، وصلى الله تبارك و تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد وآله و صحبه و سلم برحمتك يا أرحم الراحمين .

● ● ●

(١) الترغيب ص ٣٦١ .

تكملة

حيث أن الأربعين من الحديث الشريف المذكور من يخص بموضوع معين ، فلم يختصر فيه ، و لما أن الهمم فى العهد الحاضر قاصرة يصعب على الناس تحمل مشقة مهما كانت فى سبيل الدين ، فأورد هنا أربعيناً آخر ، ومن ميزته أنه يشمل جميع المهمات الدينية حيث لا يوجد له مثيل ، و قد نسب فى كنز العمال إلى قدماء المحدثين و ذكره من المتأخرين الشيخ قطب الدين المهاجر المكى ، فيا أسعد من حفظه من المنتمين إلى الدين على الأقل ، فانه بمثابة شراء أحجار ثمينة بالودعات .

[عن سلمان - رضى الله عنه - قال سألت رسول الله ﷺ عن الأربعين حديثاً التى قال من حفظها من أمتى دخل الجنة قلت وما هى يا رسول الله . قال أن تؤمن بالله (١) و اليوم الآخر (٢) و الملائكة (٣) والكتب (٤) والنبيين (٥) و البعث (٦) بعد الموت ، و القدر (٧) خيره و شره من الله تعالى ، و أن تشهد (٨) أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، وتقيم (٩) الصلاة بوضوء سابغ

لوقتها (١) وتؤتى (١٠) الزكاة و تصوم رمضان (١١) و تحج (١٢) البيت إن كان لك مال (٢) و تصلي (١٣) اثنى عشرة ركعة فى كل يوم و ليلة (٣) و الوتر (١٤) لا تتركه فى كل ليلة و لا تشرك بالله (١٥) شيئاً ، و لا تعق والدتك (١٦) و لا تأكل (١٧) مال اليتيم ظلما (٤) و لا تشرب الخمر (١٨) و لا تزن (١٩) و لا

---

(١) إن إسباغ الوضوء هو مراعاة الآداب والمستحبات للوضوء و المراد من «لوقتها» أن يتوضأ لكل صلاة ، و لو كان على وضوء لأنه يستحب ذلك ، والمراد من إقامة الصلاة، الاهتمام بجميع سننها و مستحباتها ، و قد جاء فى رواية أخرى إن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » .

(٢) إن استطاع إليه سبيلا . لأن توفر المال عادة يحول بينه و بين الحج فذكره ، و إلا فالمقصود هو توفر شرائط الحج .

(٣) و تفصيل ذلك كما ورد فى الروايات الأخرى ركعتان قبل صلاة الفجر ، أربع ركعات قبل صلاة الظهر ، ركعتان بعدها ، ركعتان بعد صلاة المغرب ، ركعتان بعد صلاة العشاء وألا يترك صلاة الوتر فى كل يوم ، لأنها واجبة ، وحيث أنها أهم من السنن فذكرها بالتاكيد .

(٤) إذا جاز أكل اليتيم لسبب من الأسباب كما يحدث فى بعض الظروف ، فلا يأكله بظلم (المؤلف) .

تحلف بالله(٢٠) كاذباً ، و لا تشهد شهادة زور (٢١) و لا تعمل
بالهوى (٢٢) و لا تغتب أخاك المسلم (٢٣) و لا تقذف المحصنة(٢٤)
و لا تغل أخاك(٢٥) المسلم . و لاتلعب(٢٦) و لاتله مع اللاهين (٢٧)
و لا تقل للقصير (٢٨) يا قصير تريد بذلك عيبه ، و لا تسخر
بأحد (٢٩) من الناس ، و لا تمش (٣٠) بالنميمة بين الأخوين ،
و اشكر الله (٣١) تعالى على نعمته ، و تصبر (٣٢) على البلاء و
المصيبة ، و لا تأمن (٣٣) من عقاب الله و لا تقطع (٣٤) أقربائك
وصلهم(٣٥) و لا تلعن أحداً (٣٦) من خلق الله ، و أكثر من
التسبيح والتكبير والتهليل (٣٧) و لاتدع حضور الجمعة والعيدين (٣٨)
و اعلم (٣٩) أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن
ليصيبك ، و لا تدع قراءة القرآن على كل حال (٤٠) .

رواه الحافظ أبو القاسم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق
بن مندة ، والحافظ أبو الحسن على بن أبي القاسم بن بالويه الرازى
فى الأربعين ، و ابن عساكر و الرافعى عن سلمان ، قال سلمان :
قلت يا رسول الله ما ثواب من حفظ هذه الأربعين قال حشره
الله تعالى مع الأنبياء و العلماء يوم القيامة .

عفى الله سيئآتنا و ألحقنا بالصالحين بفضله و كرمه و ليس
ذالك بعزيز على كرمه ، فانه رؤوف رحيم ، و انى ألتمس إلى

القارئين أن لا ينسوا هذه العاصى فى دعواتهم (و مترجم هـذا الكتاب) و ما توفيق إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب .